عمر الخيام

امين

الحكيم الفلكي النيسابوري

حياته . علمه . رباعياته

تأليف وترجمة

احمد حامد الصراف

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق وعضو مؤتمر الفردوسي في طهران

الطبعة الثانية

مطبعة الشعب (دار الاخبار) بغداد

١٩٤٩

عمر الخيام

الحكيم الفلكي النيسابوري

حياته . علمه . رباعياته

تأليف وترجمة

احمد حامد الصراف

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق وعضو مؤتم

الطبعة الثانية

مطبعة الشعب (دار الاخبار) بغداد

١٩٤٩

قبر الخيام في نيسابور



الدكتور صديق مدير دار الفنون في طهران وعلى يمينه المؤلف

المقدمة

غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام هو احد الاعلام في الشرق، ولد في نيسابور في اواسط القرن الخامس الهجري، وتوفي في اوائل القرن السادس. وكان من الع علماء عصره وابرزهم، يتميز بذكاء نادر وحافظة قوية، وعقل كبير ومزاج خاص، تغلب عليه الحدة. وقد درس العلوم الشائعة في عصره فأتقنها، وبرز في الفلسفة والفلك والرياضيات والطبيعيات، وقرض الشعر بالفارسية والعربية، وألف الرسائل والكتب الجليلة في مختلف العلوم، وكلها دلت على صفاء ذهن وسعة اطلاع. وكان في عصره جليل القدر، عظيم الشهرة كبير الصيت، وقد نعته علماء عصره بنعوت وألقاب فخمة، فخوطب بالدستور والامام والحكيم والفيلسوف وحجة الحق، وكان الى ذلك يجالس الملوك والامراء، مقربا عندهم محترماً لديهم، وقد عني بشخصيته الفذة غير واحد من المؤرخين والمترجمين من العرب والايرانيين، فدونوا ترجمته وعنوا باخباره ومنهم من تحامل على عقيدته، ومنهم من شك في ايمانه غير أنهم اتفقوا جميعهم على اكباره، والثناء على علمه وفضله وسعة اطلاعه. وقد اشتهر الخيام في العصر الحاضر بين الفرنجة برباعياته، التي ادهشت أهل الادب بحلاوتها وروعتها، واول من تصدى لترجمتها الشاعر الانكليزي المبدع « فتز كرالد Fitz Gerald » فنقلها الى الانكليزية، بأسلوب جميل فتان، فلفت بذلك انظار الغربيين اليه، وحلت الترجمة محلا عاليا في قلوب الناطقين بالانكليزية، فاقبل علماء الغرب على دراسة رباعياته الناطقة بآرائه الفلسفية.

وقد ذهب الباحثون في فلسفته مذاهب شتى، فصوره ناس بانه مادي محض،

وقال الآخرون انه شاعر زنديق لا يعرف غير اللذة ، فشبهوه بأبيقور الفيلسوف اليوناني صاحب نظرية اللذة. وذهب جماعة من الباحثين الى انه من الربانيين الصديقين، وانه حكيم آلهي ثمل بخمرة الحب المقدس .

والناحية العلمية فيه اعظم واخطر من الناحية الشعرية ، فهو في الذروة من كمال العلم ، وقد ألف في علم الجبر وتضلع منه ، فهو صاحب المعادلة الجبرية ذات المجهولات الثلاثة ، وقد بنى الرصد مع جماعة من الفلكيين وبرز في الهندسة واتقن الطب، وتولى معالجة الملوك في عصره ، ومنهم السلطان سنجر السلجوقي ، فعالجه من جدري اصابه ، وقد تخرج عليه جمهور من الفلاسفة والعلماء ، كالفيلسوف محمد الايلاقي ، والحكيم علي بن محمد الحجازي القائني ، والعلامة الشهيد عبدالله بن محمد الميانجي ، وغيرهم من الاعلام والافذاذ . كل ذلك دل على أن عمر الخيام كان من افضل علماء عصره وابعدهم شهرة وا كبرهم قدرا ، واذا ما افتخرت ايران بالخيام فللعرب حق ونصيب في الافتخار به لانه تفقه بدينهم وتأدب بآدابهم وتهذب بعلومهم.

احمد حامد الصراف

الادب الايراني

سيطر العرب على ايران في عام ٢١ هـ في موقعة نهاوند الشهيرة التي سميت بوقعة « فتح الفتوح » فقد فتحت ايران جميعها بعد هذه المعركة ، وصارت منذ ذلك التأريخ ، تحت سلطان الخلافة العربية ، ومن ثم أخذ يتسع نفوذ اللغة العربيـة في ايران ، فتغلغلت وهي — لغة الدين والسلطان — في البيئة الايرانية ، وانتشرت في المحافل والجامع والمعاهد ، وفي مدة قرنين من حكم الامة العربية شاعت اللغـة العربية ، حتى شملت البلاد الايرانية ، فقرىء القرآن وتلي الحديث وروي ، وأقبل الايراني على العربية من حيث هي لغة شريعته ، يدرسها باتقان ، ليفهم معاني قرآنه ومناحي ايمانه ، وامور دينه ، فصار للعربية يومئذ المحل الاعلى والقـدر الاجل في ايران ، وقد شرع معظم العلماء الايرانيين في تدوين مؤلفاتهم وكتبهم ورسائلهم باللغة العربية حتى انه لم يمل احد منهم الى الكتابة باللغة الايرانية.

ولعل أهم سبب لانتشار اللغة العربية حلاوتها ومرونتها ، وكثرة تساعهـا في شرح العلوم وتيسيرها ، بله جمالهـــا المتمثل في اعرابها وتعبيرها ، واعجازها وايجازها ، ومترادفاتها وامثالها ، وكثرة معانيها حتى اصبح تعلمها شرفا واتقانها فخرا.

وبعد قرنين من ابتداء الحـكم العربي بدأت طلائع الشعر والشعراء في تلك اللغة فظهر الحكيم أبو حفص السغدي والشاعر عباس المروي الذي انشأ قصيدة في مدح المأمون حينما قدم مرو عام ١٩٣ هـ .

وقد ظهر عدة شعراء في عهد بني طاهر والصفاريين والسامانيين الى ان نبغ الرودكي الذي يعده الايرانيون « أبا الشعراء » ولما ظهر أبو القاسم الفردوسي في

عهد الدولة الغزنوية صارت اللغة الايرانية في أوج عزها ، فقد كثر الشعراء والادباء وفي القرن الخامس الهجري اصبحت اللغة الايرانية من اللغات الشعرية الجميلة فقد توافرت فيها عناصر الجمال والخير ، فصارت آدابها غنية رائعة ، بدقة تصويرها وصحة احساسها ، وبديع خيالها وفاتن رقتها وسلاستها . وفي عهد الشاعرين الحكيمين الشهيرين سعدي وحافظ الشيرازيين برزت اللغة الايرانية الحاضرة حاملة لواء أدب اسلامي جديد ، فيـــه من الالوان والاصباغ والروعة والحكمة والعقل وتصوير اللواعج والهواجس ما جعله أدب حب وسحر وجمال .

كانت اللغة الايرانية شائعة في البلاد التي يشملها حكم الانبراطورية العثمانية وقد جعلها العثمانيون في مناهج مدارسهم ، درسا مستقلا تدرس بصورة رسمية ، اذ كانت جزءاً من اللغة التركية وكان رجال العهد العثماني يتذوقونها ويتفاخرون بمعرفتها ، وكان الادب التركي يعد رفيعا من النسق العالي باستعمال مفردات اللغـــة الايرانية ، وقد شغف بها امراء المؤمنين من الخلفاء العثمانيين ، حتى قيل ان الخليفة السلطان محمد رشاد كان من أفقه الخلفاء باللغة الايرانية ، وكان لديوان الخواجة حافظ الشيرازي و — المثنوي — جلال الدين الرومي مكانة عالية في ذلك العهـــد . واعتاد اصحاب الطريقـــة المولوية ان يترنموا باشعار جلال الدين الرومي في مجالس الذكر ويعدون ديوانه واسطـــة بركة وخير . فلن تنتظم حلقة الذكر ما لم يحضر قاريء المثنوي ولا يمس الشجو قلب المريـــدين ولا الوجـــد في جوانح الدراويش الااذا بدأت اهازيج المثنوي ترن في قاعة الذكر مع انين الناي وحنينه.

كربلاء

من المدن التي شاعت فيها اللغة الايرانية منذ القديم مدينة كربلا ، التي تضم جثمان ابي الشهداء الحسين بن علي — عليه السـلام — لكثرة الايرانيين الذين

يؤمونها لزيارة المشاهد المقدسة فيها في كل سنة ، فاصبحت موطناً ثانياً لكثير منهم ، حتى صار كل من ولد ومن سكن فيها يحسن التكلم بالايرانية كأهلها ولاسيما أن فيها عدداً من المجتهدين الايرانيين ، والعلماء الروحانيين ، ممن آثروا البقاء في جوار القبر الشريف ، حباً لصاحبه الشهيد الخالد ، ففي هذه المدينة ولدت وفيها نشأت وفيها ترعرعت ولما علا بي شبابي واستوت قامتي وجدتني اتكلم الايرانية بسهولة كسائر ابناء المدينة برغم أني لم اتعهد دراستها ثم انخرطت في سلك التلاميذ فدخلت المدارس التركية فوجدت الايرانية درساً رسمياً ، فأخذت ادرسها مضافاً الى اني وجدت في بيت ابي امرأة ايرانية جاء بها جدي لتربي اولاده ، وكانت على جانب كبير من الفضل والادب تستظهر أروع القصائد في الفارسية والعربية ، وتحفظ الكثير من الامثال والقصص وتحيط علماً بنكات الادباء والشعراء ، وتحدث جليسها بنبرة جميلة ولهجة حنون يتفجر منهما الصدق والطهر .

قصص واحاديث عن الخيام

كانت مربيتنا « زن آغا » راوية للشعر ، تخزن في حافظتها أعجب القصص والاحاديث واغرب النكات والاساطير ، عن الشعراء والملوك والامراء . تقص باسلوب طلي وتحدث الحديث الطلي ، وكانت اذا بدأت بأيراد نكتة أو رواية امتلكت على مسامعها مشاعره وأودعت في مسارب حسه وتفكيره اخيلة جميلة ، ووضعت تجاه عينيه الواناً وصوراً بأحلى الاصابيغ وانفس الالوان ، وتنقلت بجليسها من حسن الى احسن ، تغمر جوانحه بالعطر وجوارحه بالسحر ، الى ان يتمشى السرور في مفاصله فيبين في أسارير وجهه .

وقد سمعت أول مرة باسم « الخيام » من مربيتي زن آغا ، وكان ذلك في احدى ليالي الشتاء من عام ١٩١٨ ، وكنا قد اعتدنا ان نسمر في غرفتها ، لنشرب القهوة

والشاي فصورت لي « الخيام » بالشاعر الماجن المستهتر بالخمر الضال المضل ، وقـــد حدثتني فقالت : — « عمر الخيام از اهل نيسابور بود منجم وشاعر وقلندر مشرب بود ولى بدبخت باده خوربود » أي كان عمر الخيام من اهل نيسابور ، وكان منجماً وشاعراً قلندري المشرب لكنه لسوء حظه كان مدمناً للخمر . وبعد هذا التعريف الوجيز قصت علي هذه الاسطورة عنه فقالت :

صعد عمر الخيام ذات يوم على قمة جبل من جبال نيسابور ، واخذ معه ابريق خمر ، وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة حطمت ابريقه وكأسه، فانسكبت الخمر على الارض فتألم الخيام وهـاجت ثائرته وغضب غضباً شـــديدا فخاطب الله بهذه الرباعية :—

ابريق مي مرا شكستي ربي
برمن در عيش را ببستي ربي
برخاك فكندي مي كلكون مرا
خاكم بدهن مگر تومستي ربي

اي : — حطمت يا آلهي ابريق خمري واوصدت باب الانس في وجهي .
سكبت على الارض خمري الوردية . فالتراب لفمي . فهل أنت سكران ياربي؟

ولما أتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة سوداء ، ففزعت ابنته وقالت له يا ابتاه قد اسود وجهك . وناولته مرآة فلما نظر الى وجهه في المرآة وألفاه اسود فاحماً بكى بكاءا شديداً ، وندم على فرط في جنب الله ، وعلم ان الله قد غضب عليه وعاقبه بهذا العقاب الشديد، فاستغفر الله هفوة اللسان في هذه الرباعية:

نا كرده كنه درجهان كيست بگو
وانكس كه كنه نكرد چون زيست بگو
من بد كنم وتو بد مكافات دهى
بس فرق ميـان من وتو چيست بگو

أي : يا آلهي قل من الذي لم يرتكب إثماً ، وكيف عاش انسان لم يرتكب إثماً انا أعمل سوءاً وأنت تجازيني بسوء مثله ، اذاً فما الفرق بيني وبينك؟

ولما انتهى من انشاد هذه الرباعية عاد وجهه كما كان اولا.. :

***

وحدثتني بأسطورة اخرى مختصة بعمر الخيام قالت : ذكروا أنه كان استاذاً في مدرسة نيسابور الكبيرة ، وكانت المدرسة مسترمة ، فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة ، وكان الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ ويحاورهم في العلوم ، فشاهد حماراً وقف عند باب المدرسة وقد حرن ، ولم يشأ الدخول اليها برغم السياط التي انزلتها يد الفاعل عليه ، فجاء الخيام وقرب من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية:

اي رفته وباز آمده بل هم كشته
نامت زميان نامها كم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته
ريش از بس كون درآمده دم كشته

أي : يا ايها الذي ذهب وعاد مرة اخرى وصار (كالانعام) بل هم أضل سبيلا قد ضاع اسمك بين الاسماء اجتمعت أظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك في في عجزك ذيلا . فدخل الحمار المدرسة ، فسأله التلاميذ عن سر ذاك ، فأجابهم ان الروح التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح استاذ عاش وتعلم فيها ، لذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها ، غير انه لما شاهد أصحابه الاقدمين رضى بالدخول .

ولما فرغت بي بي جان من ذكر الحكاية ضحك بعضنا واستغرب بعض ،وشتمه الآخرون وتعوذوا بالله ، من نفثات الشيطان على اللسان ، فقالت بالفارسية :

باور نكنيد اين افسانه است . ودر نهايت خداي عزوجل باو ايمان بخشيد زيرا بيش از مرك اين رباعي را كفته بود .

أي : لا تصدقوا فانها خرافة ، وان الله عز وجل وهب له الايمان قبل وفاته ، لانه قال هذه الرعية :

يا رب خردم درخور اسباب تو نيست
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست
من ذات ترا بواجبي كي دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نيست

أي : يا آلهي ان عقلي قاصر عن معرفة أسبابك ، وما تفكيري الا مناجاة لك، أنا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك .

☆☆☆

وقد بعث في هذا الحديث الطلي رغبة الاطلاع على ادب الخيام وسيرته فعثرت على نسخة من رباعياته ، وطلبت الى مربيتي ان تدرسني رباعياته ، فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره ما لايتفق مع الشرع ، فالححت عليها الحاحا شديداً فلبت طلبي . ومن ذلك الوقت اخذت ادرس سيرة الخيام وادبه

حياته وسيرته

مولده

اختلف كل الذين بحثوا عن سيرة الخيام وأدبه في تاريخ مولده ، ولم نعثر عليه في كتب التراجم ولا في المؤلفات التي تعرضت له وقد ذكرنا انه ولد في اواسط القرن الخامس للهجرة .

وكما اختلف في تاريخ ميلاده فكذلك اختلف في تاريخ وفاته ، فمؤلف « جهار مقالة » وهي من أقدم الوثائق واصحها لان مدونها تلميذ الخيام وهو أحمد بن عمر ابن علي النظامي العروضي السمرقندي يقول انه قد زار قبره في سنة ٥٣٠ ه ، وقد قيل له ان استاذه قد توفي منذ اربع سنوات ، فعلى هذا يجب أن يكون قد توفي سنة ٥٢٦ الهجرية .

اسمه ولقبه وكنيته

اسمه عمر واسم والده ابراهيم ، وقد سماه شمس الدين سامي بعمر الخيام بن محمد وسماه واضع حواشي المقالات الاربع بعمر بن ابراهيم . وقد صرح البيهقي وابن الأثير والقفطي والشهرزوري بأن والده يسمي ابراهيم فيكون ما ذكره شمس الدين سامي خطأ في ذكر اسم ابيه .

قال واضع حواشي المقالات الاربع وتسميه العرب بالخيامي والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشيء من تباين اللغتين . ولقبه غياث الدين وكنيته أبو الفتح . وكلمة

الخيام تدل على انها لقب له أو لعائلته ، على أنه قد فسر هذا اللقب في رباعيات له قال :

خيـــام تنت بخيمهٔ مانند راست
جان سلطانيكه منزلش دار بقاست
فراش ازل زبهر ديكر مـــنزل
نه خيمه بيفكند جو سلطان برخواست

ياخيام ان جسدك يماثل الخيمة حقاً ، والروح التي منزلها دار البقاء تشـبه السلطان فإذا ارتحل السلطان أفلا تقوض الخيمة ؟

خيام كه خيمه هاى حكمت ميدوخت
در كورهٔ غم نتاد وناكاه بسوخت
مقراض اجل طناب عمرش ببريد
دلال أمل برايـــكانش بفروخت

وقع الخيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الغم فجأة واحترق ، وقد قوض مقراض الاجل طنب عمره ، وباعه دلال الأمل رخيصاً .

نسبه وعائلته

لم نعثر على نسب الخيام ولم نعلم من أي الطبقات كانت عائلته . ويا ليتنا عثرنا على نسبه وعرفنا أبويه معرفة تامة ، لان ذلك يسهل علينا الوصول الى معرفة السر في تكييف خلقه وسجيته ، اذ لا ينكر ما لقانون الوراثة من الأثر والفعل . والظاهر من لفظه (الخيـــامي) ان والده كان يحترف بصنع الخيـام أو بيعها وسواء أكانت عائلته تحترف بصنع الخيام أم ببيع المجوهرات وسواء أكان بيته بيتاً وسطاً أم بيت امراء فالخيـــام قائم بنفسه ، فهو ابن عقله قد انبأ عنه علمه وحكمته وأدبه بأنه من النابغين .

وطنه

المشهور انه ولد في نيسابو ، وفيها تلقى علومه ، غير ان صاحب التاريخ الالفي « احمد بن نصر الله التتوي » يزعم بان في المؤرخين من يقول : انه ولد في قرية « شمشاد » التابعة لمدينة بلخ ، ومنهم من يقول انه ولد في قرية (بسنك) من توابع استراباد ، غير ان البيهقي والقفطي والشهرزوري والقزويني يصرحون في مؤلفاتهم بأنه ولد في نيسابور وهذا هو الصحيح .

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون في ايام عثمان — رضى الله عنه — وامارة عبدالله بن كريز في سنة ٣١ صلحا ، وبني بها جامعاً ، وفي رواية اخرى انها فتحت في ايام عمر الفاروق على يد الاحنف بن قيس ، وانما انتقضت في ايام عثمان فارسل بن عبدالله بن عامر ففتحها ثانية ، وقد وصفها ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان بانها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، وهي معدن الفضلاء ومعدن العلماء ، وقال : لم ار فيما تطوفت من البلاد مدينة كانت مثلها ، واكثر شرب اهل نيسابو من قنى تجري تحت الارض ينزل اليها في سراديب مهيأة لذلك ، فيوجد الماء تحت الارض ، وليس بصادق الحلاوة ، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات وبها ريباس ليس في الدنيا مثله ، تكون الواحدة منه منا واكثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة ارطال بالعراقي وهي بيضاء ناصعة البياض كأنها الطالع .

وكانت نيسابور حافلة باهل العلم والادب وقد خرج منها عدد غير يسير من أئمة العلم ومنهم الفلاسفة والاطباء والفلكيون والفقهاء .

والغريب ان الشعراء قد اكثروا من ذم نيسابور كأبي الحسن الاستراباذي الذي يقول :

لا قدس الله نيسابور من بلد ... سوق النفاق بمغناها على ساق
يموت فيها الفتى جوعا وبرهم ... والفضل ماشئت من خير وارزاق
والخير في معدن الفرثي وان برقت ... أنواره في المغاني غير براق

وكقول المرادي :

لا تنزلن بنيسابور مغتربا   الا وحبلك موصول بسلطان
اولا فلا أدب يجدي ولاحسب   يغني ولاحرمة ترعى لانسان

وممن شكا ليله فيها معن بن زائدة الشيباني :

تمطى بنيسابور ليلي وربما   يرى بجنوب الري وهو قصير
ليالي اذ كل الاحبة حاضر   وما كحضور من تحب سرور
فاصبحت أما من احب فنازح   وأما الالى اقليهم فحضور

وفي نيسابور تلقى عمر الخيام علومه ، وفيها ولد ومات ، وقد سعدت بزيارة قبره مع عصبة من المستشرقين من فضلاء الفرنجة في شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٤ ، في اثناء انعقاد المؤتمر الألفي للشاعر العظيم أبي القاسم الفردوسي ، وقبره في ربض من ارباض نيسابور في جنة غناء ضمت قبر (امام زاده محروق) وجثمانه الطاهر .

اسفاره

قام عمر الخيام برحلتين الاولى في فارس والثانية ، الى بلاد العرب هي التي ادى فيها فريضة الحج ومكث في ايابه ببغداد مدة من الزمن لا نعلم مقدارها.

اما الرحلة الاولى فيظهر انها لم تتعد السفر الى الري وبلخ وبخارى وفي بلخ زاره تلميذه العروضي السمرقندي في سنة ٥٠٦هـ في دار امارة« امير بوسعد جرة»؟؟

وذكر الشهرزوري أن الخاقان شمس الملك ببخارى كان يعظمه فيجلس الخيام معه على سريره فبذلك يكون قد زار بخارى .

وأما رحلته الى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطي فقال : — « ولما قدح أهل زمانه في دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشي على دمه وامسك من عنان

لسانه وقلمه، وحج متاقاة لاتقية .. » . فالظاهر من هذه العبارة ان الخيام رغب في الحج ، وشد الرحال الى بيت الله ، تسكيناً للخواطر والنفوس التي حنقت وثارت عليه متهمة اياه بالزندقة .

ثم قال « ولما حصل ببغداد سعى إليه أهل طريقته في العلم القديم، فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم ... »

ولم يذكر لنا القفطي المدة التي اقامها ببغداد ، ولا شك أنه قد استفاد من بقائه في بغـــداد فائدة عظيمة ، إذ كانت مقر الخلفاء من بني العباس ، وكعبة العلم يقصدها الشعراء والحــكماء والرواة ، وكانت آهلة بالمدارس ، حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والادبية ، كثيرة خزائن الكتب وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل ، في الحــكمة والفقه ، والــكلام والعلوم الشائعة . وبالجمــلة كانت الحيــاة العلمية والادبية غضة زاهية نضرة . وقد أشار الى بغداد في رباعياته فقال :—

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ
بيمانه جوبر شود جه بغـــداد جه بلخ
مي نوش كه بعـــد ازمن وتو ماه بسي
از سلخ به غره آيـــد از غره بسلخ

سيان عندي حلو العمر ومره مادام الى انقضاء واذا امتلأت الكأس أي (امت) فسيان عندي أمت في بغداد أم في بلخ . احس يا صاح كؤوس الحميا ، فان القمر سيتنقل من بعدي وبعدك من السلخ الى الغرة ومن الغرة الى السلخ كثيراً .

شهرته

صرحت التراجم التي دونها المؤرخون بأن عمر الخيام كان متمتعاً بشهرة واسعة في عصره ، وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ما كان له من علم وادب وحكمة

وقد لقب في حياته بالقاب فخمة جليلة ، فكان تلميذه العروضي السمرقندي يسميه « حجة الحق » وقد دون البيهقي ترجمته فسماه « الامام والدستور والفيلسوف وحجة الحق » ، وبالغ الامام القاضي ابو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوي في الثناء عليه فسماه « سيد الحكماء » ولما سأله عن حكمة الله تعالى في خلقه العالم وتكليفه الناس العبادات صدر الرسالة بأبيات في مدح الخيام : —

ان كنت ترعين ياريح الصبا ذممي ... فاقري السلام على العلامة الخيمي
بوسي لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدي جدرى من الحكم
فهو الحكيم الذي تسقى سحائبه ... ماء الحياة رفات الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأتبها ... تغني براهينه عن ان يقال لم

وقد لقب الخيام في عصره « بالفيلسوف » نفهم ذلك من رباعية له وقد تنصل فيها من هذه الكلمة فقال : —

دشمن بغلط كفت كه من فلسفيم
ايزد داند كه آنجه او كفت نيم
ليكن جو در اين غم آشيان آمده ام
آخر كم از آنكه من بدانم كه كيم ؟

اخطأ العدو بقوله إني فلسفي ، وقد علم الله أني لست كما قال ولكن اذ وجدت نفسي في دار الغم « فلا اقل من أن اعرف من أنا .

مزاجه

ان الذي ظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام أنه كان حاد الطبع عصبي المزاج ، وأن رباعياته المشحونة بشكوكه وأوهامه وآلامه وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله في حل المشكلات العلمية والفلسفة

واعتزاله الناس وحبه الانفراد تدلنا على انه لم يكن متمتعاً بمزاج معتدل قط وانما كانت تغلب عليه الغلظة وحدة الطبع . وتلك صفات تلازم الحكماء والمفكرين والفلاسفة المتشائمين ، وكان الخيام شديد التشاؤم — كما سنبرهن عليه — وقد قال البيهقي : انه كان سيء الخلق ضيق العطن . والظاهر انه تعسر على الناس ان يطلعوا على سريرته فوصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهماً ، وإلا فان الخيام لم يكن مجرما حتى يستحق ان توجه عليه هذه التهمة ، وكل مافي الامر انه كان حاد المزاج كما يظهر للمتأمل .

مواهبه

كان عمر الخيام ذكي الفؤاد فطناً سريع الحفظ قوي الذاكرة ، وقد دلت رباعياته ومؤلفاته واطلاعه الواسع في مختلف العلوم والفنون على عقل راجح ، وقريحة نادرة وعبقرية فذة حتى لقد ذكروا الاعاجيب عنه ولاسيما فيما يتعلق بقوة ذاكرته . فقد ذكر البيهقي والشهرزوري أنه تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه ، وعاد إلى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت

والامر الذي لا شك فيه ان الرجل كان قوي الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة .

اتهامه بالزندقة

كان الخيام متضلعاً من الفلسفة والطب وسائر العلوم الشائعة في عصره ،وفاق اقرانه وبز لداته واترابه من معاصريه . وقد أجمع الرواة على انه كان فذا منقطع النظير في اجزاء الحكمة ، في الرياضيات والمعقولات ، ولما شاعت آراؤه في الفلسفة وذاعت نظرياته في الحكمةصدم الناس هذه الحقائق الناصعة فوصموه بالزندقة وطعنوا

عليه في عقيدته ، وظنوا فيه الظنون واخذوا يتقولون عليه ويثلبونه

وقد قال فيه الشيخ نجم الدين ابو بكر الرازي سنة ٦٢٠هـ في كتابه مرصاد العباد : إن عمر قد تاه في بيداء الضلال بقوله الرباعية (التى المعنا اليها قبلا) . وزعم القفطي كما نقلناه آنفاً أن قد قدح أهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره في مكنونه فخشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لاتقية وابدى اسرارا من السرار غير نقية .. وقد ادرك الخيام تقولات الحاقدين الحاسدين فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره :

كرمن زمي مغانه مستم مستم
كر كافر وكبر وبتبرستم هستم
هر طايفهٔ بمن كماني دارنـــد
من زان خودم چنانكه هستم هستم

انا ان كنت ثمـــلا بخمرة المجوس فانا ذاك او كنت كافرا او مجوسيا او وثنياً فانا ذاك فلكل زمرة من الناس ظن في اما انا فملك نفسى اكون كما اريد

الوثائق التاريخية

التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه

— ١ —

الزمخشري

ان من اقدام الوثائق التاريخية التى تضمنت اخبـــار عمر الخيام الرسالة الموسومة (بالزاجر للصغار عن معارضة الكبار) لابى القاسم الزمخشري التي الفها قبل سنة ٥١٦ هـ وقد جاء فيها ما نصه :

« ولعهدي بحكيم الدنيا وفيلسوفها الشيخ الامام الخيامي ، وقد نظمني وايـاه المجلس الفريدي (١) فسألني عن عـين المطبق والمصمم في وصف السيف ، فقلت انهـــا مكسورة ، وفسرت المطبق بانه الذي يصيب طبق المفصل ، والمصمم بالذي يصيب صميمه ، وقلت : ومنه قول الخاصة صممت عزمه (كذا والظاهر عزيمة) فلان ، وصمم فلان ، عزيمة من غلط العامة ، وآنسته بقوله (يطبق في افعاله ويصمم) فقال انا كنت اعرف ان العين فيها مفتوحة . وتكلم في ذلك بكلام ، فلما كان بعد ذلك بايام قعد ينشد في المجلس الفريدي عينيه ابى العلا :

---

(١) نسبة الى فريـــد العصري ابي مضر محمود بن جرير الضبي الاديب شيخ الزمخشري المتوفي سنة (٥٠٧) هـ

نبي من الغربان ليس على شرع   يخبرنا ان الشعوب الى صدع

فقال (أصدقه في مرته وقد امترت) ملحنته، فلج وادعى ان الموت الكذب ، فقلت لعله مذكور في الكتاب الذي ذكر المطبق والمصمم بفتح العين ، فصمت مسقوطاً في يده ، ثم زاد في توقيري ، وقال غيره مرة لفريد العصر ما انس لا انس سهم الجواب الذي رميت به عن قوس فلان ، وكان يجلس الينا ، ويتسمع الاوراد التى تدرس بين يدي ، وكان يقول لاصحابى : الا اخبركم عن بصيرة وخبرة ان مثل هذا الترتيب و التحقيق لايوجد في جميع المعمورة الا في هذه الرقعة خاصة فاعلموا .

— ٢ —

العروضي السمرقندى

وقد ذكره العروضى السمرقندي احمد بن عمر بن على النظامي في كتابه (جهار مقاله) وكان تلميذاً للخيام — كما اومأنا اليه سابقاً — في المقالة الثالثة التي افردها لاخبار الفلكيين بفقرتين ثبت ترجمتها فقال : —

الفقرة الاولى — في سنة ٥٠٦ الهجرية في مدينة بلخ . في حارة الرقيق كان الامام عمر الخيام والامام مظفر الاسفزازي نازلين في دار اماره (امير بو سعد جره) قد حظيت حينذاك بلقائهما هناك ، وفي اثناء الحديث سمعت حجة الحق — يقصد عمر الخيام — يقول : — اني اذا مت فان قبري سيكون في مكان يهب عليه نسيم الربيع وينثر عليه الزهر والورد . فرأيت ان هذا القول ممتنع الوقوع لاني كنت اعلم ان عمر الخيام لا يتكلم عبثا . وجزافا ولما جئت نيسابور سنة ٥٣٠ الهجرية بلغني ان التراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلي يتيما . ولما كان له على حق التعليم ذهبت الى زيارة قبره في يوم الجمعة واستصحبت معي رجلا ليدلني

عليه ، فاخذني الى مقبرة (حيرة) ولما دخلنا التفت الى اليسار ، فوجدت قبره بجانب جدار حديث وقد تدلت عليه اشجار الكمثرى والخوخ وتساقط عليه الورد حتى اخفاه ، فتذكرت قوله لي في بلخ فبكيت لاني لم اجد في هذا العالم نظيرا له . اني رأيت حجة الحق الحكيم عمر الخيام ، لكني لم اجده معتقدا بالنجوم على اني لم ار من الاعاظم من كان يعتقد باحكام النجوم

الفقرة الثانية — في سنة ٥٩٨ الهجرية في مدينة (مرو) ارسل السلطان الى وزيره الاكبر صدر الدين محمد بن مظفر رحمه الله شخصا له ليخبر الامام عمر الخيام ليختار وقتا غير ممكن المطر نذهب فيه الى الصيد ، وكان الامام عمر الخيام احد مصاحبي الوزير وكان يتردد اليه فارسل الوزير من جاءه بالخيام واخبره بما جرى . فانتخب الخيام يومين وذهب الى السلطان واركبه للصيد في ساعة ميمونة فلما قطع مرحلة تكاثفت السحب في السماء وهبت الريح شديدة وتساقط البرد . فضحكت الحاشية واراد السلطان العودة ، فقال له الامام عمر الخيام : — ليطمئن قلب السلطان فسوف تنقشع الغيوم في هذه الساعة ولا يقع المطر مدة خمسة ايام . وقد صح ما قاله الخيام فلم يقع المطر خلال الخمسة الايام . ومع ان فن النجوم صنعة معروفة فلا يجب ان يعتقد به وليس للمنجم ان يعتمد عليه ويجب ان يحيل الحكم الذي يصدره على القضاء والقدر .

— ٣ —

البيهقي

هو الشيخ الامام ظهير الدين ابو الحسن ابن الامام ابي القاسم البيهقي المتوفي في حدود ٥٦٥ الهجرية فقد ذكر في كتابه (حكماء الاسلام) ما نصه : —

الدستور الفيلسوف حجة الحق عمر بن ابراهيم الخيام .

كان نيسابوري الميلاد والآباء والاجداد وكان تلو ابي علي في اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن وقد تأمل كتابا باصفهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور واملاه . فقوبل بنسخة الاصل فلم يوجد بينهما كثير تفاوت

وطالعه الجوزاء والشمس وعطارد على درجة الطالع في ح من الجوزاء وعطارد ميمي والمشتري من التثليث ناظر اليهما . وله ضنة بالتصنيف والتعليم ولم ار له تصنيفا الا مختصرا . في الطبيعيات ورسالة في الموجود ورسالة في الكون والتكليف وكان عالما باللغة والفقه والتواريخ وقيل دخل الامام عمر يوما على شهاب الاسلام الوزير وهو عبد الرزاق بن الفقيه الاجل ابي القاسم عبدالله بن علي ابن اخ نظام الملك وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزال وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية — فقال شهاب الاسلام — على الخبير سقطنا فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء . وعلل كل واحد وذكر الشواذ وعللها وفضل وجها واحدا على سائر الوجوه . فقال : — امام القراء ابو الحسن الغزال كثر الله في العلماء مثلك . اجعلني من ادمة اهلك وارض عني فاني ما ظننت ان واحدا من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء

واما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها دخل عليه يوما حجة الاسلام محمد الغزالي رضي الله عنه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع ان الفلك متشابه الاجزاء وانا قد ذكرت ذلك في كتابي عرائس النفائس من تصنيفي .فأطال الامام عمر الكلام وابتدأ من ان الحركة من مقولة (كذا) وظن بالخوض في محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى قام قائم الظهيرة واذن المؤذن فقال الامام الغزالي (رضي) : — جاء الحق وزهق الباطل وقام

ودخل الامام عمر يوما على السلطان الاعظم سنجر وهو صبي وقد اصابه

الجدري فخرج من عنـــده فقال له الوزير مجير الدولة . ــ كيف رأيته وبأي شيء عالجته فقلنا له الامام عمر . ــ الصبي مخوف ففهم ذلك خادم حبشي ورفع ذلك الى السلطان فلما برأ السلطان اضمر بسبب ذلك بغض الام عمر وكان لا يحبه وكان السلطان ملكشاه ينزله منزله الندماء والخاقان شمس الملوك ببخاري يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام عمر معه على سريره .

وحكى الامام عمر يوما لوالدي قال : اني كنت يوما بين يدي السلطان ملكشاه ،فدخل عليه صبي من اولاد الامراء ، وادى خدمة مرضية فتعجبت من حسن خدمته على صغر سنه فقال لي السلطان : لا تتعجب فأن فرخ الدجاجـة اذا تفقأت بيضته يلتقط الحب بلا تعليم ولكنه لا يهتدي الى بيته سبيلا وفرخ الحمامة لا يلتقط الحب الا بتعليم الزق مع ذلك يصير حماما هاديا يطير من مكة الى بغداد فتعجبت من كلام السلطان فقلت : كل كبير ملهم .

وقد دخلت على الامام في خدمة والدي رحمه الله في سنة سبع وخمسمائة فسألني عن بيت في الحماسة وهو : ــ

ولا يرعون اكناف الهوينا اذا حلوا ولا ارض الهدون

فقلت : الهوينا تصغير لا تكبير له كالثريا والحميا والشاعر يشير الى عز هؤلاء ومنعتهم يعني لا يسفون اذا حلوا مكانا الى التقصير ولا الى الامر الحقير بل يقصدون الاشد فالاشد من معالي الامور ثم سألني عن انواع الخطوط القوسية فقلت : انواع الخطوط القوسية اربعة منها محيط دائرة ومنها قوس نصف دائرة ومنها قوس اقل من نصف دائرة ومنها قوس اعظم من نصف دائرة فقال لوالدي شنشنة اعرفها من من اخزم .

وحكي لي ختنه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقال: ادع الازكياء حتى اوصى فوصى فقام وصلى .ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى

العشاء الاخيرة سجد وكان يقول في سجوده : اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي فان معرفتي اياك وسيلتي اليك ومات .

— ٤ —

الرازى

وجاء ذكره في كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين ابي بكر الرازي سنة ٦٢٠ هـ ما ترجمته ـ وما الحكمة في جعل هذه الروح العلوية النورانية في قالب سفلي مظلم متخذ في التراب ؟ ثم ما السبب في التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة من بينهما ؟ لم تتلاشى هذه الصورة وهذا الشكل ؟ وما السبب في نشر جسد الانسان في المحشر مرة اخرى ؟

أجل ان الذي خرج من زمرة (كالانعام بل هم اضل سبيلا) ووصـــل الى المرتبة الانسانية وخلص من قوله (ويعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن علم ان ثمر النصر والقدم هو الايمان والعرفان

ان الفيلسوف الدهري الطبيعي محروم هذين المقامين حتى ان احد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قد تاه في بيداء الضلال بقوله : ـ

در دائرهٔ كامدن ورفتن ماست
آنرا نه بدايت نه نهايت پيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست

ان الدائرة التي فيها نجيء ونذهب ليست بذات بداية ونهاية لا احد يستطيع ان يقول من اين هذا المجيء والى اين هذا الذهاب

دأرنده جو تركيب طبائع آراست
از بهرجه او فكندش اندركم وكاست
كرز آنكه بد آمد صور عيب كراست
ورنيك آمد خرابي از بهرجه خواست

لما ركب الخالق الطبائع لماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟ فاذا جاءت رديئة فالعيب عليه . واذا جاءت جيدة فلماذا يخربها ؟

— ٥ —

الشهرزوري

ويلي هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام في كتابه (نزهة الارواح وروضة الافراح) الذي الفه بين سنة ٥٨٦—٦١١ هـ فقال : — عمر الخيام نيشابوري الآثار والميلاد كان تلو ابي علي ابن سينا في اجزاء الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن . تأمل كتابا باصبهان سبع مرات وحفظه ، وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت وله ضنة بالتصنيف والتعليم وله مختصر في الطبيعيات ورسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف وكان عالما بالفقه واللغة والتواريخ

ودخل الامام عمر يوما على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء أبو الحسن الغزال وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحدا فقال الغزال :

(كثر الله في العلماء مثلك اجعلني من بعض اهلك وارض عني فاني ماظننت احداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء) واما اجزاء

الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن جدتها

ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء فطول الخيامي الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا وضن بالخوض في محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالي : جاءالحق وزهق الباطل وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره

ودخل على السلطان سنجر وهو صبي قد اصابه جدري فلما خرج سأله الوزير كيف داويته وبأي شيء عالجته ؟ فقال عمر : الصبي مخوف عليه فرفع خادم حبشي ذلك الى السلطان فلما شفي السلطان أبغضه

وحكى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الآلهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب . ولما صلى العشاء سجد وكان يقول في سجوده (اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي وان معرفتي اياك وسيلتي اليك) ومات رحمه الله تعالى . وله اشعار حسنة بالفارسية والعربية منها :

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى ... بل الافق الاعلى اذا جاش خاطري
اصوم عن الفحشاء جهراً وخفية ... عفافا وافطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة زلت عن الحق فاهتدت ... بطرق الهدى من فيضي المتقاطر
فان صراطي المستقيم بصائر ... نصبن على وادي العمى كالقناطر

وقال ايضاً :

اذا قنعت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يا زماني موعدي او مواعدي

ولي فوق هـــام النيرين منـازل   وفوق مناط الفرقدين مصـاعدي
أليس قضى الافلاك من دورها بأن   يعيد الى نحس جميع المسـاعد
فيا نفس صـــبراً عن مقيلك انمـا   يخر ذراها بانقضـاض القواعـد
متى ما دنت دنيـــاك كانت بعيدة   فوا عجبي من ذا القريب المبـاعد
اذا كان محصول الحيـــاة منية   فسيان حالا كل ســـاع وقاعـد

وقال :

زجيت دهراً طويلا في التماس اخ   يرعى ودادي اذا ذو خـلة خانـا
فـكم الفت وكم آخيت غير اخ   وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبهـا   بالله لا تألفي ما عشت انسـانـا

— ٦ —

ابن الاثير

وقد جاء ذكره في كتاب كامل التواريخ لابن الاثير المتوفي سنة « ٦٣٠ » ه فقد ذكر في ذيل حوادث سنة ٤٦٧ ه ما نصه :

« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم . وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وأبي المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليه من الاموال شيء عظيم وبقي الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ ه فبطل بعد موته .

— ٧ —

القفطي

ومن ترجمه من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفي سنة ٦٤٦ هـ قال :

« امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنيـة حسب القواعد اليونانية وقد وقف متأخر والصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حيات للشريعة لواسع ومجامع للاغلال جوامع ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابـدى اسراراً من السرار غير نقية . ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغـدو ويكتم اسراره ولابد ان تبدو وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق العصمة وله شعر طائر تظهر خفيـاته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدرخافيه فمنه:

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازماني موعدي اومواعدي
اليس قضى الافلاك في دورها بان ... تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما ... تخر ذراها بانقضاض القواعد

— ٨ —

القزويني

وممن ذكره من المؤرخين عماد الدين زكريا بن محمود القزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد واخبار العباد الذي الفه سنة ٦٧٤ ﻫ قال في كلامه على نيشابور :

« ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفاً بجميع انواع الحكمة سيما النوع الرياضي وكان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي . سلم اليه مالا كثيراً ليشتري به آلات الرصد ويتخذ رصداً للكواكب فمات السلطان وما تم ذلك .وحكى انه نزل ببعض الربط فوجد اهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ تمثال الطير من الطين ونصبه على شرفة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها . وحكى ان بعض الفقهاء كان يمشي اليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة فاذا حضر عند الناس ذكره بالسوء فأمر عمر باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم في داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس امرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات فجاءه الناس من كل صوب فقال عمر : يا اهل نيشابور هذا عالمكم يأتيني كل يوم في هذا الوقت ويأخذ مني العلم ويذكرني عندكم بما تعلمون فان كنت انا كما يقول فلأي شيء يأخذ علمي والا فلأي شيء يذكر الاستاذ بسوء » ؟

—٥ ٩ ٥—

رشيد الدين

وقد جاء ذكر الخيام في كتاب جامع التواريخ لمؤلفه رشيد الدين بن فضل الله المقتول سنة ٧١٨ الهجرية في حوادث المغول قال ما نصه : — ان اسباب المداواة التي

كانت بين سيدنا حسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا في مدرسة واحدة، على صفاء واخاء وصداقة عظيمة ، حتى شرب كل واحد منهم من دم الآخر وتعاهدوا على ان من ينال منهم درجة كبيرة ورتبة عالية يجب عليه مساعدة رفيقيه وبموجب ما ذكر في تأريخ سلجوق نال نظام الملك منصب الوزارة ، فذهب اليه عمر الخيام وذكره بالعهود والمواثيق في ايام الصبا ، فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة ، وقال له « لك ولاية نيشابور ونواحيها » وكان عمر رجلا كبيراً وحكيماً فاضلا عاقلا فقال: ليس لي رغبة في الولاية ، ونهي العوام والامر عليهم ، فأعطني راتباً شهرياً او سنوياً بحسب الوظيفة ، فخصص له نظام الملك عشرة آلاف دينـار في السنة من دخل نيسابور المحروسة من دون نقص ولا انقطاع ... وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من الري الى نظام الملك ليحظى بخدمته وقال له : الكريم اذا وعد وفى . فقـال له نظام الملك : اختر احدى الولايتين الري أو اصفهان ، وكان سيدنا ذا همة عالية ، فلم يقنع بذلك ولم يرض به ، اذ كان يتوقع ان يشاركه بالوزارة ، فقال له نظام الملك : كن ملازماً لحضرة السلطان مدة .

ولما علم نظام الملك بأن حسناً الصباح طالب لمنصب الوزارة وان هدفه جاهها ورتبتها كان يتحذر منه محترزاً ، وبعد بضع سنوات استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهدته .

— ١٠ —

حمد الله المستوفي القزويني

ومن ذكره المؤرخ حمد الله المستوفي القزويني في كتابه الذي اتمه في سـنة ٧٣٠ هـ قال ما ترجمه :

« عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعا من اكثر العلوم ولاسـيما علم النجوم

وبرز فيه على من كان في عصره وكان من ندماء السلطان ملكشاه السلجوقي . له رسائل جيدة وشعر بديع ومن شعره هذه الرباعية :

هر ذره كه بر روي زميني بوده است
خورشيد رخي زهره جبيني بوده است
كرد از رخ آستين بآزرم فشان
كان هم رخ خوب نازنيني بوده است

اي : ان كل ذرة على وجه الارض هي وجه زهراء الجبين يا هذا انفض التراب من اردانك بادب لان ذلك ايضا وجه جميلة فتانة .

— ١١ —

مير خند

قال صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ مير خند وهو من علماء القرن الثامن للهجرة :—

« قال الاستاذ نظام الملك افاض الله عليه شآبيب الغفران — كان الشيخ الموفق النيسابوري روح الله روحه من كبار علماء خراسان ، وكان محترما يتبرك به ، وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين وكان مشتهراً عنه ان من يتعلم عنده من التلاميذ القرآن والحديث ينالون الرتب العالية فعلى ذلك ارسلني ابي اليه مع الفقيه عبد الصمد للتعلم ، فذهبنا من طوس الى نيسابور للتشرف بباب مجلسه العظيم والتعلم منه ، فشرعت في الاستفادة والتخرج عليه ، وكانت له عناية بي وقد احببته واحترمته كثيراً وبقيت عنده اربع سنين واتفق ان رأيت عند مقدمي اليه تلميذين ذكيين احدهما عمر الخيام والآخر المخذول حسن بن الصباح ، وكان على جانب عظيم من الذكاء ، وبعد قليل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة ، فكانا يأتيان عندي بعد

الدرس فنتدارسه ونتذاكره ، وكان عمر من نيسابور وحسن صباح واسم ابيه علي من الري ، وكان ابوه رجلا سيء المذهب خبيث العقيدة ، يقيم في الري ، وكان اذ ذاك ابو مسلم المروزى واليا على الري وهو معروف بحسن العقيدة والاخلاق الفاضلة وكان حسن يعادي عادات اهل السنة ، ويظهر مفاسدهم ، ولكنه كان يدعي اذا حضر عند ابى مسلم انه بريء من بعض تلك الآراء ، ويحلف الايمان على ذلك . ولما كان الامام الموفق النيسابوري امام اهل السنة والجماعة في نيسابور جاء الملعون (حسن) وشرع في الدرس عليه ، دافعا بطريقة الزهد لشبهة الرفض ، التي اتهم بها ، واختار العزلة ، وكان تارة تروى عنه كلمات تدل على الالحاد والاعتزال وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة . وكان ينتسب الى العرب ويدعي انه من حمير من آل صباح . وان والده من الكوفة اتى الى قم ، ومنها الى الري ، وكان اهل خراسان — ولاسيما اهل طوس — يكذبونه في ذلك ويقولون ان اباه هو احد القرويين من سواد خراسان . قال نظام الملك — فقال لنا حسن يوما كلنا تلاميذ الامام الموفق النيسابوري وسننال الرفعة والحظوة ، فمن يكن منا مظهراً لهذا الفيض ولابد ان يكونه احد منا فماذا سيعمل لاخويه ؟ فقلنا له : ليكن الامر على ماتريد . فقال : يلزمنا ان نتعاهد على ان كل من يصيب ذلك منا يشارك اخويه الآخرين ، ولا يكتفي بمنفعة نفسه ، فقلنا نعم نحن على ذلك . وثقتنا على عهدنا فمضت السنون على هذه الحادثة ، وسافرت من خراسان الى ماوراء جيحون والى غزنة وكابل ، وبقيت مده في غزنة ثم في كابل ولما عدت خولني السلطان الب ارسلان مرتبة خطيرة فجاءني عمر الخيام وقضيت ماتعاهدنا عليه من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له واكرمته واعززته وقلت له بعد ذلك : يلزم ان يكون مثلك من اهل الكمال ملازما لمجلس السلطان وقلت له : سأذكر فضلك للسلطان وأذكر حالك وعلمك فأجعل لك مكانة في نفسه حتى تكون مثلي فقال لي الحكيم الخيام : ان عرقك الشريف ونفسك الكريمة وطينتك الطيبة وهمتك

العاليه التي اظهرت بها هذه المطاليب دعتني اليك والا فان رجلا ضعيفاً مثلي لايكون مظهراً لتواضع وزير المشرق والمغرب ولا ريب في ان هذه التلطفات صادرة عن صدق لاعن تكلف وهي قليلة بالنظر الى مكانك وعلوشأنك لكن اياديك متكاثرة علي ولو قضيت عمري بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التى تفضلت بها علي وانى اتمني ان اكون ابدا في موضع العبودية لدى مقامك وان ما امرت به لي يجب ان لاتكون عاقبته مني الكفران والجحود ، والآن انزوى ملازما لباب دولتك ومشتغلا بنشر العلم والفوائد ، والدعاء لك بالعمر الطويل ، قال نظام الملك . واصر الخيام على هذا الكلام لانى اعلم انه كان يتكلم بما فيضميره بلا تكلف،فامرت ان تجري عليه كل عام ١٢٠٠ دينار من ارتفاع نيسابور ، ينفقها على معاشه ، ولكنه رجع بعد ذلك الى موطنه واتم تعلمه الفنون خصوصاً منالهيئة ، ووصل في هذا الفن الى درجة رفيعة جداً . وفي عهد ملكنا العظيم ملك شاه جاء الخيام الى مرو واخذ في تدريس علم الحكمة ، وكان مظهر عنايسة السلطان وبلغ مقاما كان فيه من كبار العلماء والحكماء»

— ١٢ —

زوكوفسكى

وقد ورد ذكرالخيام فيالتأريخ الالفي الذي عثر عليهالمستشرق«زوكوفسكي» وهو مختصر « نزهة الارواح » للشهرزوري وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهي : —

أي رفته وباز آمده (بل هم) كشته
نامت زميان نامها كم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته
ريش از بس كوندرآمده دم كشته

أي: — يا من ذهب وعاد وصار «بل هم كالانعام اواضل سبيلا» لقد ضاع اسمك بين الاسماء واجتمعت اضافيرك وصارت جوافر وظهرت لحيتك في عجزك ذيلا .

— ١٣ —

خاقاني الشيرواني

وقد ورد اسم الخيام في اشعار خاقاني الشيرواني الذي توفي سنة ٥٩٥ هقال:—

زان عقل بد وكفته كه اي عمر عثمان
هم عمر خيامي وهم عمر خطاب

— ١٤ —

خسرو الابرقوهي

وذكره خسرو الابرقوهي مؤلف «فردوس التواريخ» سنة ٨٠٨ ه وقد نقل ما ذكره حمد الله المستوفي مؤلف «تأريخ كزيدة» عينا ونصا

— ١٥ —

لطفعلي آذر

وذكره لطفعلي آذر صاحب كتاب «آتشكده» فنقل في مؤلفه ما ذكره «مير خند» في روضة الصفا عن اجتماع الخيام وابن الصباح ونظام الملك في مدرسة الامام الموفق النيسابوري وتعاهدهم على ما ذكرناه

— ١٦ —

كاتب جلبي

وذكره ايضاً كاتب جلبي في كتابه « كشف الظنون » المطبوع في ستة مجلدات سنة ١٨٣٥ م فقد جاء في المجلد الثاني ص ٥٨٤ ما نصه : — قال الفاضل عمر بن ابراهيم الخيامي ان احد المعاني التعليمية من الرياضيات هو الجبر والمقابلة وفيه ما يحتاج الى اصناف من المقدمات معتاصة جداً معتذر حلها . وجاء في المجلد الثالث ص ٥٧٠ ما نصه : — الزيج الملكشاهي لعمر الخيام ذكره عبد الواحد في شرح « سي فصل » ثلاثون فصلا وجاء في المجلد السادس ص ٢٧٣ ما نصه : — مهجة التوحيد لعلاء الدولة ملك الري كان معاصراً للخيام .

— ١٧ —

الخونساري

وقد ترجمه الخونساري في مؤلفه « روضات الجنات » وقد نقلها بالحرف من البيهقي صاحب « صوان الحكمة » وزاد عليها قوله • ومن المنسوب الى الخيام بالفارسي وهو صريح في الجبرية والاشعرية قوله : —

مي خوردن من نزد خدا سهل بود — كرمي نخورم علم خدا جهل بود

وقد رد عليه مولانا الخواجه نصير الدين الطوسي بقوله :

علم ازلي علت عصيان كردن نزد عقلا زغايت جهل بود

مقام الخيام في الاداب الحديثة

الرباعيات في اللغات الاجنبية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعياته وبضع رسائل في الفلسفة والطبيعيات والجبر والكيمياء . وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما اثار في نفوسهم الاعجاب الشديد بها فافتتنوا بها اي افتتان وتهافتوا على ترجمتها الى اللغات نثرا ونظما ، واستظهروها وتمثلوها في مجالسهم وانديتهم والذين تولوا الاشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته واذاعة صيته هم جماعة من اعلام المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل في بعث اسمه واعلاء شأنه ولولا هؤلاء الافاضل لبقي الخيام خامل الذكر مجهولا لاذكر له عند الناس . ولست اريد ان ابحث عن السبب الذي ساق هؤلاء الى الاعتناء والرغبة فيها وانما يكفيني ان اقول ان المعاني الجليلة التي تضمنتها الرباعيات صادفت هوى في القلوب على اختلاف المشارب ولاءمت الاذواق والطباع فليس في الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الوسيع وانما تجلى فيها الذوق الانساني العام فكان الخيام كمن ترجم عن احساس الناس وعبر عن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآمالهم وآلامهم وباح بمكنوناتهم ودخائلهم

هذا هو السر الذي بعث الميل اليه في نفوس الناس وها نحن اولاء نذكر اسماء الرجال الذين عنوا برباعياته .

اول من عرف الخيام من الفرنجة العلامة توماس هايد Thomas Hyde استاذ اللغتين العربية والعبرانية في جامعة اكسفورد ومؤلف تاريخ اديان البرثيين والميديين وقد بحث في شعر عمر الخيام في مؤلفه الذي ظهر في سنة ١٧٠٠ م .

وفي سنة ١٨١٨ م ترجم المستشرق النمساوي هامر برغستل Hammar Purgstal خمساً وعشرين رباعية ونشرها في كتابه تأريخ الدولة العثمانية مدعياً ان هذه الرباعيات مخالفة للدين الاسلامي .

-- وفي سنة ١٨٥٧م ترجم المستشرق غرسن دوتاسي Gorcin de Tassey عشر رباعيات .

وفي القرن التاسع عشر ترجم المستشرق السير كور ازلي Gore Ouseley رباعيتين وكان سفيرا في طهران وتوفي سنة ١٨٤٤ م .

وفي سنة ١٨٩٨ م ترجم المستشرق ادورد هيرن Edward Haren الرباعيات الى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التي اعتمدها فتز كرالد Fitz Gerald وبين ماراعاه هذا من الاصل في ترجمته وما لم يراعه .

وترجمها الى الفرنسية نثراً المسيو نيقولا Nicolas الذي كان مستخدما في السفارة الفرنسية في طهران وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه النسخة التي طبعت في بمبي ومن رأيه ان الخيام شاعر صوفي مشغول بالعشق الالهي سكران بالخمرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازي .

وترجمها الى الانكليزية كل من ونفلد Whinfield و هالن Hallen و هرسن Hirson و ريشارد لكالين Richard Legallienne لكنهم لم يبلغوا الشأو الذي بلغه فتز كرالد .

وقد ترجمها الى الفرنسية المسيوت . هنري T. Henry وهو من العلماء المعروفين ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزي الاستاذ العلامة دينسن — روس Denison Ross .

وممن تتبع سيرته المستشرق وفالنتين زوكوفسكي Valentin Zhukovski فكتب باللغة الروسية اشياء ترجمها عن دينسن روس .

وبحث المستر براون E. G. Brown استاذ اللغتين العربية والفارسية في كمبرج بحثاً مفيداً في فلسفته وسيرته .

وممن بحث في فلسفته الاستاذ جاكسن Jackson الاميركي .

وبحث المستشرق برتلمي دربلو Barthelémy d'Herbelot المتوفى سنة ١٦٩٥ م في كتابه « المكتبة الشرقية » عن الخيام .

وقد اشتهر الخيام في الغرب — خصوصا بين المتكلمين بالانكليزية — بترجمة الشاعر الانكليزي الموهوب فتز كرالد Fitz Gerald لرباعياته. وقد نشرها في سنة ١٨٥٩ فافتتن بها الانكليز والامريكان افتتاناً عظيما والفضل كله يعود في ظهورها بالانكليزية الى البروفسور كوويل Cowel استاذ العبرية والسنسكريتية في كمبرج وهذا نموذج من نظم فتز كرالد : —

1

Awake for Morning in
the Bowl of Night
Has flung the Stone that
puts the Stars to Flight :
And Lo! the Hunter of
the East has caught
The Sultan's Turret in a
Noose of Light.

2

Dreaming when Dawn's Left
Hand was in the Sky
I heard a Voice within the
Tavern cry
, Awake my Little ones,
and fil the cup
Before Life,s Liquor in its
Cup be dry

3

And, as the Cock crew, those
who stood before
The Tavern shouted Open
then the Door!
You know how little
while we have to stay,
And once departed,may
return no more

الرباعيات في اللغة العربية

— ١ —

البستاني

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً الشاعر الرقيق وديع البستاني فترجم اربعين رباعياً من الانكليزية من نظم الشاعر « فيتزكرالد » وهذا لم يترجم الرباعيات بنصها وفصها وانما نظم معاني الخيام واخرجها في قوالب شعرية هي من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعيدة عن الاصل ولكن عليها مسحة من شاعرية الخيام . والبستاني بترجمته لها ابعدها عن الاصل اكثر الآن له فضل الاولية في لفت انظار العرب الى رباعيات الخيام .

وفي ترجمته رقة وجمال واحساس . واليك نموذجاً من ترجمته :

رب رحماك ان اردت الحسابا   انما قلت ما حسبت صوابا

أفألقى على يديك العقابا

بين من صوروا الوجود سرابا   أنا اجلوك في الكؤوس حبابا

أنا شيخ التوحيد بين الندامى   لا انني ان عددوا الاربابا

☆ ☆ ☆

بت في حانتي سمير المدام   وتبيل انهزام جند الظلام

هتف الطيف بالندامى النيام

ايها الغافلون هبوا قياما   وارشفوها وودعوا الاياما

قبل ان تجرعوا كؤوس المنايا   وتعافوا والخمر عزت شرابا

حل عيد النيروز والانس حلا والنسيم الشافي العليـــل ابلا
وثغور الازهار ترشف طلا
صاح لاحت في دوحنا يد موسى صاح مرت بالروض انفاس عيسى
عاد فصل الربيع والنفس طابت صاح والعيش والسلافة طـابا

☆ ☆ ☆

وليـالي داوود ليست تعود والمغني ولى وولى العود
مع امسي واليوم ازهر عود
فوقه بلبـل يغني اورد شفه السقم من غرام ووجـد
ياحبيباً في وجنتيه اصفرارا عاشت الخمر لا ذبلت اكتئابا

☆ ☆ ☆

ومقـــامي غصن ظليل بقفر ورغيفان مـع زجاجـة خمر
كل زادي والاهل ديوان شعر
وحبيب بهواه قلبي المعنى بشجي يـــذيبني يتغنى
هكذا اسكن القفار نعيا وارى هـذه القصور خرابا

☆☆☆

امس ابصرت جارنا الخزافا يجبل الطين كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدار منه جزافا
وكأني سمعت بين يديـــه صوت حي يبكي ويـدعو عليه
ويك رفقـاً فـأنت طين وماء لتـذوقنه عـــذابي عـذابا

— ٢ —

السباعي

واعقب البستاني السيد محمد السباعي وهذا احد الادباء المصريين فأخرج الى العربية مائة رباعية ورباعية وقد ترجمها ايضاً عن الانكليزيـة البعيدة عن الاصل

الفارسي وهي من حيث السبك والسلاسة والرقة والروعة دون ترجمة البستاني لان فيها من الالفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الاسماع ما يعافه الذوق ويمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستاني . وقد صدر الترجمة بهذين البيتين :

غرد الطير فنبه من نعس   وادر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى   وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربي (ابن وكيع)ولهما ثالث وهو قوله :

وانجلى عن حلل فضية   نالها من ظلم الليل دنس

ولم يشأ السباعي ان يشير الى اسم ابن وكيع تحتهما وانما اغار على قوله فسباه وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب .

واليك الآن نموذجاً من ترجمته :

غرد الطير فنبه من نعس   وادر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الغلس   وانبرى في الشرق رام ارسلا
اسهم الانوار في هام القلاع

***

صاح بي في النوم طيف هاتها   نملأ الاكواب من ياقوتها
قبلما تنضب في كاساتها   خمرة الروح وترتد الى
منبع في الغيب مجهول البقاع

***

— ٣ —

الهاشمي

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً في العراق الشاعر صديقنا الاستاذ

الاديب السيد محمد الهاشمي . وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى نظمها في العربية فجاءت الترجمة طبقاً للاصل الفارسي وآية في الرقة والسلاسة منها :

يا الهي اذا جنيت فـآثمي يا الهي على شبابي وجسمي
وعلى نفسي الحزينة جرمي انا جان رجوت عفراً وصفحا
منك قد غره رضاك فجارا

جيئتي في الدنيا اذى واضطراب . وبقائي تحير وارتياب
وبقسر يكون مني ذهاب اي قصد من جيئة وبقاء
وذهاب ؟ قد ضلت الالباب

بيد مصحف وكأس بأخرى تارة بالجلال آتى وطورا
بحرام آتى فأحمل وزرا لست تحت السماء بالكافر الملحـ
ـد ولا كنت كامل الاسلام

***

يا آلهي اوعدتني بعذاب انا منه في حيرة واضطراب
اين قل يا ربى مكان العذاب حينما كنت لا عذاب فأني
هو ؟ اذ انتم بكل مكان

***

— ٤ —

الصافي

وعندي ان اصح الترجمات على الإطلاق هي ترجمة الشاعر العربي الفذ صديقنا احمد الصافي النجفي الذي ارانا المعجز في ترجمته الجميلة الرائعة ولو طلب الى الخيام — وهو الاديب المتضلع من العربية — ان ينقل رباعياته الى العربية لما

استطاع ان يعربها كتعريب الصافي ولو لا قرابة قوية بين الصافي والخيام في التفكير والصفات لما قدر الصافي ان يترجم الخيام فالصافي خيام العرب ومن يطالع شعر الصافي يجد روحه اكثر شبها بروح الخيام فكأن انفاس الخيام ترددت في صدره وكأن عبقريته قد انتقلت اليه واليك نموذجا من ترجمته الجليلة :

آلهي قل لي من خلا من خطيئة — وكيف ترى عاش البريء من الذنب
اذا كنت تجزي الذنب مني بمثله — فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي

***

جاء من حاننا النداء سحيرا — يا خليعا قد هام بالحانات
قم لكي نملأ الكؤوس مداما — قبل ان تمتلي كؤوس الحياة

***

قم قبل غارة الاسى مبكرا — وادع بها وردية تجلو الدجى
فلست يا هذا الغبي عسجدا — حتى توارى في الثرى وتخرجا

***

ان ذاك القصر الذي ضم جمشيـ — ـد وفيه تناول الاقداحا
ولدت ظبية الفلا خشفها فيـ — ـه وامسى الى ابن آوى مراحا
يا لبهرام كيف كان يصيد الـ — ـوحش من قبل غدوة ورواحا
فانظر الآن كيف قد صاده القبـ — ـر وامسى لا يستطيع براحا

***

— ٥ —

الزهاوي

ثم اعقبه الاستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي فترجم الرباعيات

من الاصل الفارسي رباعية برباعية نثراً ثم نظما شيئاً بعدشيء واختار منها مائة وثلاثين رباعية فمن ترجمته :

انا ان لم احس السلافة يوما كان للهم في فؤادي ديب
قيل لي تب فقلت ان كان ربي لم يشأ توبتي فكيف اتوب

☆☆☆

لعبوا بالتراب دهراً الى ان جبلوا منه في النهاية طيني
انا ما ان اكون احسن مني فمن الكور هكذا افرغوني

☆☆☆

يا يد الماشطات حسناء رودا مشبها وجهها من الحسن زهرا
الغبار انفضيه عنه برفق فلقد كان وجه حسناء اخرى

— ٦ —

احمد رامي

اما في مصر فاول من نقلها عن الفارسية الشـــــاعر احمد رامي وقد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤م ولم اطلع عليها الا عام ١٩٣٠ م وقد درستها بامعان فاذا هي دون ترجمة الزهاوي والهاشمي بكثير فمن ترجمته :ـ

سمعت صوتاً هاتفاً في السحر نادى من القبو غفاة البشر
هبوا املأوا كأس الطلا قبل ان تفعم كأس العمر كف القدر

☆☆☆

احس في نفسي ديب الفناء ولم اصب الا الاسى والشقاء

واحسرتا ان حان حيني ولم	يتح لفكري حل لغز الفضاء

٭٭٭

افق وصب الخمر انعم بها	واكشف خفايا النفس من حجبها
وروّ اوصالي بها قبلما	يصاغ دن الخمر من تربها

— ٧ —

ابو شادي

وكذلك الدكتور احمد زكي ابو شادي فقد نظم مانثره الاستاذ الزهاوي سنة ١٩٢٨ في ١٣٠ رباعية وطبعها بمطبعة المقتطف سنة ١٩٣١ ومن منظومه قوله :

سوف اصغي على المحيا الجميل	ما استطعت النعيم في قرب نهر
حيث زهر وخمرة احتسيها	مثل عهد مضى وعهد سيجري

— ٨ —

مفرج

ثم تولى الاديب الكبير توفيق مفرج خريج جامعة كولومبيا ترجمة الرباعيات من الانكليزية نثراً الى العربية والترجمة مسجعة مسبوكة جميلة .

الرباعيات في اللغة التركية

— ١ —

المعلم فيضي

واول من ترجم الرباعيات الى اللغة التركية هو المرحوم المعلم الكبير فيضي ولم يترجم اكثر من مئة رباعي .

— ٢ —

مستجابي زاده عصمت

ثم اعقبه الاديب المعروف مستجابي زاده عصمت فترجم الرباعيـــات الى اللغة التركية .

— ٣ —

عبد الله جودت

ثم عبدالله جودت الاديب للتركي الشهير وقد اشتهرت ترجمته اكثر من غيرها ومن ترجمته :

باشمده یانان حسرتكه تاج دیرم
راهكده دوشوب اولمه‌یه معراج دیرم
هم شاعر آزاده وهم بندهٔ حسن
بهكو كله شاهنشه محتاج دیرم

— ٤ —

رضا توفيق

ثم جاء الفيلسوف الشاعر رضا توفيق بك والف كتاباً بالاشتراك مع الاديب المحقق حسين دانش وهو انفس كتاب ظهر في اللغة التركية في رباعيات الخيام .

— ٥ —

حسين دانش

ثم الف الاديب الايراني المشهور حسين دانش كتابا عن الخيام في التركية وترجم الرباعيات .

— ٦ —

الازميري

ثم نشر الاديب التركي حافظ عبدالقادر الازميري رسالة صغيرة تضمنت ترجمة مختصرة لعمر الخيام .

— ٧ —

رفعت احمد

وترجم الشاعر التركي رفعت احمد بك اربعين رباعياً فوفق كثيراً .

— ٨ —

حسين رفعت

وآخر من نقلها الى التركية الاديب التركي الفاضل حسين رفعت بك وقد ترجّم (١٥٨) رباعية فاجاد كل الاجادة في النقل وحافظ على روعة الاصل الا انه استعان كثيراً بالالفاظ الفارسية وهي النقص الوحيد الذي يؤاخذ عليه . فمن ترجمته :

بر سحر وقتي ندا كلدي بزم ميكده دن
ديدي ! اي رند خرابات نه دور ورسك ياهو ؟
قالق كه لبريز ايده لم « مي » ايله بيمانه لري
اولمادن بوش قافامز خاك سهيله مملو

✡✡✡

بو كيجه ساغر كلرنك ايله بن
دلي تنشيط ايده يم تا بصباح
غفل وديني بو شايوب اوج كره
ايده يم باده يي تزويج و نكاح

الرباعيات في العبرانية

— ١ —

عزرا حداد

نقلت الرباعيات الى اللغة العبرية، وأول من تصدى الى نقلها، على ما أعلم، صديقنا الشاعر الالمعي الاديب الاستاذ عزرا حداد . وفيما يلي نموذج من ترجمته :—

כי בוקר מימי הבלי
אשוב לבלי טעום שכור
וכבוא ערב, והן אצלי
כוסי, את שפתי תעבור

עת מחומר יצרתני
אללאה — ידעת עלומי
ממך היה כל מצפוני —
רוחי, בשרי, עצמי

אם כן, אפא, למה ביום
תקימני לדין, ארשע
למה אחר משפט איום
אמצא שואה בלי ישע?

— ٢ —

سليم اسحق

ثم اعقبه صديقنا المأسوف عليه العالم الفاضل المحامي سليم اسحق فنقل الرباعيات الى العبرية . وفيما يلي نموذج من ترجمته :—

תוך הגלגל המצחק
בבני עולם בגלגולו —
יש איש אחד ' ויש שני
אשר טוב לו בעמלו —
זה המבין סוד הגלגל
ועגולו גם פעלו '
וזה אשר אין יודע
בין ימינו בין שמאלו .

כופרים יאמרו : העולם הוא דבר ישן
חדש ' יאמר המאמין והדרשן .
ואחר כי אני תחת עפר אישן
מה לי אם חדש הוא ואם ישן ؟

عصر الخيام

نشأ عمر الخيـــام في عهد الدولة السلجوقية الكبرى ، التي بسطت سلطانها على خراسان وكرمان والري والجبال واذربيجان وبلاد الروم والعراق والجزيرة واليمن وفارس ، وهو يقابل اواسط القرن الهجري الخامس والمائة الثالثة من حكم الدولة العباسية ، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغـداد سنة ٤٤٧ هـ ، وقد اسس هذه الدولة أبوطالب طغرلبك وانقرضت على يد شاهات خوارزم سنة ٥٩٠هـ بامر الخليفة العباسي الامام الناصر لدين الله ابي العبـاس احمد بن المستضيء بامر الله ٥٨٥ — ٦٢٢ هـ وقد حكمها تسعة سلاطين هم طغريل بك والب ارسلان وملكشاه وبركياروق وابو شجاع محمد وأبو الحـارث سنجر ومحمد الثاني بن محمود بن محمد الاول وأرسلان بن طغريل الثاني بن محمد الاول وابنه طغريل الثالث بن ارسلان الذي قتله خوارزمشاه تكش سنة ٥٩٠ هـ .

وقد عاش الخيام في كنف هذه الدولة ، وعاصر السلطان ألب ارسلان والسلطان ملكشاه الذي عهـد اليه امور الرصد ورتب له الخيام « الزيج » الجلالي وادرك ايضا عهد بركياروق ومحمد وسنجر أبناء ملكشاه المذكور وغيرهم ومات في سلطنة السلطان سنجر الذي أصيب بالجدري وعالجه الخيام .

الوضع السياسي

كانت الخلافة العباسية في هذا العهد ضئيلة الحـكم والسلطة ، وكان نفوذ كلمة الخلفاء لا يتجاوز ابواب قصورهم ، ولم يكن لهم من الامر شيء سوى ذكر

أسمائهم على المنابر وضربها على النقود ، وكانوا كالآلة الصماء في يد سلاطين آل بويه ، وفي بداية عصر عمر الخيام تفرقت كلمة آل بويه في بغداد ، وزالت هيبتهم من القلوب وفيه استولى السلاجقة على بغداد كما أسلفنا ، وظهرت الطائفة الباطنية فرعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصي على القلم تصويره .

وفي عهده هز التعصب الديني أعصاب النصرانية في اوربا ، فنظموا الحملات الهائلة التي أطلق عليها اسم « الحملات الصليبية » ، فعاثوا في البلاد الاسلامية فساداً ، وسفكوا الدماء البريئة ، وخربوا المدن للاستيلاء على أورشليم « القدس » وفي عهده تسلط السلاجقة بدولهم الثلاث على البلاد الاسلامية الا بعضها ، فقد كان في الاندلس والمغرب الاقصي دولة الملثمين والقائم بامرهم يوسف بن تاشفين « ٤٨٠ — ٥٠٠ هـ » ثم من بعده علي الى سنة ٥٣٧ هـ .

وقد عاصر الخيام من خلفاء بني العباس القائم بالله والمقتدي بامر الله والمسترشد بالله .

وكان في افريقية من آل زيري تميم بن المعز بن باريس الى سنة ٥٠١ هـ ثم يحي بن تميم الى سنة ٥٠٩ هـ ثم علي بن يحي الى سنة ٥١٥ هـ .

وفي مصر من الفاطميين المستعلى أبو القاسم احمد بن المستنصر معد الى سنة ٤٩٥ هـ ثم الآمر باحكام الله ابو علي المنصور بن المستعلي الى سنة ٥٢٤ هـ .

وفي زبيد من الدولة النجاحية الامير ابن نجاح الى سنة ٤٩٨ هـ ثم فاتك بن جيش الى سنة ٥٠٣ هـ ثم منصور بن فاتك الى سنة ٥١٧ هـ .

وفي صنعاء ومهرة ظهر الأمير حاتم بن غانم الهمداني من سنة ٤٩٢ هـ الى سنة ٥٠٢ هـ ثم عبدالله بن حاتم الى سنة ٥٠٤ هـ ثم معن بن حاتم الى سنة ٥١٠ هـ ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص .

وما عدا ذلك من البلدان الاسلامية في آسيا كان محكوما بدولة السلاجقة .

ظهور الدولة السلجوقية

يبتدىء حكم آل بويه في العراق سنة ٣٣٤ هـ وينتهي سنة ٤٤٧ هـ وهم من الديلم ، وقد حكموا البلاد وتلقب المتأخرون منهم بالسلاطين ، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم . اغتصبوا السلطة من الخلفاء العباسيين ، واستولوا على شؤون الدولة ، وفي منتصف القرن الخامس الهجري ضعف نفوذهم ، وتفرقت كلمتهم واضطرب أمرهم فلم يكن في وسعهم ان يحفظوا بغداد من الطوارىء ولأن يدفعوا عنها الملمات ، واتفق ان حدث يومئذ حادث كان سببا في زوال ملكهم وتمزيق شملهم ، وذلك أن ابا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري — وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة — اراد ان يزيل الخلافة عن بني العباس ، فكتب الى الخليفة المستنصر بالله العلوي بمصر ، ليدخل في طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد ، فعلم الخليفة القائم بأمر الله العباسي بذلك ، فكتب الى السلطان طغرل بك يستنجده ويستغيث به ، فهب طغرل بك وكتب الى الامصار انه يريد الحج واصلاح طريق مكة والسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها ، وكاتب اصحابه بالدنيور وقرميسين وحلوان وغيرها ، فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد ، ولما وصل طغرل بك الى حلوان وانتشر اصحابه في طريق خراسان أرسل طغرل الى الخليفة يبالغ في اظهار العبودية والطاعة ، ويعد الاتراك المقيمين في بغداد بالاحسان والجميل ، فاجتمعت كلمة الرؤساء والامراء على مكاتبة طغرل بك ، يبذلون له الطاعة والخطبة فأمر الخليفة الخطباء ان يخطبوا لطغرل بك بجوامع بغداد ، فخطب له في يوم الجمعة ٢٢ المحرم من سنة ٤٤٧ هـ ودخلها في الخامس والعشرين منه وحينئذ قبض على آخر سلاطين بني بويه وهو الملك الرحيم ، وبذلك انقضت دولتهم وحكمت في العراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية ، وهي دولة السلاجقة ، ومن أشهر سلاطين هذه الدولة ألب

ارسلان ، وفي عهده أسس وزيره نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد ، فتم بناؤها سنة ٤٥٧ ، وملكشاه الذي اتسع ملكه اتساعا عظيما فخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن ، وحملت اليه ملوك الروم الجزيه . وقد عاش عمر الخيام محترم الجانب موفور الكرامة في كنف هذين السلطانين وكان محبوبا لديهما.

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التي حدثت في عهد عمر الخيام وأشرنا إليها في الكلمة السابقة « الحروب الصليبيــة » تلك الحادثة التي كان لها الاثر العظيم في الاقطار الاسلامية . وليس من قصدنا أن نتبسط في شرحها في كتابنا هذا ، فانها حوادث عصور استمر امرها من سنة ٤٩٠ الى ٦٩٠ هـ وانما نريــد أن نمر بها على سبيل الاستطراد ، لاجل ان نتبين الوضع السياسي في عهد الخيام.

اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين في حروب حاميــة دامت قرنين ، اشترك فيها من الدول الاسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة ودول الاتابكية التي تفرعت عن دولة السلاجقة في عهدهم ودول الايوبية ودول المماليك البحرية بمصر ، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى في تعليل هذه الحملات واسبابها مما هو مذكور في كتب التأريخ . وقد فتح الصليبيون بلدان المسلمين ، واستولوا على معظم المــدن الواقعة في الانطول والشام ، واسسوا فيها امارات سميت بالامارات اللاتينية . منها امارة الرها بوادي الفرات سنة ٤٩٠ هـ ثم امارة انطاكية سنة ٤٩١ هـ ، وقد ارتكب الصليبيون من الجرائم ما لا ترتكبه الوحوش الضارية ، ولاسيما عند فتح بيت المقدس. وقد ناضل المسلمون ودافعوا عن بلادهم دفاعاً مجيد عدا الخلفاء الفاطميين فانهم قصروا

عن أداء هذا الواجب لاسباب ذكرها الكتبة والمؤرخون ولاسيا تنازع أرباب الدولة على المناصب .

هذه الحوادث هي اهم الحوادث السياسية التي حدثت في حياة عمر الخيام وهي تتلخص في أربع وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢) قيام الدولة السلجوقيـة مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية اعني الحشيشيين . وقد اوجزنا في بيان الثلاث الاولى وبقي علينا أن نذكر شيئاً عن الباطنية الحشيشيين.

الاسماعيلية الباطنية — الحشيشيون

من افظع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية الذين سموا بالحشيشيين . وكان واضع هذه النحلة بصورتها الاخيرة زميل الخيام وشريكه في طلب العلم « الحسن بن الصباح » ولم يكن الحسن هو المؤسس الاول لهذه النحلة الجهنمية ، وانما هو بعثها من مرقدها وجدد دعوتها واشعل نارها ، بعـد ان خمدت مدة قرنين ، وكانت في باديء أمرها تسمى الاسماعيلية ثم سميت بالقرمطة ، وأخذت طوراً مهماً في عهد حسن المذكور واليك تفصيل ذلك :

لما مات الامام جعفر بن محمد الصادق ادعى فريق من المسلمين بأن الامام بعده اسماعيل نص عليه أبوه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من يقول انه لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع القهقرى والفائدة بالنص بقـاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره . فالامام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل ، هؤلاء يقـال لهم المباركية، ثم منهم من وقف على محمدبن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية .

القداح وقرمط

وكان لجعفر بن محمد الصادق مولى يقال له ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق العلامة عبد القاهر البغدادي أنه هو المؤسس الاول للدعوة الباطنية مع جماعة منهم محمد بن الحسين الملقب بدندان (١) وكان ذلك في سجن والى العراق غير ان ابن النديم يذكر في فهرسته ان الداعية الاول هو عبدالله بن ميمون المذكور وهو من اهل قورج العباس بقرب مدينة الاهواز واليه تنسب « القداحية » وكان ابتداء دعوته سـنة « ٢٧٦ » هـ ، والصحيح هو ماذكره ابن النديم فان ميموناً لم يؤسس الباطنية وانما اسس الفرقة التي عرفت باسمه وهي « الميمونية » التي اظهرت اتباع ابي الخطـاب محمد بن ابي زينب الذي دعا الى ألوهية علي بن ابي طالب . وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين ثنويين وكان عبدالله ذكي الفؤاد عالي الهمة ملحدا يطمح الى الرياسة ، والامرة على النـاس فبث الدعاة في انحاء البلاد سراً ، ولا سيما في الكوفة فاجابه في هذا الموضوع رجل يعرف بحمدان ابن أشعث ويلقب بقرمط ، لقصر كان في متنه وساقه ، او لقرمطة في خطوه ،وكان هذا اكاراً من اكرة سواد الكوفة في قرية يقال لها « قس بهرام » ، واقام قرمط يكلواذى اي كرارة الحالية ونصب له عبدالله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان ، وذلك في سنة ٢٦١ هـ ثم ظهور بعده في الدعوة الى الباطنية ابو سـعيد الجنابي ، وكان من مستجيبه حمدان وتغلب على ناحية البحرين ، فغير اسم نفسه ثم ظهرت فتنة بالمغرب وظهر منهم المعروف زكرويه بن مهرويه الدنداني وكان من

---

(١) وذكر ختنه أبو المظفر شهفور الاسفرايني في « التبصير » ص ٨٣ انه دندان المذكور لأنه اول من قام بها .

تلامذه حمدان قرمط ثم ظهر منهم مأمون اخو حمدان قرمط في فارس ودخل رجل منهم يعرف بابي حاتم ارض الديلم فاستجاب له جماعة من اهلها.

وذكر عبد القاهر البغدادي ايضاً ان الدعوة الباطنية انتشرت اولا في زمان المأمون والمعتصم وان الافشين خيذر بن كاوس قائد جيوش المعتصم دخل في دعوتهم وان بابك الخرمي كان من مقتفي هذا المذهب .

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات ، وفعلوا اموراً تقشعر منها الابدان ، وبقوا يعيثون في الارض فساداً الى سنة ٣١٢ هـ فقد ظهر في ذلك الحين رجل منهم يقال سليمان بن الحسن الجنابي فهجم على البصرة واستولى عليها ثم قطع طريق الحجاج وسبى الحرم والذراري وفي سنة ٣١٧ هـ دخل مكة وقتل من وجدهم في الطواف وقيل انه قتل بها ٣٠٠٠ نسمة وأخرج منها ٧٠٠ بكر واقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ، وفي سنة ٣١٨ هـ قصد بغداد ولما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته ، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهبت ريحهم الى ان ظهر منهم الحسن بن الصباح الذي تعلم مع عمر الخيام في نيسابور فكان المؤسس الثاني لهذه الطائفة التي جعلها فيما بعد دولة توارث اولاده السلطان عليها في قلعة « الموت » .

عقائدهم

اتفق اكثر الباحثين على ان عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانونية والمزدكية والدهرية ، ويؤيد ذلك انهم أباحوا أتباعهم نكاح البنات والاخوات وجميع اللذات وظهر منهم رجل يعرف بابن أبي زكريا الطامي سنة ٣١٩هـ فأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به ، وأمر بقطع يد من أطفأ نارا بيده ، وبقطع لسان من اطفأها بنفخة . فنكاح البنات والاخوان والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية . فأما كونهم من

الدهرية فلانهم ينكرون الوحي ويرفضون المعجزات ويزعمون ان الانبياء قوم احبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد للحشر والمعاد، وغير ذلك، ومما جاء في الرسالة التي بعث بها عبيد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي فقد اوصاه فيها بوصية قال فيها : —

ادع الناس ان تتقرب اليهم بما يميلون اليه . واوهم كل واحد منهم بانك منهم، فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء، واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء ...وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبرا لا يعرفه . وذكر في الكتاب إبطال القول في المعاد والعقاب . وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب انما هو اشتغال اصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

وقال فيها ايضاً «إن اهل الشرائع يعبدون الهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم واكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم» .

وقال فيها ايضا «اني اوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل، وبدعوتهم الى ابطال الشرائع وابطال المعاد والنشور من القبور، وابطال الملائكة في السماء، وابطال الجن في الارض وأوصيك بان تدعوهم إلى القول بانه كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم، وينبغي ان تحيط علماً بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم» .

وقال في آخر رسالته : — وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها، فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي، ولو علم الجاهل لعلم انه احق بأخته وبنته من الاجنبي، وما وجه ذلك إلا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذي

يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه ابدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار ، حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا ، واستباح بذلك أموالهم بقوله « قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » ، فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل ارواحهم واموالهم على انتظار موعود لا يكون ،وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها وهل النار او عذابها الا مافيه اصحاب الشرائع من التعبد والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ »

ثم قال مخاطباً سليمان بن الحسن المذكور « وانت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين ،المتمسكين بشرائع اصحاب النواميس فهنيئاً لكم ما نلتم من الراحة من امرهم » .

وبعد فهذه الرسالة وجدها كافية في الدلالة على ان اصحاب هذه الطائفة اباحية دهرية .

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين في الدعاية ، لهم اساليب خاصة بهم في امر الدعوة ، فكانوا لا يفاجئون الذين يدعونهم الى نحلتهم بأسرارهم ، وانما يتدرجون معهم فيكلمون العامي بطريقة تختلف عن الطريقة التي يكلمون بها العالم ، جرياً على قاعدة « كلم الناس على قدرة عقولهم » ، فاحدثوا مراتب للدعاية وهي التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتأسيس والمواثيق بالايمان والعهود والخلع والسلخ . فيشرع الداعية في تنفيذ الدرجة الاولى حتى يصل الى مرتبة الخلع والسلخ ، وهي الدرجة الاخيرة التي يصبح بها الباطني ملحدا بحتاً ، وبها هدم الاعتقاد والاديان المنزلة ، وهناك صفات يجب ان يتصف بها الداعية لبث الدعوة .

وقد كتب دعاتهم كتباً كثيرة ونشروها بين الناس ، لتنفيذ اغراضهم وبث

مبادئهم ، ومنها ما لا يجوز الاطلاع عليه الا بعد ان تمر على الباطني مدة لا تقل عن أربع سنين . فمن كتبهم كتاب الرحى والدولاب وكتاب الحدود والإسناد وكتاب اللامع وكتاب الزاهر وكتاب الميدان وكتاب النيران وكتاب الملاحم وكتاب المقصد ولهم البلاغات السبعة وهي : كتاب البلاغ الاول للعامة وكتاب البلاغ الثاني لمن هم فوق هؤلاء قليلا ، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنه ، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل في المذهب سنتين ، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل في المذهب ثلاث سنين ، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب اربع سنين ، وكتاب البلاغ السابع ، وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر ، وفيه أمر عظيم من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها ، وهناك رسائل وتعليمات كثيرة كرسالة عبيدالله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي التي نقلنا منها آنفا وغيرها ، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب كاملة فلم اظفر بتأليف أو رسالة مما كتبوه ، ويظهر ان جملة من كتبهم أبيدت وأحرقت بعد زوال أمرهم .

وهذا مجمل ما فصله القوم عن ظهورهم وحركتهم وتعاليمهم وذلك قبل ظهور الداعية الاكبر الحسن بن الصباح .

مبادئ الباطنية الشائعة في عصر الخيام

« النزارية » — دار الحكمة

في منتصف القرن الرابع الهجري زحف القائد الكبير جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي بجيوشه الى مصر ، وانتزعها من الاخشيديين ، واسس فيها القاهرة وبعد بضع سنين دخلها المعز وجعل نفسه خليفة المسلمين فيها ، وثبت فيها الدولة الفاطمية ، وكان النظام الاداري فيها غريباً في بابه ، اذ كانت المهمة الاولى

المعني بها هي بث الدعاية للدولة المذكورة ، ولذلك احدثوا وظيفة « داعي الدعاة » ، وكان عليها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ، ودرجته تلي درجة قاضي القضاة وكانتا تجمعان أحياناً لرجل واحد ، وكان الدعاة يتلقون المبادئ من مصر ثم يتركونها الى الاقطار الاسلامية متبعين منهاجاً مسنوناً ، وفي زمن الحاكم بأمر الله — وقد تولى بعد ابيه المعز سنة ٣٨٦ هـ — نشطت الدعاية واتسعت في البلدان اتساعاً عظيماً . وكان الحاكم مضطرب الرأي عصبي المزاج ، شاذاً في اطواره واخلاقه ، سفاكاً للدماء ، قتل عدداً كبيراً من اماثل اهل دولته ، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه ، فكان تارة يأمر بسب الصحابة ، وطوراً يأمر بضرب من يرتكب هذا المنكر ، وأمر مرة بقتل الكلاب ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا والسمك الذي لا قشر له ، والعنب وقد كابد النصارى واليهود منه الوان العذاب ايام حكمه . وقد وصفه ابن خلدون في تأريخه « بأنه كان مضطرباً في الجور والعدل والاخافة والامن والنسك والبدعة » غير ان الذي يهمنا من سيرة الحاكم بامر الله مواظبته على بث الدعوة السرية الباطنية باعداد الرسائل وتنظيم المناهج بتأسيسه (دار الحكمة) في مصر .

تعاليم دار الحكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هي الاسس والاوضاع التي وضعها عبدالله ابن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، وتتضمن التعاليم التي بثها الدعاة في عهد الباطنية الاولى ، وقد ذكرت في رسالة القيرواني الى سليمان بن الحسن وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور وتمكين فكرة الالحاد في قلوب الناس . وكانت درجات الدعاية في دار الحكمة تسعا ، وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التي كانت سبعاً نقط ، ولكن الغاية كانت واحدة وهي هدم الدين الاسلامي ليس غير .

المؤسس الثاني

هو الحسن بن الصباح الذي ولد حوالي سنة ٤٣٠ هـ وكان يدعي انه ينتمي الى « يوسف الحميري » احد امراء اليمن ، وكان يقول ان والده جاء من الكوفة الى قم ، ومنها الى الري الى ان اهالي طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون ان والده — واسمه علي — هو من احدى قرى خراسان ولعل الصباح جده او لقب ابيه .

ويذكر لنا الذين عنوا بترجمته انه كان في اصفهان ثم هجر اصفهان الى مصر ، فلقى حفاوة من الخليفة المستنصر ، ثم انخرط في سلك المحفل السري وتعلم المبادىء الاسماعيلية ، وبعد ان تشربت روحه هذه الافكار قفل راجعا الى فارس واخذ يبث الدعوة في نواحي خراسان فاتبعه الرعاع فقادهم ، فاستولى بالشراء اولا على قلعة في نواحي الديلم يقال لها « الروذبار » ، وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه فاخذ من الباطنية ألفا ومئتي دينار وسلم القلعة اليهم في سنة ٤٨٣ هـ وذلك في أيام ملكشاه ، ثم استولى على قلعة « الموت » وتحصن بها هو واتباعه واسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء ١٧١ سنة وحكمها ثمانية من اولاده واحفاده .

* * *

تعاليم ابن الصباح

وتتلخص تعاليم ابن الصباح فيما يأتي :—

(أ) الدعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بأن لها إماما وليس لغيرهم امام .

(ب) ضرورة استعمال العقل في معرفة الله والنظر الى جانب تعاليم المعلم الصادق .

(ج) والناس فرقتان من جهة تعاليم المعلم الصادق ، فالاولى ترى الاستعانة في

معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منـــه ، وقالت الثانية بالاخذ في كل علم من معلم او غير معلم ، فالحق مع الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين .

(د) بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود اي واجب الوجود وبه عرفنا مقاديم الجواز في الجائز .

(ه) ان في العالم حقاً وباطلا وان علامه الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة ، وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأي مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها .

(و) التوحيد هو التوحيـــد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً والنبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة .

وقد منع الحسن العامة عن الخوض في العلوم ، وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال .

مراتب الجمعية

وقد جعـل الحسن بن الصباح مراتب جمعيتـــه سبعاً بدلا من تسع وهي لا تختلف في الجوهر عن مراتب محفل « دار الحكمة » .

الرئيس

ويسمى السيد وشيخ الجبل ، وهو كبير الطائفة الاعلى ، وبيده الحل والعقد وله الامر والنهي .

الدعاة

وهم الكبار المقدمون ، ومقامهم في ثلاث ولايات توجد فيها امنع قلاع الطائفة

وهي بلاد الجبل وقهستان والشــام وهؤلاء يتلقون أوامرهم من الرئيس وينفذون اوامره الســامية .

الرسل

وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاية والتغلغل بين الجماهير وحضهم على اقتفــاء مبادىء الطائفة .

الرفاق

وهم الذين يكونون حاشية الدعاة ويتلقون التعاليم والمبادىء السرية .

الفدائيون

ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العداء .

المبتدئون

وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الاولية .

العامة

وهم الرعاع وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب اليها ، وعلى العامة في فتح القلاع ومهاجمة البلدان .

الحشيشة

علمنا مما تقدم ان الدرجة العليا هي درجة الرئيس اي السيد وشيخ الجبل والدرجة الدنيا هي درجة العامة ، ومنها يترقى الى درجة التلميذ ، ومنها الى درجة الفدائية وفي هذه الدرجة يكون الباطني عضواً صميما ، يعتمد عليه في ادارة شؤون الطائفة ، ولا يرقى احد هذه الدرجة الا اذا كان شديد البأس كثير الطاعة ،فاذا آنس الرئيس من احدهم استعدادا او لم وليمة فاخرة له وناوله في اثناء وقت الطعام نباتاً مسكراً من نوع « الحشيشة » حتى اذا فعلت الحشيشة فعلها فيه امر بنقله الى جنة غناء قد غرست على حافات جدا ولها الرياحين وأشجار الفواكه وانضر الزهر والورد ، ونصبت في احواضها الفوارات واقيمت فيها الرواشن والبيوت الصينية وفرشت بافخر الديباج واثثت بالرياش النفيس وهناك في تلك الردهات البديعة المظللة بعرائش الكرم تطوف عليه الحسان بأباريق الخمر وأكوابها ويضربن حوله بالآلات الموسيقية ذات النغمات الشجية ثم ينقل فوراً الى المكان الذي فيه الرئيس وعند صحوه يخبره الرئيس بانه لم يبرح مكانه وانه امر روحه ان تطوف بالفردوس فيدهش الفتى مما رآه ، وعند ذلك يجعل نفسه طوع ارادة الشيخ طمعاً في الجنة التي رأى مثالها ويكون بعده كالآلة الصماء يديرها كيف يشاء ، ولكي تعرف مبلغ اطاعة الفدائى للرئيس انقل لك القصة الآتية :— ارسل ملكشاه السلجوقي يوما رسولا الى الحسن بن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ويأمره بكف اصحابه لقتل العلماء والامراء ، فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه — والرسول يشهد ذلك — اريد ان انفذكم الى مولاكم في حاجة فمن ينهض لها ؟ فاشرأب كل منهم لذلك ، فأوما الى

شاب منهم وقال له :ـ اقتل نفسك فجذب سكينه وضرب بها غلصمته فخر ميتاً وقال لآخر :ـ ارم بنفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه فقال له :ـ اخبره ان عندي من هؤلاء عشرين الفاً هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب .

النتيجة

ولبث الحسن في قلعة (الموت) حتى توفي فيها سنة ٥٢٠ او ٥١٨ هـ بعد ان حكمها (٣٥) سنة ، وقد اتفق الباحثون على انه كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمة ، عالما بالفلك والهندسة ، متضلعاً من الآراء والمذاهب الفلسفية، شديد البأس قاسي القلب دساساً فتاكا ، وقدتوارث الحكم على (الموت) ابناؤه ، الى سنة ٦٥٤ هـ ففيها قضى على الطائفة المذكورة هلاكو التاتاري ، وبها انطوت اشنع صفحة في التأريخ الاسلامي .

✡ ✡ ✡

وبعد فاننا لم نذكر هذه البحوث باسهاب الا لاننا نبغي ان نبرهن على ان عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية في عصره ، وان له اتصالا قويا بهم ، ونكاد نجزم بأنه كان داعية من دعاتهم ، وسنوفي هذا المطلب حقه في بحثنا عن آرائه وعقائده.

عصره العلمي

علمنا مما تقدم بان العصر الذي عاش فيه الخيام كان عصرا يجيش بالاحن والفتن والحروب ، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون العالم الاسلامي من جهة ، والباطنيون من جهة اخري يدبرون المكايد والدسائس لهدم الاسلام ، ويبثون الدعاة لنشر الالحاد بين طبقات المؤمنين .

والآن نريد ان نعلم مكانة العلم ومنزلة القلم في ذلك العصر . والذي يبحث ليسبر غور العصر الذي عاش فيه الخيام يتبين له أن أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هي تأسيس المدارس في العالم الاسلامي ، فقد مرت اربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ، ذات مناهج ثابتة ونظم مسنونة اذ كانت العناية متجهة في هذه القرون الاربعة الى انشاء المكاتب والكتاتيب واقامة الحلقات في الرحاب والجوامع والمساجد .

المدارس

اما في عصر الخيام فقد كثرت المدارس واشهرها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، والمدرسة البيهقية للبيهقي المتوفي سنة ٤٥٠ هـ والسعيدية التى بناها نصر بن سبكتكين اخو السلطان محمود الغزنوي ، ومدرسة اخرى بناها اسماعيل الاسترابادي الصوفي الواعظ ومدرسة الامام ابي حنيفة التى بناها للحنفية ابو سعد المستوفي في ايام ألب ارسلان والنظامية التي بنيت للشافعية في بغداد ، وقد تولى التدريس فيها علامة عصره الشيخ ابو اسحق الشيرازي غير انه لم يكن لهذه المدارس ما للمدارس النظامية

التي اسسها نظام الملك الوزير من الانظمة والمناهج على ما ذكر بعض مؤرخي الشافعية .

المدارس النظامية

هي المدارس العظيمة التي اسسها نظام الملك في بغداد ونيسابور واصفهان وطوس وغيرها من المدن ، وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد ، وقد أنشأها سنة ٤٥٧ ﻫ وافتتحها سنة ٤٥٩ ﻫ وعين لها مدرسين من أجلة العلماء في عصره ، وتولى التدريس فيها مثل أبي اسحاق الشيرازي والامام أبي نصر الصباغ والامام الغزالي وابي القاسم الدبوسي والشاشي والكيالهراسي والنجيب السهروردي ، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠٠٠٠ دينار في السنة ، وقيل إن هذا الانفاق كان سبباً لقتله ، على أنه قتل بطعنة باطني ، وقد وشى به بعضهم الى السلطان ملكشاه اذ قالوا له : ان الاموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا تركز رايته في سور القسطنطينية . فعاتبه ملكشاه في ذلك فأجابه : يا بني أنا شيخ اعجمي لو نودي علي في « من يزيد ؟ » لم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً ، وأنت مشتغل بلذاتك منهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تمدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهي مدى مرماها الى ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور ، وأنا اقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل ، اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على اقدامهم صفوفاً بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون .

مقاومة علماء الاسلام للباطنية

ومن مميزات هذا العصر نهضة العلماء والمفكرين لمناوأة الباطنية ، والطعن على تعاليمها واظهار سخف مبادئها ، وتحذير الناس من سمومها ، والباطنية لم تنشر تعاليمها بقوة السيف فقط وانما توسلت بالدعاية والاقناع والحجاج أيضا ، فالفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم ، لذلك كان لزاما ان يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادىء باقلامهم ، فكان القاضي ابوبكر الباقلاني أول من شهر عليهم الحرب في ذلك العصر فالف كتابا سماه (كشف اسرار الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحمقهم ، والف في ذلك ابو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ هـ فجادلهم مبيناً بطلان مذهبهم ، كما الف حجة الاسلام أبو حامد الغزالي فكتب رسالة في (فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليم القرامطة والاسماعيلية وغيرهم من الطوائف الباطنية واهل البدع في الاسلام والرسالة محفوظة في المتحف البريطاني الآن ومنها كتاب « كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة » لمحمد بن مالك الحمادي اليماني ومن أقدمها كتاب « محمد بن علي بن رزام الكوفي » ، وقد اطلق فخر الدين الرازي لسانه الذرب فيهم طاعناً عليهم من فوق المنابر وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خوفا على حياته

وفي الحقيقة ان اقلام هؤلاء الاماثل قد اعانت السيف في القضاء عليهم .

الخلاصة

تبين مما اجملناه انه ، بالرغم من الفتن والحروب الكثيرة التي حدثت في عصر الخيام ، كان لدولة العلم رايات مرفوعة وللعلماء مكانة عالية في القلوب وكان تهافت الناس على المدارس عظيما ، ويكفي ان نذكر للدلالة على ازدهار العلم في العصر الخيامي

انه قد نشأ فيـــه ما ينيف على ثمانين ومئـــة فحل بين شـاعر ومنشيء ولغوي ومؤرخ ومترجم للجماعات وجغرافي ومؤلف في السير والسياســة والادارة والطب وغير ذلك من العلوم.

روح هذا العصر

قدمنا ان عمر الخيام نشأ وعاش فيعهد الدولةالساجوقية الكبرى ، وانه حدثت في عصره اربع وقائع كبيرة وهي:ـــسقوط الدولة البويهية . وقيام الدولةالسلجوقية ونشوب الحروب الصليبية وتجديد الدعوة للباطنية وظهورها بشكل اوسع نطـاقاً وارهب شأناً .

هذا من الناحية السياسية ، واما الناحية العلمية فان عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما المعنا اليـــــه ، في بحثنا في تاريخ المدارس الصناعية التي انشأها نظام الملك الوزير الشهير .

بقي علينا ان نعرف الروح السائد في ذلك العصر ، لانه في اطـلاعنا على ذلك نستطيــع ان نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير في ذلك العصر . وفي الحق اننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك أكان الخيام يمثل عصره ام لا ؟ اوهل في الامكان عده نموذجا لاصحاب التفكير السائد يومئذ ؟ وهل كان لعصر الخيام من التهيؤ الكافي لان يوجد رجـــــلا مثله ام لا ؟ ام كان الخيام شاذاً في عصره لا معرفة له به ، ولا اتصال بينهما في الروح والعلم والتفكير ، كان يد الاقدار قذفته خطأ في هذا العصر.

لاشك أن من الصعب جدا معرفة الروح السائد والوقوف على أسلوب التفكير على اختلاف ضروبه ، والاطلاع على الميول والرغائب والاخلاق والانفعالات النفسية، وبالجملة معرفة الصبغة التي اصطبــغ بها ذلك العصر لان ذلك ــ مع احتياجه الى درس طويل وبحث عميق ــ يحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط وربما لاتظهر من

هذا الدرس ، الذي يقتضي وقتاً طويلا وجهودا عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة، وربما لا يهتدي الباحث في بحثه وتدقيقه للنظر في صفحات هذا العصر الى شيء من الحوادث والوقائع التي يصح ان تكون مقياساً لمعرفة روح العصر .

وغاية الباحث في هذه الحالة أن يفتش في بطون المؤلفات عن الشواهد والامثال ليستخلص منها ما يمكن ان يعول عليه في اظهار الصورة والحقيقة للعصر الذي يدرسه ويبحث في الكيفية التي اوجدته والاحوال التي احاطت به .

ومع ذلك فلست واثقاً بان ايراد الامثال والشواهد يكفي في تعريف الصبغة الغالبة في ذلك العصر ، فقد تكون هذه الشواهد وهذه الامثال من قبيل الآراء المنحولة ، التي تنتقل من حيز الى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطالب او من قبيل الحكايات والقصص المنحولة التي تتداولها الافواه ، إما للاشادة بفضيلة شخص واما للحط من كرامته وشرفه ، وهي عوائد متعارفة في كل زمان وكل مكان.

ومن الواضح ان الخرافات والاساطير تكثر وتعيش طويلا في المدن التي فيها مزارات ومشاهد دينية ، تؤمها الناس في اوقات معلومة ، وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الاساطير غير ان حياتها قصيرة ، فهي لذلك لا تكون عقيدة لدى الامم لانها مشيدة على اساس التخيل والوهم فلا يجوز للباحث والمؤرخ ان يعتمد بها او يجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور ، ويجب ان لا يبرح عن بالنا ان قابلية التخيل في الانسان شديدة وان الانسان ميال بطبعه الى المبالغة ، فان حديثاً يتداول عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره عند غروبها .

* * *

ان من العسير على الباحث تحديد الصبغة الغالبة على العصر الذي وجد فيه عمر الخيام كيف لا وان من الصعوبة بمكان ان نصور اليوم حقيقة الروح السائد في العصر الذي نعيش فيه لاختلاف الميول والاهواء فيه فكيف بالعصر الذي

تعاقبت بعده تسعة عصور ؟

واذا كان لابد من ذلك فاني اعتقد انه يجب على الباحث في هذه الحالة ان ينعم النظر ويتأمل ملياً احوال الطبقات الثلاث التي يتألف منها الشعب وهي :

١ — الرعية اي جمهور الناس

٢ — الحكام وهم الملوك والوزراء والامراء ارباب الحل والعقد

٣ — رجال الدين

اما امر الرعية وما كانت تشعر به فشيء غامض فليس في أيدي الناس وثائق ولا مستندات تأريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور في ذلك العصر ، والمؤرخون في ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتدوين شعور الرعايا واتجاهاتها ، وانما كانوا يعنون بتدوين وقائع الحروب وانشاء المديح للملوك والامراء جزافا تزلفاً اليهم وتقرباً منهم ، ومنهم من قصر همه على الثلب والطعن لانه كان يبغض تلك الدولة مثلا .

غير ان الجمهور في عصر الخيام كان قد امتحن بالخلافات المذهبية إذ كان النزاع قائماً على ساق وقدم بين الحنابلة والشيعة والشافعية والحنفية وقد حدثت وقائع دامية بين هؤلاء .

واما الحكام في عصر الخيام وهم الملوك والوزراء والامراء اولو الامر والنهي والحل والعقد فان التأريخ يقص علينا اخبارا سارة عنهم ، فانهم خدموا العلم كثيراً وشجعوا العلماء واحترموهم وانعموا عليهم بجلائل الآلاء ، ووسعوا عليهم الارزاق ليتفرغوا لنشر العلوم والفضائل ، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس ، وانشاء ملكشاه المراصد ، وعلمنا بالمكانة الرفيعة والمنزلة السامية التي نالها عمر الخيام من ملوك السلاجقة ، وماذاك الا لانهم قدروا فضله واحترموا علمه وادبه .

واما رجال الدين فقد كانت الضغائن والعداوات بينهم موجودة ، بسبب اختلاف مذاهبهم وحسد بعضهم لبعض ، وقد عثرت في حواشي كتاب «جهار مقالة» على حادثتين

وقعتا لشيخ الاسلام عبد الله الانصاري اثبتها مثالين لحالة الفقهاء في عصر الخيام :

كان شيخ الاسلام عبـــد الله الانصاري وهو الامام ابو اسماعيل عبـــدالله الخزرجي الانصارى الهروي الذي يتصل نسبه بأبي ايوب الانصاري من اجلة العلماء والمحدثين في عصره ، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعه في زمانه غير انه كان حنبلياً ميالا للتجسيم والتشبيه ، وقد حسده رجال الدين في عصره ووجدوا عليه ، وارادوا له الكيد والوقيعة به ، واتفق ان قدم هراة السلطان الب ارسلان السلجوقي ، وكان حنفياً والوزير نظام الملك وكان شافعياً فاجتمع رجال الدين في هراة واتفقوا فيما بينهم على ان يتقدموا الى شيخ الاسلام بسؤال يسقطه من نظر الوزير ، فلما اجتمعوا بالوزير ، وكان شيخ الاسلام حاضراً ، انبرى له احدهم وقال : ترى هل يسمح لي الشيخ الامام ان اسأله عن قضية ؟ فقال : سل عما بدا لك .

قال له : لماذا تلعن ابا الحسن الاشعري ؟

فسكت الشيخ ، ولما كان نظام الملك اشعري المذهب اطرق ، وبعد هنيهة قال : يا شيخ اجب الرجل . فقال شيخ الاسلام — انا لا اعرف الاشعرى غير أني ألعن كل من لا يعتقد ان الله في السماء .

وفي رواية انه لما جاء السلطان الب ارسلان الى هراة اجتمع مشايخ البلد وفكروا في ايجاد سبب ينزلون به غضب السلطان ، على شيخ الاسلام عبدالله الانصاري فقرت آراؤهم على ان يصنعوا صنما صغيرا يخبئونه في محراب الامام ، وفعلوا ذلك ولما حضروا بين يدي السلطان اكثروا الشكوى من الامام وقالوا له :— انه قائل بالتجسيم واذا اراد السلطان ان يوقن بصدق دعوانا فليأمر بارسال من تأتي اليه بالصنم من مسجد الامام . فغضب السلطان وأرسل في الحال جماعة من غلمانه ليحضروا له الصنم ثم أمر باحضار شيخ الاسلام ؟ فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجـــد مشايخ البلد جالسين ووجـــد صنما صغيراً بين يدي السلطان وكان السلطان يهتز من الغضب والألم .

فقال السلطان للشيخ : ـ ما هذا ؟

قال الشيخ : ـ هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الاطفال .

قال السلطان : ـ إني لا اسألك عن ذلك انما تزعم هذه الجماعة بأنك من عبدة الاصنام ؟

فقال الشيخ : ـ « سبحانك هذا بهتان عظيم » وقرأ هذه الآية بصوت ونبرة تدل على صدقه واخلاصه .

فعلم السلطان براءة الشيخ وطهارة ايمانه ، ولما تحقق الامر علم انها مؤامرة أريد بها الوقيعة بالشيخ فاكرمه وصرفه وعاقب المفترين الكذابين .

قلنا فيما سبق ان سلوك رجال الدين الاخلاقي في عصر الخيام كان سيئاً فاسدا من الناحية الاخلاقية ، وقد سردنا امر حادثتين وقعتا في عصره والذي ينعم النظر في رباعيات الخيام يجده متبرما بهم متــــذمرا عليهم وقد حمل عليهم في رباعياته مشنعاً بهم من ذلك قوله :

اي مفتيء شهر ما زتو پر كار تريم
با اين همه مستي زتو هشيــار تريم
ما خون رزان خوريم وتو خون كسان
انصـــاف بده كدام خونخوار تريم

نحن يامفتي المدينة أحسن منك عملا ، ومع كثرة سكرنا هذا نحن اصحى منك نحن نشرب دم ابنة العنقود وانت تشرب دم النـــاس فقل منصفاً أينا شارب الدماء ؟ .

شيخي بزني فاحشة كفتا مستي ؟
هر لحظــه بدام ديكري پابستي
كفتــا شيخا هو آنچه كوئي هستم
اما تو جنـــانچه مينمائي هستي ؟

قال شيخ لمومس : أنت سكرى وفي كل ساعة في حضن حبيب فقالت : ياشيخ كل ما قلته في صحيح ولكن هل أنت انت كما تظهر للناس .

العلم والعلماء في عصر الخيام

نشأ عمر الخيام في القرن الخامس الهجري ، وكتب الفلسفة اليونانية المترجمة شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس وافلاطون واقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزه نون وأبيقور في الفلسفة الطبيعيـــة والالهية والرياضية ، وما يتفرع من ذلك المنطق والطب والهندسة والاخلاق والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس ، والجـدل محتدم حول آراء السوفسطـائيين والكلبيين والمشائين الرواقيين وغيرهم، من اهل المذاهب الفلسفية . هذا من جهة ومن جهة اخرى وجد الخيام في عهد نضج فيه علم الـكلام ، واشتد النزاع العلمي بين الاشاعرة والمعتزلة والحنـابلة والجبرية ، وشاعت آراء الباطنية ، وكثر الاقبال على التأليف في مختلف العلوم والفنون ، واكتظت المدارس بطلاب العلم ، وذاعت رسائل اخوان الصفا ، وتعددت الفرق والطوائف ، وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة وظهر ابو علي بن سينا ، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة ، ووضع حجة الاسلام الامام الغزالي كتبا في الرد على الفلسفة ، وعظم أمر التصرف وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بآرائهم الحرة التي لا تلائم ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة والابطال .

وصفوة القول ان الخيـام قد عاش في وسط علمي ، وفي بيئة علمية فنيـــة ، فعاصر زمرة من الفلاسفة والاطباء والمهندسين والرياضيين والفلكيين ، من بنـاة الارصاد ، وقد تتلمـــذ لانبغ عصره والمهم من العلماء ، وتردد الى بعضهم وتردد بعضهم اليه ، وكثرت بينه وبينهم المجادلات والمحاورات والمراسلات في علوم شتى ، وكان لاولئك الذين تتلمذ لهم وتتلمذوا عليه مكانة علمية عظيمة في عصره ، وحسبنا

ان نعلم بان والامراء في ذلك العصر الزاهر كانوا يتذوقون العلم بل كانوا يتعشقونه ويصنفون التصانيف الجليلة فيه ، وكانوا من التواضع وحب العلم بحيث لا يتحرج احدهم ان يعرض مصنفه على احد علماء زمانه ، فقد ذكر لنا ظهير الدين البيهقي في كتابه (حكماء الاسلام) ان ملك الري الملك العادل العالم عضد الدنيا والدين علاء الدولة فرامرز بن علي بن فرامرز عرض على والد المؤلف تصنيفه الذي سماه (مهجة التوحيد) وقال ايضاً (وكان ملكا متخلقا باخلاق الحكماء مستعدا الملك) ومن حسنات ظهير الدين البيهقي أنه فتح لنا من مؤلفه الموجز كوة جعلنا نطل منها على عصر الخيام ، فنسرح النظر في عصره العلمي العظيم ، ثم نتعرف تلك العصبة الكريمة من ذوي الفضل ممن عاصر عمر الخيام وعلموه او تعلموا عليه ، وقد رأينا ان ندرج في كتابنا تراجم اولئك النابغين الذين اتصل الترجم بهم وكذلك الذين اتصل بهم فنهم : —

الحكيم ابو الحسن الانباري

كان حكيما والغالب عليه علم الهندسة ، وكان الحكيم عمر الخيام يستفيد منه وهو يقرر له المجسطي ، فقال بعض الفقهاء يوما للأنباري ما تدرس ؟ فقال افسر آية من كتاب الله تعالى. فقال الفقيه : — وما تلك الاية؟ فقال الانباري: قول الله تعالى او لم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ، فانا افسر كيفية بنائها .

ونقل عنه قوله : — الساعي غاش وان قال قول النصيح ، واذا هممت بشر فسوف ، والصدق يقبله منك العدو ، والكذب ترده عليك نفسك ، كن للهوينى عند النوازل تاركا ، وكن لأعدائك من الشهوانية والغضبية غلوبا ، وكن للصدق مؤثراً حتى يصدق فكرك ورؤياك وتسلم من غوائل الكذب ،

فرامرز بن علي بن فرامرز ملك يزد

اشرنا الى ذكره آنفاً وكان ممن عاصر الخيام وكان ملكا عالمـــا عادلا ، قال البيهقي :ــ رأيته بخراسان سنة ست عشرة وخمسمائة وكان عرض علي والدي تصنيفه الذي اسماه (مهجة التوحيد) وكان يذب عن رأي الحكيم ابى البركات بن ملكا الطبيب البغدادي ، ويقرر قوله في مسألة العالمية ، وكان ملكا متخلقاً باخلاق الحكماء ، مستعداً الملك ، قال يوما للامام عمر الخيـــام : — ماتقول في اعتراضات الحكيم ابي البركات على كلام أبي علي « ابن سينا »؟ فقال له الامام عمر :ــ ابو البركات لم يفهم كلام أبي علي ، وليست له رتبة الادراك لكلامه فكيف يكون له رتبة الاعتراض عليه ، وايراد الشكوك على كلامه . فقال له الملك علاء الدولة :ــ أمن المستحيل ان يكون حدس اقوى من حدس أبي علي ؟ ام من الممكن ؟ فقال الامام عمر :ــ ليس من المستحيل . فقـــال له الملك علاء الدولة :ــ ساواك عبــد غيرك ، انت تقول ليست له رتبة الادراك والاعتراض وغلامي الدواتي يقول له رتبة الادراك والاعتراض والزيادة تتكلم بما لايزيد به كلامك على كلام مملوك ولا تميل الى سفاهة غلامي اقدر عليها منك فتشور الامام عمر ، فقال له الملك علاء الدولة الحكيم يهجن كلام غيره بالبرهان والجدلي السفيه بالوقيعة والبهتان ، فاطلب أعلى الدرجتين ولا تقنع بأخس الرذيلتين فقـــال الامام عمر ملجماً بالسكوت . ومن كلمات الملك علاء الدولة في تصنيفه المسمى « مهجة التوحيد » من لا يكمل صناعته التي تليق به فليس له ان يطلب صناعة اخرى فان رضي بالناقص والنقصان صار محجوبا عن نيل الكمال في جميع احوال .

الفيلسوف محمد الايلاقي

ومن اختلف الي الامام عمر الخيام واستفاد من علومه السيد الامام الفيلسوف

شرف الزمان محمد الايلاقي . قال البيهقي :ــ اجتمعت فيه الفضائل باسرها العلمية والعملية وله تصانيف كثيرة مثل كتاب (اللواحق) ومثل كتاب « دوست نامه » وكتاب « سلطان نامه » وكتاب في « اعداد الوفق » وكتاب « الحيوان » وغير ذلك وله رتبة عالية في الافادة والانصاف والتميز وكان مباركا حسن المعالجة وكان مقيما بباخرز ثم ارتبطه علاء الدين ابن قماج ببلخ وقتل في مصاف كورخان بقطوان، ومن كلماته :ــ انفس الحيوانات ساجدة للانفس الانسانية التي هي خلائف الارض وجازت على الصراط الاول فاذا كملت بالعلوم فهو جوازها على الصراط الثانى ، والانخـــداع في صغار الامور من علو الهمة والحرص على المحقرات من الفضائح . الفلسفة علم الكل وصناعة الصناعات كما قال امير الامراء والمتفلسف المتشبث بالمبـــادىء على حسب الطـــاقة

الحكيم علي بن محمد الحجازي القاينى

وهو من تلامذة الامام عمر الخيام ، وكان طبيباً وقوراً وفيه آداب الاطباء مجموعة وله اخلاق جميلة وكان عارفاً بظواهر المعقولات وله رسائل في الطب والطبائعيات وقد صنف باسم السلطان الاعظم سنجر السلجوقي كتابا في مفاخر الاتراك وصنف باسم الملك العادل العالم خوارزمشاه اتسز بن محمد كتابا في الحكمة ، وعاش تسعين سنة ومات في سنه ست واربعين وخمسمائة . وكان من تلامذة الامام عمر الخيامي .

العلامة عبد الله بن محمد الميانجي

ومن تلامذة عمر الخيام عين القضاة ابو المعالي عبد الله بن محمد العلامة الميانجي الصوفي الحكيم . ذكره الامام ابو الحسن البيهقي في تاريخه . وهو من تلاميذ صدر المشايخ

محمد بن حمويه والامام ابي الفتوح احمد بن محمد الغزالي وكان يضرب به المثل في الذكاء والفضل ، وكان من تلاميذ عمر الخيامي ، وخلط كلام الحكماء بكلام الصوفية ومولده سنة ٤٩٠ ﻫ وكان فقيهاً اديباً يميل الى الصوفية وصنف في فنون العلوم وكان حسن الكلام . وكان الناس يعتقدون فيه ويتبركون به وظهر له القول التام بين الخاص والعام حتى حسدوه واطلقوا السنتهم فيه وقصده ابو القاسم الوزير الدركزيني وعقد عليه محضراً ، وحمله الى بغداد مقيداً ، وصلب بهمذان في اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة ٥٢٥ ﻫ وقبره يزار بها .

بناة الارصاد الفلكية

كان عمر الخيام متضلعا من علم الفلك ، وقد عاصره جماعة من نبغاء الفلكيين والمنجمين ، وتعاون هو وجماعة من الفضلاء على بناء رصد للسلطان ملكشاه السلجوقي وقد جاء ذكره هذا الخبر في كتاب كامل التواريخ لابن الاثير كما اشرنا اليه وذلك في ذيل حوادث سنة ٤٦٧ وهـــذا نصه : وفيها اي سنة ٤٦٧ جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه وجماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها ايضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وابو المظفر الاسفزازي وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليه من الاموال شيء عظيم وبقي الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ ﻫ فبطل بعد موته .

وقد ظفرت بترجمتين مقتضبتين لابى المظفر الاسفزازي وميمون بن النجيب الواسطي ولم اظفر بترجمة بهرام منجم ملكشاه ، غير اني عثرت على ترجمة للفيلسوف محمد بن احمـد المعموري البيهقي في كتاب حكماء الاسلام للبيهقي جاء فيها

انه ارتحل الى اصفهان بسبب الرصد الذي امره بعمله ملكشاه ، وكان الامام عمر الخيامي يعترف بتبريزه ومتانته في تلك العلوم ... فلم اشك في ان المعموري كان من جملة الفلكيين الذين بنوا الرصد مع عمر الخيام ، وفيما يأتي ترجمة الفلكيين الذين عاصروا الخيام وبنوا الرصد معه .

الفيلسوف محمد بن المعموري البيهقي

كان تلو بني موسى في الرياضيات ، وكان بيهقي الاصل والمولد ، وصنف كتابا في دقائق المخروطات ما سبقه اليه احد وكان بين كتب قطب الزمان منه اصل والاعمال التي تتعلق بالحيل والاثقال وغير ذلك تساعده مساعدة عظيمة . والامام عمر الخيامي يعترف بتبريزه ومتانته في تلك العلوم

واتفق انه ارتحل الى اصفهان بسبب الرصد الذي امره بعمله ملكشاه فبقي فيها الى ايام السلطان محمد .ولما اتفق احراق اصحاب الجبال والقلاع من الباطنية، واقبل السلطان محمد على ذلك رأى المعموري تسيير درجة طالعه التي هي الهيلاج متصلة بجرم نحس وشعاع نحس ، فخاف ذلك الاتصال فخرج من دار السلطان ، وكان فيها محترما مكفي المؤونة ودخل دار صديق له وانزوى في زوايه بيته ، فلما اخذوا باطنيا وجروه ليحرقوه علت النسوان والصبيان السطوح للنظر اليه ، فعثرت امرأة على سطح ذلك البيت الذي فيه المعموري ، فغضبت المرأة وصاحت وقالت :— معاشر الناس في هذا البيت قرمطي ، فدخلوا واخذوه وقتلوه ، فلما اخرجوه مقتولا عرفه اولياء السلطان ، فلاموا الغاغة وما نفع اللوم ولا الحذر من القضاء المحتوم ولا تأخير الأجل المسمى ولا مفر من العواقب

ومن كلماته : القدر من سر الله الاعظم .

كل ما يصلح جانباً ويفسد جانباً آخر فليس بحسن .

كل ما يزيد في العلم ينقص من الجهل ،

وقال : الغاية اما ناموسية واما طبيعية واما صناعية واما اتفاقية ، فالناموسية هي التي تبلغ اليها بالرأي الثاقب ، والطبيعية ما تبلغ اليها الطبيعة في زمان ، والصناعية هي مقصود الصناعة كالكن للبيت ، والغاية التي هي بالبخت والاتفاق هي التي يصادفها الانسان من غير قصد .

وقال : لكل علم موضوع ومبادىء ومسائل ، فالموضوع هو المنظور فيه ، والمبادىء المبرهن عنها والمسائل مبرهن عليها .

الفيلسوف ابو حاتم المظفر الاسفزاري

كان حكيماً معاصراً للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الاثقال والحيل، وكان حانياً ، رءوفاً بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيام وللمظفر تصانيف كثيرة في الرياضيات والآثار العلوية وغير ذلك وهو الذي عمل ميزان «ارشميد» المقياس الذي يعرف به الغش والعيار، وصرف من عمره في ذلك مدة فخاف خازن السلطان الاعظم وهو خصي يقال له « سعادة » الخادم ظهور خيانته في الخزانة بسبب هذا الميزان فكسره وفتت اجزاءه ولما سمع الحكيم المظفر بهذا مرض ومات اسفاً .

ومن كلماته قوله « نسبة اللذة الجسمية الى اللذة العقلية كنسبة المتنسم الى المتطعم » .

وقال : « المعلم أب روحاني والوالد أب بشري » .

وقال : « يجب أن يكون الملك سخياً على نفسه ورعيته » .

الحكيم ميمون بن النجيب الواسطي

كان واسطي الاصل خوزي المولد ، سكن العراق . وكان طبيباً فاضلا حكيماً ، قيل انه كان يحفظ المنطق والطبيعيات والالهيات من كتاب الشفاء وقلما يخالط ارباب الدولة لجـــاه او مال وكان عامل هراة شرف الدين ظهير الملك علي بن حسن البيهقي يشتاق الى محاورته إلا أنه كان — كما ذكرنا — لا يقرب ارباب الدولة فكان ظهير الملك اذا مرض أو مرض أحد اولاده أنزل جماعة من الاتراك في داره فأزعجوه واضطروه الى رفع المال الى العامل فعند ذلك يحتبسه حتى يعالج مرضه أو مرض أحد الاولاد ويجاوره ويجالسه مدة .

ومن حكمه قوله « ان نلت حاجة برأي خطأ فلا يشجعنك ذلك على معاودة الخطأ تارة اخرى » . « العاقل من اذا نزل عليه بلاء لم يدهشه عن طلب الحيلة وهذا هو الحزم. والعاجز هو الذي يدهش في البديهة ولا يعد لما لم يأت عدة » . « لا ينفع القول وان كان حكمة وصواباً مع سوء الاستماع » .

علومه وتآليفه

نصت الكتب والوثائق التأريخية التي ضمت بين دفاتهـا تراجم عدة لعمر الخيام على ان الحكيم المشار اليه كان من أبرز علماء عصره ، والمع فضلاء زمانه ، وانه احاط علماً بجميع العلوم الشـائعة في حياته احاطة تامة ، حتى لقـد لقب لجـلالة قدره وعلو منزلته في العلوم بحجة الحق ، والدستور ، والامام ، والفيلسوف ، والحكيم .

الفلسفة والحكمة

قال البيهقي : — كان تلو أبي علي ابن سينا في اجزاء علوم الحكمة

وأيده الشهرزوري فقال : — عمر الخيامي النيسابوري الآباء والبلاد ، كان تلو أبي علي في اجزاء علوم الحكمة

وقال القفطي : — وكان عديم القرين في علوم النجوم والحكمة .

وقال القزويني عماد الدين : نيسابور ... ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيما عارفا بجميع انواع الحكمة .

فيفهم مما تقدم أن عمر الخيام كان فيلسوفا حكيما .

الرياضيات والفلك

نقلنا قول ابن الاثير في كامل التواريخ في حوادث سنة ٤٦٧ هـ . وبهـا

عمل الرصد للسلطان ملكشاه ، واجتمع جماعة من أعيـان المنجمين في عمله ، منهم عمر بن ابراهيم الخيـــامي ، وابو المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم ... وقول القفطي : — وكان عديم القرين في علم النجوم وقول القزويني : — كان حكيما عارفا بجميع انواع الحـــكمة سيما النوع الرياضي ، وقد رتب (الزيج) لجلال الدين ملكشاه فسمى الزيج الجلالي .

فيظهر مما احتوته الوثائق انه كان رياضيا فلـكياً .

الطب

قال البيهقي : — ودخل الامام يوما على السـلطان الاعظم سنجر ، وهو صبي وقد أصابه الجدري ، فخرج من عنده ، فقال له الوزير مجير الدولة : كيف رأيته وبأي شيء عالجته ؟ فقال له الامام عمر — الصبي مخوف عليـه ، ففهم ذلك خادم حبشي ، ورفع ذلك الى السلطان ، فلما بريء السلطان اضمر بسبب ذلك بغض الامام عمر وكان لا يحبه . وقد ايد الشهرزوري الحكاية نفسها ...

وقد علم مما تقدم انه كان طبيباً .

علوم اخرى

قال البيهقي : — انه كان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ، وزاد على ذلك فذكر علمه بالقراءآت ، وقص علينا دخول الامام عمر يوما على شهاب الاسلام الوزير وهو عبدالرزاق ابن الفقيه الاجل ابي القاسم عبدالله بن علي ابن اخي نظام الملك ، وكان عنده امام القراء ابوالحسن ابن الغزال ، وكانا يتكلمان في اختلاف القراءة في آية . فقال شهاب الاسلام : — على الخبير سقطنا . فسئل الامام عمر عن ذلك ، فذكر وجوه اختلاف القراء ، وعلل كل واحد ، وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً على

سائر الوجوه . فقال امام القراء ابو الحسن ابن الغزال : كثر الله في العلماء مثالك ، اجعلني من ادمة اهلك وارض عني ، فاني ماظننت ان واحدا من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء .

الشعر بالايرانية

كان الخيام شاعراً بلغته الايرانية ، ورباعياته المتداولة بين طبقات الناس على اختلاف مللهم والسنتهم ملأت النفوس اعجاباً ، وفيها من الحقائق والاحساس والخيال والجمال مما جعل مكانة الخيام في الشعر عالية ، وقد ترجمت الرباعيات إلى كثير من اللغات الاوربية والشرقية .

الشعر بالعربية

كان الخيام متضلعاً من العربية ، وان استضعفه فيها الزمخشري وقد قرض الشعر بها غير ان شعره العربي نزر جدا ، ولم نعثر له الا على ثلاث قطع ، واحدة منها ذكرها القفطي في كتابه اخبار الحكماء ، وذكر القطعتين الثانيتين الشهرزوري ، في كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح . وفي شعره مسحة من روح أبي العلاء ونفحة من نفحاته وقد ذكرنا سابقاً انشاده لابيات المعري بحضرة الزمخشري وفيما يأتي شعره العربي :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازماني موعدي أو مواعدي
ولي فوق هام النيرين منازل ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
أليس قضى الافلاك من دورها بأن ... تعيد إلى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك إنما ... تخر ذراها بانقضاض القواعد

متى ما دنت دنياك كانت بعيدة — فوا عجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية — فسيان حالا كل ساع وقاعد

* * *

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى — بل الافق الاعلى اذا جاش خاطري
أصوم عن الفحشاء جهراً وخفية — عفافاً وافطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت — بطرق الهدى من فيضي المتقاطر
فان صراطي المستقيم بصائر — نصبن على وادي العمى كالقناطر

* * *

زجيت دهراً طويلا في التماس أخ — يرعى ودادي اذا ذو خلة خانا
فكم الفت وكم آخيت غير أخ — وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها — والله لا تألفي ما عشت انسانا

* * *

وله أبيات اخرى ، وجدتها في ترجمة الشاعر الرقيق صديقنا وديع البستاني مترجم الرباعيات غير انه لم يذكر الاصل الذي نقل عنه هذه الابيات وهذه هي :

سبقت العالمين إلى المعالي — بصائب فكرة وعلو همة
فلاح بحكمتي نور الهدى في — ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفئوها — ويأبى الله الا ان يتمه

* * *

العقل يعجب في تصرفه — ممن على الايام يتكل
فنوالها كالريح منقلب — ونعيمها كالظل ينتقل

* * *

مؤلفاته

قال البيهقي : — وقد ذكرناه آنفا — « وله — اي لعمر الخيام — ضنة بالتصنيف والتعلم وله مختصر في الطبيعيات ،ورسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف وكان عالما باللغـــة والفقه والتواريخ » . وقد ايد الشهرزوري رواية البيهقي .

١ — رسالة في براهين الجبر والمقابلة مع خمسة الواح للاشكال . في ٥٢ صفحة مع مقدمـــة . طبعها العالم الجليل وايبك الالماني مع ترجمـة بالفرنسية في باريس سنة ١٨٥١ .

٢ — رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات كتاب (اقليدس) والرسالة محفوظة في هولندة في دار كتب ليدن

٣ — الزيج الملكشـاهي وهو الزيج الجلالي الذي اشرنا اليه قبل هذا .

٤ — رسالة في الطبيعيات ، ذكرها البيهقي والشهرزوري .

٥ — رسالة في الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن المؤيد ، والنسخة محفوظة في (دار التحف البريطانية) وقد كتب في صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام « كذا » في الكليات الوجود) .

٦ — رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل ، كشف الحجـــاب عن ضرورة التضاد في العالم ، نشرها محي الدين صبري ، مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع) وطبعها في مصر .

٧ — رسالة في الكون والتكليف ، وقد ذكرها البيهقي والشهرزوري ، وهي رسالة فلسفية كتبها جوابا عن سؤال عبدالرحيم النسوي القاضي ، ونشرها محي الدين صبري ايضاً في مصر .

٨ ـ رسالة في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة ، في جسم مركب منهما ، محفوظة في مكتبة (كوتا) في المانية .

٩ ـ رسالة في لوازم الامكنـــة ، بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم .

٧ ـ رسالة في جواب القاضي أبي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوي وهي منطوية على المباحثة عن حكمة الله تعالى في خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات . والظاهر لنا انها الرسالة التي ذكرناها في الرقم السابع.

١٠ـ نوروزنامه : وهو كتاب جليل بحث فيه عن رسوم واعياد الايرانيين ولا سيما عن تاريخ وآداب احتفالات يوم النوروز وذكر تراجم بعض ملوكهم والرسالة قوية الانشاء تدل على تضلع الخيام من الايرانية وقد نشرها السيد مجتبى مينوي الاديب الايراني المشهور .

١١ ـ ديوان رباعياته .

ادبه

اجمعت الوثائق التأريخية التي ترجمت عمر الخيام على انه قد حاز فضائل جمة ومزايا كثيرة ، فكان رياضياً فلكياً ، وكان طبيباً حكيما ، وكان ايضاً شاعراً قرض الشعر بلغة قومه ، وقد سلك في نظم الشعر مسلكا يختلف عن الاخرين ، فلم ينظم القصائد الطوال في الغزل والمديح والرثاء والهجاء والاوصاف ولا غير ذلك من اغراض الشعراء ، وقد انفرد بالتعبير عن شعوره وحده ، فلم يتغزل بفاتنة سلبته لبه ، ولم يمدح ملكاً ولا اميراً لنيل وفر ومال ، ولم يذم شخصاً لعدواه وضغينة ، ولم يتعرض في شعره لاحد من معاصريه لابالخير ولا بالشر ، وانما كان اذا جاشت في صدره نفثات واضطربت في جوانحه هواجس ، وهاج في قلبه الشجو صب نتاج هذه الانفعالات النفسية في قوالب شعرية جميلة ، يظهر منها أدبه الغض الريان عرياناً كالشمس ، يتمثل فيه الالم والسخرية ، والنقد والهزء ، والانكار والجحود والتهكم والجرأة والصراحة فيمثل بمجموعه روحه أصدق تمثيل .

الخيام شاعر ولا كالشعراء ، وقد ارغمته نفسه التأثرة المتألمة وحسه المرهف على ان ينطق بالشعر ، فهو لم يصف الا ما كانت تشعر به روحه ، ويضطرم به قلبه ، ولم يسخر إلا مما كان يعارض عقيدته ، فغرضه من الشعر يختلف عن اغراض الشعراء كما ذكرنا ، فهدف هؤلاء شؤون الحياة ، وهدف الخيام علة الحياة .

وبينا نرى الشعراء يتغزلون ، ويمدحون ويهجون ، ويصورون ماتقع عليه عيونهم من مظاهر الدنيا ، فيلتهون بسفساف الحياة نرى الخيام يتغزل بالطبيعة ، ويتشكى الفلك ، ويصف ما تحسس به نفسه من الآم وافراح ، ونظرات في فلسفة الحياة

وعلة التكوين .

وبينا نرى الشعراء يستهدفون في نظم الشعر الحصول على الجاه والمال ، نرى الخيام يمثل في نظم الشعر معالجة الحال ، والحيرة في اسباب الخليقة والفناء والزوال

لهج الشعراء بالخمرة ولهج الخيام بها ، فأحبها الشعراء لانها جالبة للسرور ، وأحبها الخيام لانها دافعة للالام . مدح الشعراء الناس طمعاً في اموالهم وأنب الخيام الناس على كثرة احقادهم وضغائنهم . شتم الشعراء الناس لاغراض دنيوية . ولام الخيام الكواز عندما رآه يجبل الطين ويرهصه بقسوة واعتساف . فكان اصدقهم لهجة واوفرهم صراحة . وا كثرهم جرأة ، وكان كشبيهه وقدوته ابي العلاء المعرى شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

الرباعيات

فاذا ما بحثنا عن ادب الخيام . فان بحثنا ينحصر في رباعياته . فهي مظان فلسفته ومستودع آرائه . وقد فتنت الألباب رباعياته الذائعة الصيت . فكان له بها انصار . يجعلونه من اكابر الشعراء ويسرفون في تبجيله ويفضلونه على غيره

نظم الخيام رباعياته في ازمنة وامكنة مختلفة ، وكانت نفسه تتمثل في كل رباعية من رباعياته تمثلا خاصا بها ، بما كان يحيط به من المؤثرات ، فيقول في كل حادثة كلمة ، ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها ، لا علاقة لها بما قبلها ، ولا ما بعدها ، وقد نرى تناقضاً ظاهراً بين رباعيتين ، وذلك عند جولته في مضمار الشك واليقين ، فتارة نراه مؤمنا ومطمئنا ومرة نجده مرتابا مضطربا ، وهو اشبه روحا بأبي العلاء في لزومياته ، وهذا يدل على كونه شاعراً حقيقيا ، تختلج في قلبه افكار شتى . ثم اننا نرى شيئا منها سخيفا سمجا ، لا يستحق العناية ، فأيقنا انه منحول مفتعل عليه ، وقد وجدنا

الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل والوصف ، والسخرية والنقد، والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخلقية وادبية وفلسفية .

وعروض الرباعيات في الغـالب على وزن الدوبيت مثل « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو مركب من اربعة مصاريع الاول والثاني والرابع مقفى والثـالث مطلق ، وقد تكون الاربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات معني مستقل .

والذين نظموا الرباعيات من الشعراء في ايران كثيرون ، ولكن الخيام على مانعتقد برز على الجميع ، وبحسبنا ان نقول انها تكاد تكون المصدر الوحيد لآرائه الفلسفية ، ومجموعها يعبر عن شعوره أحسن تعبير ، ويتضمن كل ما كان يختلج في صدره من شكوك وهواجس ووساس ونزعات ونزغات .

عدد الرباعيات

اختلف الباحثون وتضـاربت آراؤهم في عدد الرباعيات ، اذ ليس كل ما في الرباعيات هو له ، وقد بلغ ما في النسخ المطبوعة في الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعية ، وعددها الصحيح بين ١٢٠ و ١٥٠ رباعية واما الباقي فهو لشعراء آخرين ، نسبه اليه المتأخرون او دسوه في ديوانه ، وقد وقعت بضع نسخ منها ، مطبوع بعضها في الغرب وبعض في الشرق ، وكل ما فيها لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية . وفي نسخ اخرى ١٢٠ او ١٥٠ او ٥٠ او اقل . فاختـلاف النسخ يـدل على صحة ما ادعوه .

ولا ينكر ان الدس على العلماء والمؤلفين كان فاشيا في عصر الخيام وما قبله وما بعده ، وكان للانتحال شأنه . في كل عصر من العصور المتقدمة . ولا ينكر ان للخيام اعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضا له في حياته ، وبعد وفاته ، فلذلك نرى من الصعب جدا تعيين ما له وما ليس له من الرباعيات ، لانه لم يختص وحده

بنظم الرباعيات ، ولا هو اول مبتكر لهذا الاسلوب ، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن بعـــده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعنى ، وقد وجد قسم من الرباعيات المعزوة اليه ، في دواوين شعراء الفرس كأبي سعيــد ابي الخير وافضل الكاشاني والانوري وابن سينا والخاقاني وجـــلال الدين وسعدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم من الشعراء والمتصوفة .

خيام آخر

وقد عثرنا على شاعر آخر عرف « بالخيام » واسمه علاء الدين علي بن محمد بن احمد بن خلف الخراساني ، ولهذا الخيام ديوان بالفارسيه وشعر كثير مشـــهور بخراسان واذربايجان (١) ورب شعر لخيـامنا ومدرسنا العزيز قد عزى لهذا الخيام او كان الامر بالعكس ، فنسب لهذا ما هو لعزيزنا وليس له ولم نعثر على ديوان الخيام الجديد ، ولا اشك في اننا اذا ظفرنا بديوانه فلن نراه ناجيا من الانتحال .

إن أقدم نسخة للرباعيات هي النسخة المحفوظة في مكتبة « بودلين» في اكسفورد معلمة برقم ٥٢٥ ، وقد كتبت سنة ٨٦٥ هـ أي بعد وفاة الخيام بثلاثة قرون ونصف قرن ، فهي اقدم نسخة بين ايدينا ، وتشتمل على ١٥٨ رباعية وذهبت « المسس كادل» التي سلخت عدة سنوات في تحقيق رباعيات الخيام ان له ١٢٠٠ رباعية وقد نشرت مجلة العرفان في المجلد ٣٥ صحيفة ٨٥٩ خبرا مؤداه ان الاديب المدعو السيد احمد الواساني قد عثر على مخطوط لرباعيات الخيام كتب بعد ٨٧ سنة من وفاته ، فان صح الخبر — ونرجو ان يكون صحيحاً — فتكون هذه النسخة اصح النسخ واقدمها

ولو قبلنا كل الرباعيات التي تنسب الى الخيام بغير تمحيص لـكان عددها بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ رباعية ، والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة أمر متعسر بل متعذر حتى على ادباء الفرس المحققين انفسهم

---

(١) معجم الالقاب ج ٤ ص ١٧٦ نسخة الدكتور مصطفى جواد .

فلسفته

يقول فريق من الباحثين « ومنهم فرناند هانري وفيتز كرالد » ان رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلا مستهتراً بالشراب ، ماجناًشهوانيا ، فانيا في حب ذاته وشهواته ، زائغا عن التقاليد ، متمرداً على الاخلاق جاعلا هدفه الاسمى في الحياة اجتلاب السرور والانغماس في الملذات فهو لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكماء ممن جاهدوا في نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الاخلاق الرفيعة وقدموا عصارة ادمغتهم ونتائج قرائحهم فداء وقربانا للانسانية المفعمة بالاتراح الملأى من الاوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس وآراؤه في الحياة غير مستندة الى أسس الخير ولا ذات فائدة للناس وان افكاره الفلسفية مبتناة على السلب لا الايجاب وهدم النظام الاجتماعي وما هو الا شاعر وليس بالفيلسوف المغرم بالفضيلة .

أجل هذا هو الواقع الذي لا شك فيه والحق الذي لا مراء فيه للمتأمل في رباعياته لاول وهله فان عمر الخيام لم يكلف نفسه قط نشر الفضيلة ولم تحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم الى الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة وانما رباعياته تمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وان غلوه واسرافه وولعه بالخمر وحثه الناس على الاقبال عليها صورته ربيب حانات ورفيق سقاة هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذي جعل جماعة من العلماء يشبهونه « بأبيقور واوقره جيوس » وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون ان غاية الحياة ان يتطلب الانسان الامور التي تولد اللذة واجتناب ما يورث الالم ما دام الانسان يشعر بأن اساس حياته هو الاحساس .

ان الذين حكموا على عمر الخيام هذا الحكم الصارم القاسي من هذه الناحية

لم يلتفتوا الى تحقيق أشياء اخرى في الناحية الاخرى من رباعياته ، لقد اكثر الخيام من ذم الحياة وصورها ابشع صورة ، حتى لقد تمني العـــدم وود لو انه لم يكن مخلوقا . قال : ـ

كر آمدنم بمن بدي نامـــدمي
ور نيز شدن بمن بدي كي شـدمي
به زآن نبدي كه اندر اين دير خراب
نه آمدمي ، نه شـدمي ، نه بدمي

لو كان مجيئي باختياري ماجئت ، ولو كانت خلقتي بيدي مارغبت ان اخلق ، الافضل لي انني لم اكن في هذا العالم ، ولم اجيء اليه ولم ابق فيه . وقال :ـ

جون حاصل آدمي در اين جاي دودر
جز درد دل ودادن جان نيست دكر
خرم دل آنكه يك نفس زنده بود
وآسوده كسيكه خود نزاد از مادر

لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القاب وزهوق الروح فالمسرور من عاش لحظة والمستريح هو الذي لم تلده امه . وقال :

جون حاصل آدمي در اين شورستان
جز خوردن غصه نيست يا كندن جان
خرم دل آنكه از جهان بيرون شد
آسوده كسيكه خود نيامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان في هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها او لم يجيء اليها

. اليس عجيباً ان يذم الخيام الحياة ، وان يفيض بالنقمة عليها ، فيسميها دار الفتن

والعذاب ويتمنى العدم في هذا الدير الخرب وان يقول هنيئاً لمن عاش لحظة فيها وطوبى لمن لم تلده امه ؟!

اليس غريباً ان يصب الخيام نقمة على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة الناس الى الملذات والمسرات واغتنام الفرص في الحياة والاخذ باللهو والمرح، من غير اهتمام

ما كان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية، وما كان مختل التفكير، فان علمه وادبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقي وما كان مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزانته وانه كان آية في العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعاً سافل الطبع اذ لا يكون الخليع السافل جليس الملوك ونديم الامراء . ولم يذكر احد انه كان مدمنا للخمرة سكيرا من كثرة تغزله بها وانما دعا الخيام الناس الى اللذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة فلسفية هي وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفي فان للرجل تفكيراً خاصا ومسلكا معلوما في الحياة فلم يكن عدو الناس ولا صديقهم ولم يطلب لهم خيراً ولا استثار عليهم شراً وقد كان مشغولا بنفسه وروحه الملتهبة المضطربة فقد جاشت في صدره نفثات هي حقائق ناصعة ومقاصد عالية ومعان جليلة البستها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميلة ابرزها بصدق واخلاص ونية حسنة

اذا فلم يكن عمر الخيام شاعرا مستهتراً بالخمر ولا ماجنـــا شهوانياً ماديا . كما ادعى « فرناد هانري و فتز كيرالد » وغيرهما . وانما كان حـــكيما مفكرا له عقيدة خاصة ، تعبر عن مزاجه ومذهبه ورايه الفلسفي . وان لوجود هذه العقيدة الفلسفية وكيفية تكوينها ونضجها اسباباً سأبنيها في بحثي عن عقيدته الفلسفية . ومع ذلك اثبت هنا ثلاث رباعيــات جوابا للذين يصمونه بالاستهتار والسفه . ليتبينوا السبب الذي من اجله دعا الخيام الناس الى معاقرة الخمرة وطلب اللذة قال :—

روزي كه دو مهلتست ميخورمي ناب
كاين عمر دوروزه برنكردد در باب
داني كه جهان روبخرابي دارد
تونيز شب وروزهمي باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم، فان هذا العمر الذي هو عبارة عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى، انت تعلم ان الكون آيل إلى الخراب فكن انت ايضاً خرابا ليلا ونهارا . وقال : —

عمرت تاكي بخود برستي كذرد ؟
يا دربي نيستي وهستي كذرد ؟
مي نوش كه عمري كه اجل دربي اوست
آن به كه بخواب يابمستي كذرد

حتى م يمر عمرك في عبادة نفسك او في التفكر في الوجود والعدم اشرب المدامة فان العمر الذي وراءه المنية يحسن ان ينقضي في النوم او السكر وقال : —

اى انكه نتيجهٔ جهـــار وهفتي
در هفت وجهار دائم اندر تفتي
مي خوركه هزار بار بيشت كفتم
باز آمدنت نيست جو رفتى رفتي

يا من هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات الى متى انت تتألم بالتفكر فيها اشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ذهبت فقد ذهبت اي يكون ذهابك ابديا

اظن الآن قد بان المسبب الذي من اجله كان الخيام يدعو الى الخمر . لقد بان عرياناً صريحاً كالشمس . وسوف احلل هذا السبب اكثر من ذلك فيما بعد ، والآن ابحث عن مصادر فلسفته

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام في القرن الخامس الهجري ، وقد انتشرت بين الناس كتب الفلسفة اليونانية المترجمة ومؤلفات أرسطاطاليس وافلاطون واقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزه نون وابيقور في الفلسفة الطبيعية والالهية والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والاخلاق والسياسة والهيئة وكان الجدل محتدما حول آراء السوفسطائيين والكلبيين والمشائين والرواقيين وغيرهم، من اهل المذاهب الفلسفية ، هذا ومن جهة اخرى كان الخيام قد وجد في عهد نضج فيه علم الكلام ، واشتد النزاع العلمي بين الاشاعرة والحنابلة والمعتزلة والجبرية ، وشاعت آراء الباطنية ، وكثر الاقبال على التأليف في مختلف العلوم والفنون وامتلأت المدارس بطلاب العلم وذاعت رسائل « اخوان الصفا » وتعددت الفرق والطوائف ، وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة والفت كتب في تراجمهم ووضعت كتب الملل والنحل ،أحصيت فيها الفرق وذكرت حججهم وأدلتهم العلمية ، وظهر ابو علي بن سينا ، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة ، فوضع الامام الغزالي كتباً في الرد على الفلاسفة ، وعظم امر التصوف ، وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بآرائهم الحرة التي لا تلائم ذوق الجمهور ، فاتهموا بالزندقة والابطان.

وقد دلت مؤلفات الخيام ورسائله ، في العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية ، على اقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درساً متقناً واعتقد ان الخيام قد استقى علومه وآراءه الفلسفية من المصادر الآتية : —

الفلسفة اليونانية

قلنا فيما تقدم ان المسلمين قد اقبلوا على درس العلوم والمذاهب الفلسفية اليونانية اقبالا عظيما وان رسائل اخوان الصفا اسطع دليل على رغبتهم فيها وكان الجدل حامي الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين وكان الخيام ممن شغف بها فدرسها وتولع به وقد ذكر القفطي ذلك بقوله : يعلم علم « يونان... » وهذه الرواية تدلنا على اضطلاعه بها واتقانه إياها . وقد اشار القفطي الى ان له آراءاً خاصة فيها بقوله « ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية » . وما القواعد اليونانية الا نظريات الفلاسفة اليونانيين وآراؤهم في الكون والحياة والاجتماع والاخلاق الى غير ذلك ولكن عزوف الخيام عن التأليف وضنه بالتصنيف حال وبا للاسف دون اطلاعنا على افكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال تأثر مزاج عمر الخيام بالفلسفة اليونانيـــة خصوصاً بفلسفة (ابيقور) ورأيه في « اللذة » كما نطقت به رباعياته

رسائل اخوان الصفا

واخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا في منتصف القرن الرابع في البصرة على ما جاء في التاريخ ، والفوا جمعية علمية سرية ، ووضعوا رسائل عظيمة الشأن ، وهي احدى وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة في عصرهم ، وكان غرضهم من ذلك كما زعموا ، غرضاً نزيهاً ، وهو انقــاذ الشريعة من الاوهـــام والاباطيل والضلالات ، اذ كانوا يرون « ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقــادية والمصلحة الاجتهادية » . وذكروا في اول هذه الرسائل « ان الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل الاسلام تكلموا في علم النفس ، ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلوهــا من لغة

الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها حرفيا وغيرها ، حتى انغلق على الناظر فيها فهم معانيها ، ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى اغراضهم فيها ، وأوردناها بأوجز ما يمكن من الالفاظ في احدى وخمسين رسالة » . والحق أن هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئها وتوغلهم في العلوم المعروفة في عهدهم ، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي المتوفى في اوائل القرن الخامس (على ما ورد في طبقات الشافعية للسبكي) في كتابه « الامتاع والمؤانسة » (١) و أحسن الثناء عليهم حتى ظن — وقد يكون ذلك — انه هو احدهم لادعائه « ان الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة » .

وأنا أجزم بأن عمر الخيام قد أنعم النظر في رسائل اخوان الصفا إنعاماً دقيقاً ، لان لهجته وتقريره في رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد في العالم وجوابه عما اورده اصحاب مذهب الجبر ، ورأيه في رسالته الكون والتكليف تكاد تكون لهجة اخوان الصفا نفسها في رسائلهم ، بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله المتقدم ذكرها ورسائل اخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة والتقرير وبسط الحجة . ومن يقابل بين رسائله ورسائل اخوان الصفا يحصل له اليقين التام بما قررته

ابن سينا

صرح عمر الخيام في احدى رسائله في بحثه عن تفاوت الموجودات بما نصه : فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس ، حتى لا يكاد يوجد عاقل الا يعتريه في هذا الباب تحير ، ولعلي ومعلمي افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابا علي الحسين بن علي بن عبد الله سينا البخاري — اعلى الله درجته — قد امعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث

(١) و نقله منه القفطي في تاريخ الحكماء ومن القفطي ابن العبري في مختصر الدول

الى ما قنعت به نفوسنا ... » (١)

ان اجتماع عمر الخيام بابن سينا وتتلمذه له امر مشكوك فيه ، لان ابن سينا توفى في سنة ٤٢٨ هـ وتوفى الخيام على رواية سنة ٥٠٥ الهجرية وفي رواية — وهي الراجحة — في سنة ٥٣٠ فان فرضنا ان الخيام تتلمذ لابن سينا وهو ابن عشرين عاماً فيكون عمر الخيام قد نيف على المائة ، وهو امر مع احتمال جوازه مستبعد حتى ان هذه القصة جعلتني اشك في الرسالة المعزوة الى الخيام وهي الرسالة التي المعنا اليها .

ولكن الامر الذي لا اشك فيه هو ان الخيام قد اكب على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درساً واحاط علماً بجميع آرائه ونظرياته في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق مما اودعه كتبه خصوصا كتبه الشهيرة « كالقانون والشفاء والنجاة » .

وقد نقل البيرقي عن ختن الخيام الامام محمد البغدادي عندما قص عليه خبر وفاته أنه كان يتأمل كتاب الشفاء ، وقد ايد هذه الرواية الشهرزوري بقوله « وكان يتأمل الالهيات من الشفاء » .

الباطنية

ذكر صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ ميرخند ان عمر الخيام قد تتلمذ في عنفوان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح ، في نيسابور في مدرسة الموفق النيسابوري ، وذكرنا الاسباب التي جعلت جماعة من الباحثين يحجمون عن قبول هذه الرواية ، وقد ابدينا رأينا في عدم صحتها ولكنا لم نشك قط في أن عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح ، لان الحسن قد توفي سنة ٥١٨ هـ ولان الخيام قد توفي بين سنة ٥١٧ هـ و ٥٣٠ هـ . وبناء على ذلك لانرى ريباً في أن الخيام كان معاصراً لابن الصباح . بيد ان في الامر مشكلة لم يحلها أحد بعد وهي

(١) جامع البدائع ص ١٧٠ — ١٧١

أكان قد اجتمع ابن الصباح بعمر الخيام بعد ايابه من مصر ، وانخراطه في سلك المحفل السري ، وأخذه المبادىء الاسماعيلية ام لا ؟

اننا لم نهتد الى الآن الى حل هذه المشكلة ، ولم نعثر على نص او وثيقة تأريخية تؤيد وقوع اجتماعهما بعد رجوع الحسن من مصر ، وليس المهم في تظرنا اجتماعهما في اثناء دراستهما ، وانما المهم هو الاجتماع الاخير . لان التطور الفكري الذي حصل في الحسن الصباح كان بعد ايابه من مصر .

وفي اليوم الذي تحل فيه هـــذه المعضلة يرتفع الستار الذي كان يحول بين الباحثين وعقيدة الخيام ، وينتهي تبلبل آراء العلماء فيهـــا ، فلا يبقى اقل شك في انه كان باطنياً محضاً .

اما الآن ، وليس عندي حجة تؤيد وقوع اجتماعهما ، فانني اجزم بصورة قطعية بان الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثراً قويا وتكاد رباعياته تسوقني الى اعتقاد أنه كان من المعتنقين لتلك المبادىء ومن أشد الناصرين لها ولعله كان من دعاتهم على اني لا اريد ان اتهم الخيام دون ان آتي بالبرهـــان ولا احب ان ادعي هـــذا الادعاء الذي انفردت به وحـــدي دون غيري من غير دلالة تؤيده واليك برهاني على ما ادعيه : —

لقد تضمنت الرسالة التي بعث بهـــا الباطني عبيد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي اشياء كثيرة اشرنا اليها سابقا وكان اهمها : —

(١) اباحة شرب الخمر وجميع الملذات (٢) انكار النبوات والمعجزات الوحي (٣) القول بقدم العالم (٤) ابطال القول في المعاد والنشر من القبور (٥) كون الجنة نعيم الدنيا (٦) وصايا اخرى وكلها ترمي الى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الإلحاد .

هذه هي المبادىء التي كانت تسير عليها الباطنية ، ومن يدقق النظر في رباعيات

الخيام يجـــد انها تتضمن جميع هذه المبادىء إلا ما كان من امر انـكار النبوات والمعجزات والوحي ، والظاهر ان الخيام كان يتجنب مهاجمتهـا ، خوفا على حياته ، وابتعادا من تعريض نفسه للمخاطر . واما اجتراؤه على اباحـــة شرب الخمر وجميع اللذاذات ، والقول بقدم العالم من طرف خفي وابطال القول في المعاد والنشر ، وانـكار الجنة والنار فلانه محتمل التأويل على الطريقة الصوفية ، خصوصا التغزل بالخمر ، فانه مباح لا ضير فيه عند ارباب هذا المذهب، اذ كانوا يريدون به « خمرة الحب الالهي » و « لذة السكر المقدس » وحقا اول الصوفية رباعيات الخيام ، وقلبوا هـذه المعاني الى معان عرفانية ــ كما اصطلحوا عليه ــ وقد ذكر القفطي ما وقع اذ قال « وقـد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره ، فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم .. » .

على ان القفطي قد ادرك بذكائه ظاهر معانيه ، وما كان ينزع اليه الخيام ، فلم يتردد في ردهـا بقوله (وبواطنها حيات للشريعة لواسع ومجامع للاغلال جوامع) . وفيما يأتي نثبت شيئا من رباعياته المتضمنة اقسام من المبادىء الباطنية، التي استطاع ان يبثها في رباعياته قال :

يك جام شراب صد دل ودين ارزد
يك جرعهٔ مي مملكت جين ارزد
جزبادهٔ ناب نيست در روى زمين
تلخي كه هزار بار شيرين ارزد

ان كأساً من الخمر تعدل الف قلب ودين ، وان جرعة منها تساوي مملكة الصين ، ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافيـــة ، وهي المرة التى تفضل الحلو الف مرة . ..

تازهره ومه در آسمان گشت بديد
بهتر زمي نابكي هيج نديـــد
من در عجبم زمي فروشان كايشان
به زانجه فروشند جه خواهند خريد

منذ ظهرت الزهرة والقمر في السماء ما رأى احد احسن من الخمر الصافية .
يا عجبي من الخمارين اي شيء سيشترون احسن مما يبيعون ؟

اى دل تو باسرار معمـــي نرسي
در نكتهٔ زيركان دانا نرسي
اينجـا بمي وجام بهشتي ميسان
كانجاكه بهشت است رسي يانرسي

ايها القلب انت لا تصل الى الاسرار المعماة ، ولا تفقه نـكات الالباء الفهماء ،
اجعل لنفسك في هذه الدنيا جنة من الخمر والكأس ، فانك لا تعلم اتنالها املا ؟

جامي ومي وساقي براب كشت
بهتر زبهشتي كه خبر بودش رشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از كس
كه رفت بدوزخ وكه آمد زبهشت

كأس وخمرة وساق في جنب روضة خير من الجنة التي وعدتها . لاتسمعن
من أحد حديث الجنة والنار . من ذاالذي ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة ؟

مالعبتــكا نيم وفلك لتعبتبـاز
از روي حقيقتى نه ازروي مجاز
بازيجه كنان بدبم بر نطع وجود
رفتيم بصندوق عدم يك يك بـاز

نحن الا عيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا ، وذلك امر حقيقي غير مجازي
لقد لعبنا مده في ساحة الوجود . ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحدا بعد واحد

* * *

در دائره كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهايت بيداست
كسرمي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاسب

لابداءة ولا نهاية للدائرة التي جئنا منها ونعود اليها ولا احد يستطيع ان يقول
من اين هذا المجيء والى اين هذا الذهاب

***

أرأيت كيف يحض الخيام على الخمر والملذات . وينكر الجنة والنار والمعاد،
ويصرح بقدم العالم بقوله « لابداءة ولانهاية » لهذا العالم . وانما المصير الى العدم ؟
الا ترى معي ان في هذه الرباعيات مسحة من العقائد الباطنية ؟ والآن الا تعتقد معي
ان الخيام متأثر بهذه المبادىء في الاقل ؟

موضوع فلسفته

لقد احتوت رباعيات عمر الخيام ، على جميع آرائه ونظراته في الكون كالمادة والزمان والفلك والآله والجبر والتناسخ والبعث والعدم ومصير الجسم بعد الموت ، فتكلم الخيام في هذه المواضيع بأسلوب شعري جميل .

المادة والزمان

رأي الخيام في المادة والزمان كرأي سائر الفلاسفة ، الذين كانوا يقولون بقدم المادة والزمان ، وقد اكثر القول غير مرة بأن لا بداءة ولا نهاية لهذه الدنيا ، التي جئنا منها ونذهب اليها ، ورأيه هذا صريح في قدم المادة وخلودها ، وهو يذهب الى ان الاجسام متألفة من مادة واحدة واشكال وصور تختلف عليها ، والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان ايضاً قال : —

آنها كه كهن شدند وآنها كه نوند
هريك‌يس از آمدن يكايك بروند
اين كهنه جهان به كس نماندجاويد
رفتند وروند وديكر آيند وروند

اولئك الذين هرموا والذين لا يزالون احداثاً سيذهب كل منهم فرداً فرداً بعد مجيئه . لا يخلد في هذه الدنيا القديمة أحد ، ذهبوا ويذهبون ويأتي غيرهم ثم يذهبون . وقال : —

این کهنه سرا که عالم اورا نام است
وآرامکه ابلق صبح وشام است
بزمیست که وا مانده صد جمشید ست
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح لوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيد ، وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام .

الاله

كان جماعة من علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويصمونه بالعقيدة الدهرية ، وكانوا يستدلون على واجب الوجود بكون العالم حادثاً غير قديم ، لان الشريعة الاسلامية جاءت بعقيدة التنزيه ، وتقوم هذه العقيدة على ان الله ازلي ليس له ابتداء ، وانه اوجد العالم من العدم فهو لذلك ـ اي العالم ـ حادث . اما القول بقدم المادة ـ اي قدم العالم ـ لا يناقض وجود الله ، لان الله واجب بذاته ، ولان لهذه الموجودات علة وهي ملازمة له كما يلازم المعلول علته ، واذ ثبت ان الاشياء صدرت عنه صدور المعلول عن علته وجب القول بقدم الاشياء ، ولما كان واجب الوجود ازليا بالعلة كانت الاشياء ازلية بالمعلول . وقد سلك الخيام طريق الفلاسفة اليونانيين في الفلسفة الآلهية ، وهو معتقد الها هو الخير المحض الذي لا يصدر منه الشر ، وقد نفى وقوع العذاب والعقاب مدفوعا بعقيدة الجبريين ولذلك قال :

كفتي كه ترا عذاب خواهم فرمود
هرگز من ازين خبر هراسم نفزود
جائي كه توئي عذاب نبود آنجا
وانجا كه تو نيستي كجا خواهد بود

تفضلت قائلا : "اني سوف اعذبك" ، وانا لم أخش قط هذا القول ، فان المكان الذى انت فيه لايكون فيه عذاب ، واين المـــكان الذي أنت لست فيه . وقال : —

من بنده٬ عاصيم رضاي تو كجاست
تاريك دلم نور و صفاي تو كجاست
ما را تو بهشت اكر بطاعت بخشي
اين بيع بود لطف وعطاي تو كجاست

أنا العبد العاصي فاين رضاك؟أنا المظلم قلبه فاين نورك و صفاؤك؟ ان كنت تهب لنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع ، فاين لطفك وعطاؤك ؟ وقال :

نا كرده كنه در جهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكرد جون زيست بكو
من بد كنم وتو بد مـــكافات دهي
بس فرق ميان من وتو جيست بكو

قل لي من الذي لم يرتكب خطيئة في الحياة ؟ ومن ذا استطاع ان يعيش من غير خطيئة يأتيها؟ اذا كنت تجزيني السيئة بالسيئة فما الفرق بيني وبينك ؟ وقال :

يارب خردم در خور اثبات تو نيست
واندیشه٬ من بجز مناجات تو نيست
من ذات ترا بواجبي كي دانم
داننده٬ ذات تو بجز ذات تو نيست

ليس لعقلي من السعة مايكفي في اثباتك . انا لا افكر الا في مناجاتك وانا كيف أعرف ذاتك كما ينبغي اذ لا يعرف ذاتك إلا ذاتك . وقال : —

كر كوهر طاعتت نسفتم هركز
كرد كنه از جهره نرفتم هركز
نوميد نيم زباركاه كرمت
زيرا كه يكيرا دو نكفتم هركز

اني وان كنت لم اثقب جوهر طاعتك ولم انفض غبار الاثم عن وجهي لست قانطاً من كرمك ، لانني لم اجعل قط عوض الواحد اثنين .

فالظاهر من الرباعيات التي قدمناها ان الخيام كان مؤمناً معتقدا وجود آله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقود ولا حنق .

ورب معترض يقول : اننا عرفنا الخيام جاحداً للبعث والنشر ، منكراً وجود حياة اخرى ، وقد نطقت بذلك رباعياته ، فكيف نوفق بين ايمانه بالله وانكاره البعث والنشر ، وغير ذلك مما صرحت به الشرائع السماوية ؟ فالجواب عن ذلك هو : قد ينكر الانسان الشرائع والنبوات والوحي ، ولا ينكر وجود الآله . والعقل مهتد بذاته الى الاعتراف بواجب الوجود .

الجبر

صرح الخيام في رباعياته باعتقاده الجبر وكان مؤمناً بسيطرته وسلطانه على الكون ، وما فيه من افراد وجماعات ، وقال غير مرة انه دخل هذه الدنيا مضطراً كارهاً وخرج منها مرغماً كارهاً ، ولو استشير ما اراد ولو خير ما اختار ، فهو لذلك لا يطمئن الى الاختيار فهو بناء على ذلك جبري بحت

ومذهب الجبر قديم جداً ، وقد اثبتته الشرائع وفرغت الفلسفة من اثباته ،

والقرآن طافح بالآيات التي نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) . (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ، ويثبتون القدر ، ويقولون بان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان مقدرة متعلقة بذلك الفعل ،ولا تأثير لتلك المقدرة في الفعل . ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر في الفعل،ويقولون بأن الله مالك في خلقه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل ، فلو ادخل الخلائق أجمعين الجنة لم يكن حيفاً ولو ادخلهم النار لم يكن جورا ، بل هو في كل ذلك عادل ، لان العدل على رأيهم هو التصرف بما يملكه المتصرف .

وأول من صرح بهذا الرأي في العصر الاسلامي هو جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة . قلنا إن الفلسفة قد فرغت من إثبات الجبر ، وذلك لان الاختيار اما ان يكون متصلا بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها فان تكن الاولى فهو الجبر ، ولا يمكن ان يتخلف المعلول عن علته ، ولا ان تحول النتيجة عن مقدمتها ، واذا فادعاء الاختيار ليس الا غرورا . وان تكن الثانية فقد بطلت القضية التي قدمناها ، وأصبح العالم ملعباً تختلف فيه الاتفاقات وهو مالا شك في بطلانه اذاً فليس عن الجبر محيد ، ولا عن الاضطرار مزحل . ومن مصادر الجبر الايمان بشمول القدرة والعلم الآلهيين ، فان شمول القدرة يقتضي ان لا يكون في هذا العالم شيء الا اذا تعلقت به قدرة الله فاذا فعل الانسان شيئاً فاما ان يكون مختارا فيه واما ان يكون غير مختار فان يكن مختارا فهذا الفعل واجب وان لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل لانه يهدم أصل القدرة وان يكن غير مختار فهو الجبر الذي لاشك

فيه . اذا فالدين والفلسفة يتظاهران على اثبات الجبر واقامة الادلة عليه .

واليك من رباعياته التي تضمنت عقيدة الجبر . قال : —

من مي خورم وهركه جو من اهل بود
مي خوردن او نزد خرد سهل بود
مي خوردن من حق زازل ميد انست
كرمي نخورم علم خدا جهل بود

انا اشرب الخمر ، ويشربها كل من هو اهل لهـا مثلي ، فان شربي لها ليس مستبعدا في نظر العقل ، لان الله كان يعلم منـذ الازل بأني سأشربها ، فانا ان لم اشربها فعلمه يكون جهلا ـ خطأ ـ وقال :

برر هكذرم هزارجا دام نهى
كوبي كه بكيرمت اكركام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالي نيست
حكمم توكني وعاصيم نـام نهى

تضع الاشراك في الف مكان في سبيلي ، وتقول اذا وقعت فيها فاني اهلكك ، لا تخلو ذرة في العالم من سلطانك ، انت تقدر على الحكم ، وانت تنعتني بالعـاصي ؟ وقال :

از آب وكلم سرشتهٔ من جه كنم
وين بشم مرا تورشتهٔ من جه كنم
هرنيك وبـدي كه ازمن آبد بوجود
توبر سر من نوشتهٔ من جه كنم

ماذا افعل يا آلهي وانت الذي جبلني من ماء وطين ؟ وانت الذي غزل صوفي ؟ انت كتبت علي كل ما يصـدر مني من خير وشر في هذا الوجود ، فماذا افعل ؟ وقال :

يزدان جو كل وجود ما مي آراست
دانست زفعل ما جه بر خواهد خواست
بي حكمش نيست هر كناهي كه مراست
بس سوختن قيامت از بهرجه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعال التي ستصدر منا ، فليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه ، اذا فلماذا يصلينا السعير يوم القيامة ؟ وقال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم ازجهان جيزى نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود
زين آمدن ، وماندان ، ورفتن ، مقصود

جاء بى على الرغم مني الى الوجود ، ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة ، ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

وقد عثرت على تصريح لعمر الخيام بالجبر بصورة لا تحتمل الشك ولا التأويل ، فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل كان احداها : ــ أي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق ــ الجبرية القائلون بنفي الاخبار عن الممكن أم القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله ؟

وقد اجاب الخيام بكلام طويل حلل فيه الاسئلة الثلاثة ، تحليلا علميا فلسفيا دقيقا ، وكان جوابه عن الجبر صريحا فقد قال :ولعل الجبري اقرب الى الحق في بادىء النظر وظاهر الحال من غير ان يتلجلج في هذيانه ، ويتغلغل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق .

وتصريحه هذا كاف في الدلالة على انه كان جبريا معتدلا .

التناسخ

. التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود ، وشاع بين عرب الجاهلية ، وظهر في صدر الاسلام ، وكانت عدة من فرق الغلاة تدين به كأصحاب عبدالله ابن سبا الذي قال بالوهية علي — عليه السلام — ومثل هؤلاء اصحاب أبي كامل الذي كان يدعي ان الامامة نور يتناسخ منتقلا من شخص الى شخص . وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص امامة . وربما تناسخت الامامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت .

ومذهبهم هو ان الله قائم بكل لسان . ظاهر بشخص من اشخاص البشر وفي كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافاتهم وترهاتهم

وقد عثر المستشرق الاستاذ « زوكوفسكي » في التاريخ الالفي الذي قدمنا ذكره على رواية استدل بها على رسوخ عقيده التناسخ في نفس عمر الخيام .

وتتلخص الرواية في أنه كانت في نيسابور مدرسة عتيقة مسترمة فشرع في رمها وكان سرب من الحمير يحمل الآجر اليها . وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشي في فناء المدرسة مع جماعة من التلاميذ . شاهد حماراً وقف في باب المدرسة حارناً ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقر في أذنه هذه الرباعية :—

أى رفته وباز آمده بل هم كشته
نامت زميان نامها كم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته
ريش ازبس كون درآمده دم كشته

اي — يا ايها الذي ذهب وعاد مرة اخرى ، وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء وقد اجتمعت اظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك في عجزك ذيلا

وبعد سماع الحمار هذه الرباعية دخل المدرسة فسألوا الحكيم عن السبب في ذلك فقال: ان الروح التي تعلقت بجسم هذا الحمار كانت روح استاذ في هذه المدرسة لهذا لم يشأ الحمار الدخول ولما علم ان الاصدقاء قد عرفوه دخل . انتهى

هذه هي الحكاية التي وردت في التاريخ الالفي وهي ولا شك من الحكايات المختلقة التي لاظل لها من الصحة ابدا فهي مكذوبة من اوجه اولها — لم يذكر لنا احد ان الخيام كان استاذاً في مدرسة نيسابور . وثانيا — ان الخيام انكر الحشر وقال بالعدم . ومن كانت هذه عقيدته لايقول بالتناسخ . وثالثا — انه اذا صحت هذه الحكاية فلا اشك في ان الخيام اراد بذلك المزاح والسخرية والاحماض ومفاكهة تلاميذه . وعلى كل نرى الخيام بريئاً من هذه التهمه . وعقله الراجح ارفع من ان يؤمن بفكرة الاقوام المنحطة .

البعث

لايرتاب ارباب الديانات في البعث بعد الموت ، والقرآن نزل حاملا عقيدة حشر الاجسام ، وقد جاء فيه ذكر يوم القيامة مشفوعا بالوعد والوعيد ، والمسلمون مختلفون في كيفية وقوع الحشر ، ففريق يقول بحشر الاجسام وفريق يقول ببعث الارواح دون الاجسام . اما ارباب المذهب المادي فانهم ينكرونه بتاتاً ، والفلسفة الافلاطونية تنكر حشر الاجسام وبعث الارواح ولكنها تنزع الى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت الى عالم عقلي . والقدماء من المصريين اعتقدوا خلود الروح ورجوعها الى الجسد في الدنيا . ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الاجسام من البلى .

وكان الخيام منكراً للبعث . وقد فهمنا ذلك عند بحثنا عن مصادر فلسفته . اذ برهنا على انه كان متأثراً بالعقائد الباطنية . وقد صرح في كثير من رباعياته

بان فكرة البعث والمعاد وهم وخيال فلا حقيقة لها والذي يخاطب الناس بقوله « أنت لست ذهباً فاذا دفنوك اخرجوك وانت ذهب ايضا » هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد .

الروح

ومن المشكلات العظيمة التي لم يهتـــد الى حلها الناس قديماً وحديثاً مشكلة الروح ، والجدل في الروح قديم جداً وقد كثرت فيها الآراء وذهب كل فريق فيه مذهباً خاصاً وكان قد بحث اولا في ماهيتها أهي متحيزة أم حالة في المتحيز أم موجودة غير متحيزة ولا حالة فيه ؟ وثانياً أقديمة هي ام حادثة وثالثاً أتبقى بعد فناء الاجسام ام تفنى ؟ ورابعاً ماحقيقة سعادة الارواح وشقاوها ؟ فقيل انها جزء لايتجزأ من اجزاء هوائية في القلب وقيل هي الدماغ وهي جزء لايتجزأ من الدماغ وقيل قوة في الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل هي الدم المعتدل فبكثرته تقوى الحياة وبفنائه تنعدم .

والامام الغزالي يقول :ــ الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في إناء ، ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم في العالم بل هو جوهر . لانه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لايتجزا وشيء لاينقسم والشرائع السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة في رباعياته وهو الامر الذي كان يدل على انه كانيعتقد وجود الروح لـكننا لمنعلم اكان معتقدا خلود الروح اعتقاد الافلاطونيين ام لا قال :ــ

دریاب که ازروح جدا خواهي شـــد
دربرده ٔ أسرار فنا خواهي شـــــد
مي نوش نداني زکجا آمـــــده ٔ
خوش باش نداني بکجا خواهي شـــد

أفق فانك ستفارق روحك وستفنى وراء ستار الاسرار ، اشرب الخمر فانك لا تدري من أين اتيت واسعد فانك لا تعلم الى اين تذهب .

ازتن جوبرفت جان باك من وتو
خشتي دونهند برمغاك من وتو
وآنكه زبراي خشت كور دكران
در كالبدي كشند خاك باك من وتو

حين تخرج من جسدي روحي وروحك الطاهرة يضمون لبنتين على لحدي ولحدك ثم لاجل لبنتين لقبر اخر يضعون ترابي وترابك في القالب .

الدنيا

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحن والمصائب وقد اكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام هو الذى زهد في عينه الدنيا وكره اليه الحياة . قال : —

جون مردن تو مردن يكباركي است
يكبار بمير اين جه بيجاركي است
خوني ونجاستي ومشتي رك وبوست
انكار نبود اين جه غمخواركي است

ان كان موتك مرة واحدة فمت مرة واحدة . ما هذه المسكنة ؟ دم ونجاسة وحفنة من عظم وجلد فما هذه المحنة من اجل شيء تافه حقير .

دنيا بمراد رانده كير آخر جه
وين نامهٔ عمر خوانده كير آخر جه
كيرم بكام دل بماندي صد سال
صد سال دكر بمانده كير آخر جه

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد . وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله . فلنحسب انك نلت مرامك مائة عام . وعش بعدها مائة اخرى فما النتيجة .

دنيـا نه مقام تست نه جاي نشست
فرزانه مرا وخراب اولیتر ومست
بر آتش غم زباده آبي مـيزن
زان پيش كه درخاك روى بادبدست

ليست الدنيا بدار قرار ولا دار قامة . افضل للحكيم فيها ان يكون ثملا وفانيا ، اسكب ماء الخمر على نار الغم قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

ولعل من اسباب كراهية الخيام للحياة انه كان يرى ان وضع الخليقة غـير صحيح ولا مستند الى اسس جيدة وان نظام الحياة الحاضر لا يجلب السعادة والسلام . وقد تمنى في احدى رباعياته ان تكون له قدرة كقدرة الله على الفلك ليهدمـه ويبني فلكا جديدا يبلغ فيه الاحرار مرادهم بسهولة . قال :

كر بر فلكم دست بدى چون يزدان
بردا شتمي من اين فلك را زميان
ازنو فلك دكر چنان سا ختمي
كازاده به كام دل رسيدي آسان

لو كنت مهيمنا على هذا الفلك هيمنة خالق لهـدمته وخلقت فلكا غـيره يبلغ الاحرار فيه مرامهم من دون عناء .

تكريم الجسم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخزاف على جبله الطين برهص واعتساف وكم اوصى الكواز بالرفق ، وكم صاح بالناس ان يخففوا في مشيهم على الارض قائلا ان الجسام

الذي تشربون به الخمر والكوز الذي تشربون منه الماء والتراب الذي تطأونه باقدامكم هو من عيني أحور اغن وخد مليحة عذراء ورأس كيخسرو وكف افريدون، وهو في كل ذلك يقدم موعظــة في الحياة مبينا لهم مصيرهم وهو في اثناء ذلك ينعى جسده ويبكي جثمانه بحرقة وألم . قال :

اين كوزه جومن عاشق زاري بودست
دربنــــد سر زلف نكاري بودست
اين دسته كه در كردن او ميبيني
دستيست كه دركردن ياري بودست

كان هذا الكوز مثلي صبا ، قد علق بفرع مليحة هيفاء ، وهذه العروة التي تراها في جيدها كانت يدا تعتنق إحدى الحسان

اين كوزه كران كه دست دركل دارنــد
عقـــل وخرد وهوش بران بكارنـــد
بركل لكد وتبانجـه تاجنـــد زنـــد
خاك بـــدنست تاجـــه ميبنـــدارنـد

هؤلاء الكوازون الذين في الطين ايديهم ومنحصرة عقولهم وافكارهم فيه ، الى متى يركلون الطين ويصفعونه . هذه اجسام حتى م هذه الظنون ؟

هان كوزه كرا بپاي اكر هشياري
تــاجنــد كني بركل آدم خــــواري
انكشت فريــدون وكف كيخسرو
برجرخ نهــــادهٔ جه‌ميبنـــــداري

ايها الكواز ان كنت واعيا فحتى م تهين طينة الانسان . ان الذي وضعته على الدوار هو انملة فريدون وكف كيخسرو فماذا تظن ؟

عقيدته الفلسفية

أما وقد فرغنا من البحث عن موضوع فلسفته فلم يبق شيء سوى ان نقول كلمتنا في مذهبه الفلسفي ، ونعني بذلك نوع عقيدته ووجهة نظره في الحياة ، وهـذا الموضوع يضطرنا الى ان نقف موقف الحكم للبت في عقيدته ، والانصاف يحملنا على التصريح بانه من الصعب جدا ابداء رأي صحيح واصدار حكم عادل فيه ، فليس لدينا من ادلة قوية وقرائن قطعيـة تخولنـا ان نحكم على حكيم مفكر ، سلخ اعواماً طوالا في البحث والتفكير في شؤون الحياة وليس بين يدينا غير صحائف صفر بالية ، تعرضت لشخصه ، ورباعيات هي نفثات جاشت في صدره ، ففاض بها لسانه ، وقـد طواه الردي فهرع الى احضان الابدية قبل اكثر من ثمانية قرون .

قبل نحو من ثمانية قرون ونصف رقد الخيام في لحده في نيسابور ، ولم يترك بعد وفاته غير بضع رسائل، ورباعيات تناولها الباحثون في سيرته وادبه ،واتخذوها حجة عليه ومدارا للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفي .

ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون عن أدب الخيام ، وذهبوا في عقيدته مذاهب شتى وقالوا فيه بمرجمات الظنون ، فمن منكر لشخصه، ومن مدع انه كان مادياً ملحداً شهوانياً مستهترا بالشراب ، ومن زاعم انه كان صوفياً يتغنى بجمال الله ، ثملا بخمرة الحب الالهي المقدس ، ومن قائل انه كان مرتاباً متشائماً ، الى غير ذلك من الاقوال والدعاوى وليس عند هؤلاء الباحثين من سند للحكم عليه غير رباعياته ، كما انه ليس لنا من العلم ما يحقق إن الرباعيات المتداولة الآن بكمالها هي لعمر الخيام ،وانها نتاج قريحته وحدها ، وانها بريئة من شوائب الدس والانتحال .

وقد بينا عند بحثنا عن رباعياته اختلاف العلماء الباحثين في عددها ، وذكرنا اننا عثرنا على « خيام ثان » واسمه علاء الدين علي بن محمد بن خلف ، وهو شاعر له ديوان بالفارسية ، ورب رباعيات لعمر الخيام نسبت للخيام الثاني علي بن محمد ، ورب ابيات ورباعيات لهذا نسبت للحكيم الاول

وقد وجدت في اثناء بحثي الطويل في رباعيات الخيام ان عددا كبيرا منها قد نسب اليه ، وهي ليست له بل لاصحابها من الشعراء كعبد الله الانصاري وابي سعيد والانوري والعسجدي وابن سينا والرازي والطوسي وغيرهم ، وكلها مثبتة في دواوينهم.

لذلك تعترينا الشكوك الكثيرة في هذا الصدد ، فتصدنا عن اصدار الحكم عليه ، وأهمها انه لم يثبت الى الآن بالبرهان القوي ان الرباعيات الموجودة في ايدينا كلها لعمر الخيام ، ثم اننا نجهل الوقت الذي نظمها فيه .

أفنظمها في عنفوان شبابه وللشباب بدوات ونزوات وهواجس وخطرات كثيرة أم في عهد كهولته ، وفي الكهولة نضج العقل وتوازن الفكر واستقامة الرأي ام في شيخوخته وفي الشيخوخة ضعف الاعصاب وارتباك الخواطر أم في اثناء حياته جميعها ؟ كل اولئك نجهله اذ ليس لكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذي نظمت فيه

ولم نعثر حتى الآن على نسخة من رباعيات قد كتبها الخيام بنفسه ، كما فعل ابو العلاء المعري الذي جمع قصائده وشرح شعره وبوب دواوينه وسماها بنفسه .

والواقع هو انني اتهيب ان اسند اليه امرا ، وكل ما لدي من البرهان هو قطع من شعره ـ رباعياته ـ افعل ذلك خشية ان اسيء الى الرجل ، باسناد امر ليس له ضلع فيه .

واذا كان لابد من ابداء الرأي في هذا الصدد فاني احمل نفسي على ابداء رأيي وانا شاك مرتاب كل الارتياب فيما اقوله وازعمه ، واستغفر الخيام في لحده ، استغفر

روحه كل هفوة وكل ما نسبه اليه وهو براء منه

أقول — ان الذي بدا لي من رباعيات الخيام — انه كان جم الشكوك كثير الارتياب عظيم الاضطراب ، ذا روح قلقة تحيط بها الهواجس والخطرات ، ونفس متألمة تكتنفها الوساوس والخيالات ،وقد ظهرت شخصيته في رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق وذلك مما يدفع الباحث الى اعتقاد انه كان لا ادريا ، متشائماً في في عقيدته لا بفعله جبريا واليك تفصيل ذلك :

اللاأدريه

واللا ادريه مذهب فلسفي يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشري عن ادراك المجردات ، وفهم جوهرها وخواصها ، وبعجز العلم اللدني عن الوصول الى فهم هذه المجردات ، وكان الخيام كما ظهر لي من رباعياته لا ادريا ، يدين بهذا المذهب وقداتهم العقل والعلم ، في كثير من رباعياته بعجزهما عن ادراك سر الحياة ومن ذلك قوله :

آنان كه به كار عقل در ميكوشند
هيهات كه جمله كاو نرميد وشند
آن به كه لباس ابلهي در بوشند
كامروز به عقل تره مي نفر وشند

اولئك المعنين همهم الجهد من طريق العقل ، هيهات ان يحلبوا ثوراً فهم خليقون ان يتقمصوا البلاهة اذ لا يشتري اليوم بالعقل باقة من حشيش :

آنانكه محيط فضل وآداب شدند
وازجمع كمال شمع اصحاب شدند
ره زين شب تاريك نبردند برون
كفتند فسانهٔ ودر خواب شدند

اولئك الذين احاطوا بالفضـــل والادب ، بجمع الكمالات اصبحوا شموع المجالس والاصحاب لم يهتدوا الى الطريق في هذا الليل الدامس وانما فاهوا بشيء من الخرافات وناموا .

دل سر حيات اكر كماهي دانست ؟
در مرك هم اسرار آلهي دانست
امروز كه باخودي ندانستي هيچ
فردا كه زخودروي چه خواهي دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هي لعرف ايضا في الموت الاسرار الآلهية ، أنت لاتعلم شيئاً ومعك نفسك فماذا تعلم غداً اذا تجردت منها ؟

قومي متفـــكرند در مذهب ودين
جمعي متحيرند در شـــك ويقين
ناكاه منـــادي در آيد زكمين
كاي بيخبران راه نه آنست ونه اين

قوم يتفكرون في المذهب والدين ، وجماعة حيارى بين الشك واليقين واذا هم بهاتف يهتف بهم من عالم الغيب أيها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك .

ويظهر مما قدمنا أن عمر الخيام كان لا ادريا كما نطقت به رباعياته ، وانه قد اعترف بعجز العقل البشري والعلم اللدني عن ادراك المجردات ، غير أن لا ادريته القت في نفسه اثراً سيئاً بعث فيه روح التشاؤم ، وجعله ينظر الى الحياة نظر قانط . وبغض الى قلبه الدنيا وما فيها فتمنى العدم وآثره على الوجود ، وما تمنى العدم والفناء الا لانه كان يخافهما .

كلنا نشعر شعوراً غريزياً بأننا مفطورون على حب البقاء ، وحب البقـاء يدفعنا الى ان نحب الحياة ، ولما كان الموت آفة الحياة اصبحنا نشعر بأننا نخـاف الموت

ونفر منه واذا فكر احدنا في الموت ارتعدت فرائصه وأصابته هزة عنيفة في شعوره ووجدانه فلا ادرية الخيام وجهله الخليقة والحياة والعدم وخوفه من الموت — الفناء — كل ذلك ولد فيه التشاؤم .

اذاً فالتشاؤم هو وليد حب الحياة والبقاء ولهذا نرى الخيام يتمنى لو أنه يعود مرة اخرى الى الحياة ولو بعد مئات الوف سنين كما يعود العشب .

ايكاش كه جاي آرميدن بودي
يا اين ره دوررا رسيدن بودي
كاش ازپي صدهزار سال ازدل خاك
جون سبزه اميد بردميدن بودي

يا حبذا لو كان للراحة موطن ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ، ويا حبذا لو كان امل في العودة الى الحياة بعد مئات الوف سنين كعودة العشب من قلب التراب .

التشاؤم

والتشاؤم مذهب قديم ظهر في ديانة البوذيين ويقوم على أن العقل يرتأي أن كل شيء في الدنيا سيء ورديء بل اردأ ما يمكن أن يكون وأن مقدار الشرور في الحياة يفوق مقدار الخيرات ، وقد شملت هذه العقيدة الحياة كلها وكان اساس موضوعها صلة الانسان بالخير والشر وعلاقته باللذة والالم على انه يجب التفريق بين المتشائم والمعتقد لفلسفة التشاؤم ، فالخيام لم يكن متشائماً ماقتاً للحياة كأبي العلاء المعرى الذي انزوى في عقر داره وسمى نفسه رهين المحبسين ولا أشك في ان الخيام قد متع نفسه بالملذات ولم يقصر في اقتناص ساعات السرور ولكني اعتقد أنه كان معتقداً لفلسفة التشاؤم والفرق بين المعرى والخيام في هذا المطلب هو أن المعرى كان متشائماً بنفسه

وممتقداً لفلسفة التشاؤم ايضا فتسميته لنفسه « رهين المحبسين » وانزواؤه عن الناس دليل على انه كان ذا روح متألمة متشائمة وقوله بأن الشر طبع وان جذوره متأصلة في قلوب الناس دليل على اعتقاده فلسفة التشاؤم لكن تشاؤم الخيام يختلف عن ذلك لان الخيام اندفع الى التشاؤم بسبب لا ادريته .

ومن الناس من يرى ان التشاؤم والمعتقد لفلسفة التشـــاؤم مريض اصيب بأمراض عصبية روحية عقلية أو لم يكن له نصيب من التهذيب ومن التربية الصحيحة المستقيمة أو انه سليل ابوين احدهما مصاب بمرض وراثي والتشاؤم ينشأ ويتفشى في المناطق الحارة الوبوءة المفعمة بالاساطير والخرافات .

ولعل الفقر والمرض من اهم الاسباب والعوامل في تكوين التشاؤم وفيما يأتي نثبت شيئا من رباعيات الخيام تفصح عن تشاؤمه قال :

مائيم در او فتاده جون مرغ بدام
دلخستهٔ روزكار وآشفته مـــدام
سر كشته درين دائرهٔ بي در وبام
نا آمده برمراد ونارفتـــــه به كام

وقعنا في هذه الحياة وقوع الطاير في الفخ مفؤودين من الدهر طــائشين على الدوام تائهين في هذه الدائرة التي لا سطح لها ولا باب لا جئنا باختيارنا ولا ذهبنـــا بارادتنا . وقال :

جون حاصل آدمي دراين شورستان
جز خوردن غصه نيست يا كندن جان
خرم دل آنكه ازجهان بيرون شد
آسوده كسي كه خود نيامد بجهان .

لم يكن محصول الانسان في هـــذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعـــذاب النفس

فطوبى لمن خرج منها او لم يجيء اليها .

روزي كه دو مهلتست ميخـــورمي ناب
كاين عمر دوروزه بر نكردد درياب
داني كه جهـــان رو بخرابي دارد
تو نـــيز شب وروز همي باش خراب

اشرب الخمرة الصافيه مرتين كل يوم فان هذا العمر الذي هو يومان لا يعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان الكون آيل الى الخراب فكن انت خربا ليلا ونهاراً .

ولما رأى الخيام ان عقله قاصر عن ادراك سر الحياة ، وان عمر الانسان قصير وانه عرضة الآلام والشرور ارتأى ان خير وسيلة تنقذ نفسه من هـذه الهواجس والخطرات الاليمة والشكوك المضنية ان ينتهز الفرص وان يتمتع ما استطـاع بلذات الحياة ، وان لا يحزن لما يلاقيه في غد ، وان لا يتحسر على ما خسره بالامس ، وان يقطع صلته بالماضي والمستقبل ، وان يهتم بالساعة التي هو فيها .

وصفوة القول ان شكوك الخيـــام ويأسه وآلامه دفعته الى الاخذ بالفلسفة السلبية ، وهي اشد خطرا من غيرها على البشرية . قال :

روزى كه كذشته است ازوياد مكن
فردا كه نيامـده است فرياد مكن
برنامـده وكذشته فرياد منـــه
حالي خوش باش وعمر برباد مكن

لا تذكر اليوم الذي مضى ولا تجزع من غد لم يأت بعد ، ولا تفزع ممـا لم يأت ولا مما مضى . طب نفسك ولا تنغص عيشك . وقال :

مي نوش كه عمر جاوداني اين است
خود حاصلت دور جواني اين است

هنكام كل ومل است وياران سرمست
خوش باش دمي كه زندكاني اين است

اشرب الخمر لانها الحياة الدائمة ، فهي وحدها مزية الدنيا . الوقت وقت ورد وطرب ، والاخلاء سكارى ، اسعد لحظة فهذه هي الحياة . وقال :

اين عقل كه در راه سعادت بويد
روزي صد بار خود ترا ميكويد
درياب تو اين يكدمه فرصت كه نه
آن تره كه بدروند وديكر رويد

هذا العقل الذي يطوي طريق السعادة يقول لك في اليوم مائة مرة ، افق انت في هذه النهزة فلست كالنبات الذي كلما حصدوه نبت ،

الجبرية

وقد عثرت على تصريح لعمر الخيام بالجبر بصورة لاتحتمل الشك ولاالتأويل وقد قام تصريحه دليلا على اعتناقه عقيدة الجبر فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل كان احداها : اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق الجبرية القائلون بنفي الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله ؟ فصرح عمر الخيام بما نصه :

واعل الجبري اقرب الى الحق في بادىء الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً .

وقد دلت رباعياته على اعتقاده الجبر قال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جون حيرتم از جهان جيزي نفزود

رفتيم باكراه وندانيم جـــه بود
زين آمدن وماندن ورفـــتن مقصود

جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة . ذهبنا مكرهين ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا . وقال :

بر رهكذرم هزار جا دام نهي
كوئي كه بكيرمت اكر كام نهي
يك ذره زحكم تو جهان خالي نيست
حـــكم تو كني وعاصيم نام نهي

تضع الاشراك يا الهي في الف مكان من سبيلي وتقول انك اذا وطئتهـــا فانا مهلكك . لاتخلو ذرة في العـــالم من حكمك . انت تحكم وتقدر علي وانت تسميني بالعاصي ؟

نظراؤه

ابن الشبلى البغدادى

ظفرت من تأريخ الادب العربي بشخصيتين لامعتين عربيتين ، تضارعان الخيام في وجهة التفكير ، وتشابهانه في الاحساس والشعور ، وتشاركانه في التذمر والتشاؤم ، والوساوس والهواجس . حتى لكأن مادار في خلد هاتين الشخصيتين دار في خلد الخيام ، وكأن الارادة الازلية اوردت هؤلاء الثـــلاثة معينا واحدا ، وسقتهم من كأس واحدة ، لكثرة مابينهم من التقارب والتشابه ، فهم اخوان في الرأي ، انسباء في التفكير والشعور ، برغم اختلافهم في الجنس ، والعربيان هما الشاعران محمد بن الحسين بن عبدالله الشبلي أبو علي الشاعر الحكيم ، واحمد بن الحسين ابو العلاء المعري الشاعر الضرير الفيلسوف . وكان ابن الشبلي معــاصراً لعمر الخيــام معـــاصرة الشيخ للشاب ولد وتعلم ومات في بغداد ، وقد ترجمه غير واحد من المؤرخين وقد وجدت ان اغزر التراجم مادة مادونه القفطى في كتــابه المحمدون من الشعراء(١) قال :

«محمد بن الحسين بن عبدالله بن احمد بن يوسف بن الشبل بن اسامة الشــاعر ابو علي من اهل شارع دار الرقيق ببغداد أحد الشعراء المجودين ، وكان من ظرفاء بغداد ، مدح الناس وكان قيما بصناعته الشعر ، وانتشر ديوانه وشعره في الاقطــار ، وسمع غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام .... وروى عن الامير أبي محمـــد الحسن بن عيسي بن الخليفة المقتدر بالله ، روى لنا عنه .... ذكره ابو الحسن علي بن

(١) الدكتور مصطفى جواد .

الحسن الباخرزي .... » ثم روى عنه حديثا بالاسناد في الصداقة والصديق عن أبي عزة المازني « يستحسن الصبر عن كل احد الا عن الصديق .... »

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام « له ديوان سائر ، وقد سمع غريب الحديث وكان ظريفا نديما مطبوعا رقيق الشعر » .... وقد اجمع المترجمون له على انه توفي سنة ٤٧٤ هـ في بغداد ودفن في مقبرة باب حرب ، غربي مقابر قريش

وقال شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري في نزهة الارواح وروضة الافراح —

« ابن الشبلي البغدادي هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل ، مولده ومنشأه بغداد ، وكان حكيما فيلسوفاً ومتكلما فاضلا وأديباً بارعا وشاعراً مجيدا وكانت وفاته ببغداد سنة اربع وسبعين واربعمائة ، ومما روى له في الحكمة من جيد شعره هذه القصيدة وهي تدل على قوة اطلاعه في العلوم الحكمية والاسرار الالهية ، وبعضهم ينسبها الى ابن سينا وليست له ولا لغيره :—

بربك ايها الفلك المدار اقصد ذا المسير ام اضطرار ؟

ونقل الصفدي في ترجمة ابن ناقيا قال : وكانت بينه وبين ابي الشبل منافرة ومباعدة شائعة ظاهرة قال ابو الحسن علي بن احمد بن الدهان . — انشدته يوما لابن الشبل . —

وما اسجد الله الملائكة كلهم لآدم الا ان في نسله مثلي
ولو ان ابليسا درى خر ساجدا لآدم من قبل الملائكة من اجلي
فيا رب ابراهيم لم أوت فضله ولا فضل موسى والنبي مع الرسل
فلي وحدي الف فرعون في الورى ولي الف نمرود والف ابي جهل

فلم سمعها قال : اشهد بين يدي الله إنه ما اخرج آدم من الجنة الا لكونه كان في ظهره . ثم قال : امض اليه فانشده :

اذا ما افتخرت فلا تجهلن اباك وسلافة (كذا) بالعصا
فأنت قذار نبيذ الذباب اذا انت اوطأتها الخمصا
فكونك في الظهر من آدم بشؤمك اهبطه اذ عصى
ولو كان آدم ذا خبرة بأنك من نسله لاختصى

وقيل لابن ناقيا : ألم تكن قرأت على الشيخ ابن الشبل ؟ قال : بلى والا فمن اين اكتسبت هذه البلاغة التي في ؟.

وفيما يلي ندرج قطعا شعرية لابن الشبلي ، تدل على وجود مقاربة ومشابهة في الشعور والتفكير بين الحكيمين العربي والفارسي ولعل الخيام اطلع على شعر بن الشبل اطلاع الشبان على شعر الشيوخ في زمانهم .

قال : غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحي من بعد ميت بقاء
لا لبيد باربد مات حزنا وسلت عن شقيقها الخنساء
مثل ما في التراب يبلي الفتى فالحزن يبلي من بعده والبكاء
غير ان الاموات مروا وابقوا غصصا لا تسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب من خطوب أسودهن ضراء
نتمنى وفي المنى قصر العمر فنغدو كما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نقتدي نموت ونحيا اقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا نت ولا كان اخذها والعطاء
خلب تحت راعد وسراب كرعت فيه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلما تمر بنا الايام ام ليس تعقل الاشياء ؟
من فساد يكون في عالم الكو ن فما للنفوس منها اتقاء

وقليلا ما يصحب المهجة الجسم ففيم الشقاء وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فإيجادنا علينا بلاء

☆ ☆ ☆

وله: بربك ايها الفلك المدار اقصد ذا المسير ام اضطرار؟
مدارك قل لنا في اى شيء ففي افهامنا منك انبهار
نعاوق في المجرة ام لآل سلاسك ام يد فيها سوار؟
وفيك الشمس رافعة شعاعا بأجنحة قوادمها قصار
ودنيا كلما وضعت جنينا عراه من نوائبها ظؤار
هي العشواء ما خبطت هشيم هي العجماء ما جرحت جبار
فكم من بعده عفر وعقر نسير وما بلا ليل نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ولا عجل أضل ولا خوار
فيالك اكلة ما زال فيها علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ويذبح في حشا الام الحوار
ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب اخرجه الوجار
وكانت انعما لو ان كونا نشاور قلبه او نستشار
ولا ارض عصته ولا سماء ففيم يقول ائتيا انكدار

☆ ☆ ☆

وله: وكأنما الانسان فيه غيرة متلونا والحسن فيه معار
متصرف وله القضاء مصرف ومكلف وكأنه مختار
طورا به تصبو الحظوظ وتارة حظ تحيل دوابه الاقدار

تعمي بصيرتـه وتبصر بعـدما　　لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صـدره　　ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامـة نفسه　　ندما اذا لعبت به الافـكار
لا يعرف التفريط في ايراده　　حتى يبينه له الاصـدار

مقطعات من شعر ابن الشبل البغدادي (١)

قال: يا آلهى افردت مثـلي بالفضـل وفضلي معرض للخطوب ؟
كيف انشأتني وانت حكيم　　مستقيما في عـالم مقلوب ؟

* * *

وقال: تلون هـذه الدنيا علينا　　فما منهـا اللبيب بمستريح
شبيـه بالعقوق البر فيهـا　　وفيها العـدل كالجور الصريح
يحل الداء في عضو سقيم　　فيخرج من دم العضو الصحيح

* * *

وله: وساع سعي يحوي بكأس عقار　　كغرة شمس في ضياء نهـار
كفى شربهـا الساقي النديم بمزجـها فصبت لجينا فوق ارض نضـار
فجاءت كخود ضرج اللحظ خدها　　فأخفت حيـاء وجههـا بخمار
وناولنيهـا والمجرة في الدجى　　كلجة ماء في رياض بهـار
كأن الثريا والهلال يضمهـا　　من الدر كف سورت بسوار

* * *

وله: تسل عن كل شيء بالحياة فقد　　يهون عند بقاء الجوهر العرض
كم اخلف الله مالا انت متلفه　　وما عن النفس ان اتلفتهـا عوض

---

(١) اصول التاريخ والادب للدكتور مصطفى جواد « مخطوط »

وله : يفنى البخيل بجمع المال مدته ... وللحوادث والايام ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

***

وله : أما ترى الليل قد سدت مذاهبه ... مرض الذوائب في عرض وفي طول
كأنه من ملوك الزنج ذو شرف ... قد كللوه بانواع الاكاليل
كأن نرجس شرب في كواكبه ... والبدر اترجة بين التماثيل
والمشتري راهب من حول هيكله ... بيض المصابيح في زرق القناديل
ومن خرائده الجوزاء قد خلعت ... عنها العقود لضم او لتقبيل
كأن جدول روض في مجرته ... او ماء اخضر ذي خدين مصقول

* * *

وله : وما اسجد الله الملائك كلهم ... لآدم الا أن في نسله مثلي
ولو ان ابليساً درى خر ساجدا ... لآدم من قبل الملائك من أجلي
فيا رب ابراهيم لم أوت فضله ... ولا فضل موسى والنبي مع الرسل
فلم لي وحدي الف فرعون في الورى ... ولي الف نمرود والف ابي جهل ؟

* * *

وله : ومبشر باليـاسرية معشرا ... صرعى كؤوس الراح والريحان
قتل النفوس عبوقها فاعادها ... ذكر الصبوح تدب في الابدان
وكأنما أرخى غلائل سندس ... او جر اذيالا على العقيان
متقـلد بعقيقتين موشـح ... بالدرتين مقرط الآذان
صفق الجناح على الجناح مغردا ... قبل الأذان مندداً باذان
وحدا الظلام مع الكواكب سحرة ... بمثال من صوته ومكان
يا غافلين دنا الصبوح فبادروا الـ ... ـلذات قبل عوائق الازمان

تدنو السقاة الى السقاة كأنما يمشون تحت مقابس النيران

* * *

وله: بتنا نديرُ كؤوساً من مدامعنا ونجعل البث للاسرار ريحانا
يضمنا وجدنا والصون يفشرنا لف الشمال على الاغصان اغصانا
ونجعل الكبد الحرى على الكبد الحـــرى ونبـدي من الاشواق الوانا
وللصبا عبث بالثوب تجـــذبه عنـا كموقظة بالرفق وسنـانا

* * *

وله: قرب معـاش المرء من بيته بعـــد تمام الامن والعـافيه
من اكبر النعماء مع زوجـــة يرضى بهـا وهي به راضيــه
فمن يصب ذا فهو في جنة قطوفها من كفه دانيـــه

* * *

وله: خرجنـا من قضاء الله خوفا وكان فرارنا منـه اليـه
وأشقى النـاس ذو حزم توالت مصـائبه عليـه من يديه
تضيق عليه طرق العذر فيهـا ويقســو قلب راحمـه عليـه

* * *

وله: وقالوا مستريح القلب مثر وغرهم السكوت على الشكاية
وأية راحـــة لكريم نفس يكد ولا يعود إلى كفـايه؟

* * *

وله: لاتكشفن لعـــاذر او عاذل حاليك في السراء والضراء
فلرحمـة المـــتوجعين حزازة في القلب مثل شماتة الاعداء

ابو العلاء المعري

كنت في أثناء درسي لرباعيات الخيام أشعر بوجود نسب متين ، وقرابة فكرية بين عمر الخيام وابي العلاء المعرى ، وكنت كلما انعمت النظر في اقوال الخيام ازددت يقيناً بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو أن توأمين نشآ في حضن أب وأم وتعلما في مدرسة واحدة ، وتربيا في بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة في الصغر والكبر ، ما يكونان به شريكين فتماثلت أخلاقهما وطباعهما وتقاربت آراؤهما ونظراتهما في الكون اقلنا ان المعرى والخيام اخوان شقيقان ، وفرعان من غصن واحد ، فكأن المشيئة الالهية قد قدتهما من أديم واحد ، وجبلت طينتهما في اناء واحد في وقت واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين .

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق ، فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزويا عن الناس ، زاهداً فيما بأيديهم ، ماقتاً لهم مستهزئاً بهم ، مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم ، وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأناً واعظم قدراً من حطامها ، وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة ، معني بها ، وكلاهما أبي النفس صادق القول مطلق الرأي جريء على البوح بمذهبه ، إلا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشيه الاذى والضرر ، وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة . وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية ، ففي عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وقبل عصرهما اجتمع اخوان الصفا خفية ، وابرزوا رسائلهم الشهيرة . وأقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . أما تآليفهما فقليلة ايضاً . واما السياسة

في زمانهما فمتشابهة ، فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري . وأما ايران فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام ، فانه نشأ في اكناف الدولة السلجوقية التي قامت مقام الدولة الغزنوية والدولة البويهية معاً ولم تقم الا بالسيف ، وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه ٤٦٥—٤٨٥ﻫ الذي كان يجل عمر الخيام اجلالا عظيما حتى وكل اليه بناء الرصد وترتيب الزيج .

وقد ولد ابو العلاء المعري (احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد التنوخي) الشاعر الحكيم في المعرة سنة ٣٦٣ ﻫ وتوفي سنة ٤٤٩ ﻫ وكان والده من اهل الفضل وتولى جده القضاء فيها ، وكانت امه من اسرة وجيهة عرفت بآل سبيكة ، اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب ، وكانت المعرة تحت حكم الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ سعد الدولة ابو المعالي .

وتنص كتب التراجم على انه اصابه الجدري في الثالثة من عمره ، فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما بياض فكف بصره ، وهو طفل ، وكان يقول « لا اعرف من الالوان الا الاحمر لاني البست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر » وقد تولى والده تدريسه ، فلقنه النحو واللغة في حداثته ، ثم قرأ على جماعة من علماء بلده ، ولما ادرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها ، واكتسبها بالسماع والاجتهاد ، وكان يقيم اناسا يقرأون له الكتب ، وهو قوي الحافظة الى حد المبالغة وقيل انه نظم الشعر قبل ان يتم الحادية عشرة من عمره ، ولم يمنعه العمى من مباراة ارباب القرائح فيما اشتغلوا به حتى في العابهم ، فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما ، وكان لا يرى في العمى نقصا وكان يقول : « احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل منه ثلاثون ديناراً في العام ينفق نصفه على من يخدمه .

ورحل في طلب العلم والادب فسافر الى اللاذقية وطرابلس من بلاد الشام وزار دار علم ابن عمار بها واخذ فلسفة اليونان عن الرهبان ثم رحل الى بغدادسنة ٣٩٨ هـ وقد سبقه صيته وشهرته اليها فاستقبله علماؤها بالحفاوة ، واختلف الى دار العلم السابورية بالجانب الغربي منها وذكرها في شعره ونثره واقتبس منها علما جما . ثم غادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ واتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » بل رهين الحبوس الثلاثة وباشر التأليف والنظم وامتنع عن اكل اللحم واقتصر على النبات رفقا بالحيوان ، وتجافيا عن ايلامه وقد ذهب بذلك مذهب البراهمة حتى انـه استحسن احراق الهنود لاجسادهم ...

قضي ابو العلاء المعرى في عزلته بالمعرة بضعاً واربعين سنة وطعامه العـدس وحلاوته التين ، وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ، ليسمعوا اقواله ويأخذوا من أدبه الى ان توفاه الله سنة ٤٤٩ هـ . وكان قطباً من اقطاب العلم والادب والشعر وقد تميز عن سائر الشعراء بانه الشاعر الذي لم يتكسب من شعره

أما عمر الخيام فاننا لانعرف عن ايام حداثته شيئاً كما لا نعرف عن أبيه وأمـه وعائلته ما عرفنا عن المعري ، وكل ما نعرفه في هذا الصدد انه نشأ في نيسابور وتعلم بها ، وأنه نال من العلوم والآداب والفضائل درجة عالية ، وقد ذاع صيته واشتهر اشتهاراً عظيما حتى لقب بالقاب فخمة ونعت بنعوت ضخمة فلقب (بالفيلسوف والدستور وحجة الحق والامام والحكيم ،) وكانت له منزلة سامية عند ملوك عصره فنال منهم حظوة عظيمة ، وقد قام برحلات في بلاد فارس والعراق والحجاز وسافر الى الري والى بلخ وبخاري وبغداد والحجاز ونجهل ان كان ذلك في طلب العلم او لمقصد آخر

وصفوة القول ان هناك شبها عظيما بين الشيخين الحكيمين في الآراء والوجهة الفلسفية والهواجس

اتهامهما بالزندقة

كان كل واحد من الشيخين موصوما بضعف العقيدة الاسلامية ، متهما بالزندقة وكانت لفظة « الزنديق » في عصرهما يطلقها الجهال على الاحرار المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور ، وقد اودت هذه التهمة قبله بحياة الكثيرين كصالح بن عبد القدوس وبشار بن برد والحسين بن منصور الحلاج وبعده كالسهروردي قتيل حلب وفي ايامه كالطغرائي صاحب لامية العجم

اما ابو العلاء المعري فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب اليه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريم فقرا « ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا » يريد بذلك إهانة الشيخ والتعريض به وقد تألم ابو العلاء من ذلك الاثم فهجاه ببيتين

ودخل عليه الاديب المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرويه عنك الناس ؟ قال :— قد حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا ، قال المنازي :— والآخرة . فقال ابو العلاء « والآخرة ؟ » ثم اطرق ولم يكلمه ، حتى قام عنه المنازي

وقيل : وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له ابو العلاء لم اهج احدا قال صدقت إلا الانبياء . فتغير لونه

وقد شاع له شعر على افواه الناس حمل جماعة من معاصريه ان يتهموه بالمروق من الدين كقوله:

دين وكفر وانباء تقص وفرقان ينص وتوراة وانجيل

في كل عصر اباطيل يدان بها فهل تفرد يوما بالهدى جيل؟

وقوله : افيقوا افيقوا ياغواة فانما دياناتكم مكر من القدماء

أرادوا بها جمع الحطام فادركوا وماتوا ودامت سنة اللؤماء

وقوله : هفت النصارى والحنيفة ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان اهل الارض ذو عقل بـــلا دين وآخر دين لا عقل له
وقوله: إن الديانات القت بيننا احنا وعلمتنا افانين العداوات

* * *

وقوله: عجبت لكسرى وأشياعه وغسل الوجوه ببول البقر
وقوم اتوا من اقاصي البلاد لرمي الحجار ولثم الحجر
فيا عجباً من خرافاتهم العمي عن الحق عين البشر

* * *

وقوله: قلتم لنا صانع قديم قلنا الا هكذا نقول
زعمتموه بلا زمان ولا مكان الا فقولوا :
هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعري فقد قال فيه الشيخ نجم الدين الرازي في كتابه (مرصاد العباد) انه ممن يدين بدين الفلاسفة الدهريين الطبيعيين ، وقد احتج نجم الدين لزندقة الخيام بالرباعيتين الآتيتين : —

در دائره كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهايت پيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست

لا بدأة ولا انتهاء لهذه الدائرة التي جئنا منها لا أحد يستطيع أن يعلم من أين هذا المجيء وإلى اين هذا الذهاب .

دارنده كه تركيب طبائع آراست
باز ازچه سبب فكندش اندركم وكاست

كرز آنكه بدآمد اين صور عيب كراست
ورنيك آمد خرابي از بهرچه خواست

لأي سبب يهدم الله الحياة والانسان بعد ان كان هو الذي ركب الطبائع، فان جاءت رديئة فالعيب يعود عليه وان كانت جيدة فلماذا يخربها ؟

وقد أيد هذه الرواية (القفطي) في كتابه اخبار الحكماء بقوله : (ولما قدح أهل زمانه في دينه، واظهروا ما اسره في مكنونه خشي على دمه، وأمسك قلمه وحج متاقاة لا تقية، وابدى اسرارا من السرار غير نقية ..) وهذا القول يدل على ان الناس كانوا يناوئونه ويتناوشونه بالكلام القارص . وفيما يأتي نثبت رباعيتين له في الرد عليهم قال :

اي مفتي شهر از توبر كار تريم
با اين همه مستي زتو هشيار تريم
ما خون رزان خوريم وتوخون كسان
انصاف بده كدام خونخوار تريم ؟

يامفتي المدينة نحن احسن منك عملا ومع كثرة سكرنا نحن اصحى منك نحن نشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس . فاينا سفاك الدماء ؟

شيخي بزن فاحشه كفتا مستي
هر لحظه بدام ديكري پابستي
كفتا شيخا هر آنچه كوئي هستم
اما تو چنانچه مينمائي هستي ؟

قال شيخ لمومس انت سكرى . وفي كل ساعة متعلقة بخليل . فقالت له : ياشيخ ان الذي قلته في صحيح ولكنك آأنت كما تظهر للناس ؟

اعتقادهما الجبر

كان كلا الحكيمين معتقدا مذهب الجبر دائنا به ، فقد نص ابو العلاء المعرى في مقدمة اللزوميات ، على أنه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفي لايعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر في اللزوميات مرارا كثيرة ، مثبتاً اياه ومناضلا عنه ، فمن قوله فيه :

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلتي　　الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل أنا فيما بين ذلك مجبر　　على عمل أم مستطيع فجاهد

* * *

ما باختياري ميلادي ولا هرمي　　ولا حياتي فهل لي بعد تخيير

***

جئنا على كره ونرحل رغما　　ولعلنا ما بين ذلك نجبر

* * *

ولم نحلل بدنيانا اختيارا　　ولكن جاء ذلك على اضطرار

اما عمر الخيام فكان رأيه صريحا في الجبر ، بصورة لاتحتمل الشك ولا التأويل ، فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازيم التضاد والشر من الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب ؟ (والثانية) اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : — الجبرية القائلون بالجبر وفي الاختيار عن الممكن أم القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله (والثالثة) ان قوما يقولون بان البقاء من صفات المعاني اي انه صفة زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم ؟

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الابحاث تحليلا دقيقاً ، وكان جوابه عن السؤال الثـــــاث صريحاً في الجبر فقد قال : — واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في بادىء الرأي ، وظاهر النظر ، من غير ان يتاجلج في هذيانه ، ويتغلغل في خرافاته ، فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً : —

اما رباعياته فقد دلت على اعتقاده الجبر قال :

آورد باضطرارم اول بوجـــــود
جز حيرتم از جهان جيزي نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي مجبراً الى الوجود ، ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحيـــــاة ، ذهبنا مكرهين ، ولم نعلم المقصود بمجيئنا وبقائنا وذهابنا .

بر رهكذرم هزار جا دام نهي
كوئي كه بكيرمت اكر كام نهي
يك ذره زحكم تو جهـان خالي نيست
حـكم تو كني وعاصيم نام نهي؟

تضع الاشراك يا الهي في الف مكان من سبيلي ، وتقول لي : اذا وطئتها فاني مدركك ومائدك ، لا تخلو ذرة في العالم من حكمك ، انت تحـكم وتقدر علي ، وانت تسميني بالعاصي ؟

البعث بعد الموت

كان قدماء المصريين يعتقدون عودة الروح الى الجسد في الدنيا ، وكان فلاسفة اليونان الآلهيون يعتقدون خلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون ببعث الارواح ، كما نصت عليه الشرائع المنزلة ، وانكروا حشر الاجساد التي لا تلبث ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها . وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتي قدسي عقلي ، وهناك تحيا حيـــاة شقية او سعيدة في مقابل ما اتته في الحياة من آثام او اعمال مبرورة . فاما ارباب الديانات فرأيهم صريح في البعث والمسلمون يعتقدون خلود الارواح وحشر الاجساد ، ومن ينكر البعث بعدالموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالآيات التي يستدل بها المسلمون على البعث والمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة في هذا البحث .

وقد انعمنا النظر في رباعيات عمر الخيـــام فوجدناه منكراً للبعث انكارا صريحا ، مسفها رأي القائلين بحشر الاجساد ، ومستهزئا باقوالهم . قال :

زآن پيش كه غمهات شبيخون آرند
فرماي كه تاباده‌ٔ گلـــگون آرند
تو زر نه‌ٔ اي غافل نادان كه ترا
در خاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل ان تهجم عليك الغموم بيـــاتا مرهم يأتوك بالخمر الوردية ايها الغافل الجاهل لست ذهباً فاذا واروك في التراب اخرجوك مرة اخرى .

ما لعبتـــكانيم وفلك لعبتـــباز
از روي حقيقتي نه از روي مجاز
بازيچه كنان بديم بر نطع وجود
رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن الاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا ، وذلك في الحقيقة لا في المجاز لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ، ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحدا أثر واحد .

فقوله « انت لست ذهباً حتى اذا واروك في التراب اخرجوك مرة اخرى وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحدا بعد واحد » دليل على انه لم يكن معتقدا للحشر كما يعتقده المسلمون .

اما ابو العلاء المعري فقد اضطرب رأيه في البعث اضطرابا عظيما ، فكان تارة مؤمنا به وتارة منكرا له ، فمن قوله الذي اثبت فيه البعث :

واني لارجو منه يوم تجاوز　　فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى
اذا راكب نالت بـه الشأو ناقة　　فما ابتغي الا الطوالع والحسرى
وان اعف بعد الموت مما يريبني　　فما حظي الادنى ولايدي الخسرى

ومن قوله الذي انكر فيه البعث انـكارا صريحا :

زعموا انني سأبعث حيـــا　　بعد طول المقـام في الارماس
واجوز الجنـان ارتع فيهـا　　بين حور وولدة اكيـاس
اي شيء اصاب عقلك يا مسكين حتى رميـت بالوسواس ؟

* * *

وقوله : ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة　　وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنـا الايام حتى كأننا　　زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله : اما الجسوم فللتراب مآلهـا　　وعييت بالارواح انى تسلك

على انني ارتأى انه كان منكر البعث غير معتقد حشر الاجسام وخلود الارواح واما الابيات التي نظمهـا في إثبات البعث فقد نظمها تقية وخوفا من الناس وسخط العلماء عليه .

اخذهما بالتقية

كان ابو العلاء المعري يرى التقية ومداراة الناس ، ويحتاط في اظهار آرائه ، ويعول على المجاز كثيراً ، اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد ، وفي لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمنه قوله :

اصدق الى ان ترى في الصدق مهلكة ۞ وبعد ذلك فاكذب قاعدا وقم
وقوله : فاصمت فان كلام المرء يهلكه ۞ وان نطقت فافصاح وايجاز
وقوله: اهوى الحياة وحسبي من معايبها ۞ اني اعيش بتمويه وتدليس
اكتم حديثك لا يشعر به احد ۞ من رهط جبريل او من رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على ان اباالعلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر منهم ، وقد اتخذ التقية جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعري ، وسلك طريقه في دفع الاذى والضرر عن نفسه ، فقد ذكر القفطي وقد اشرنا اليه غير مرة ما نصه « ولما قدح اهل زمانه في دينه ، واظهروا ما اسره من مكنونه، خشي على دمه وامسك عن عنان لسانه وقلمه ، وحج متاقاة لا تقية وابدى اسرارا من السرار غير تقية » . ومما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في رباعياته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه، وعدم افشاء مايكنه ضميره خوف العدوان من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك رازنتوانم كفت
كوته سخنم دراز نتوانم كفت

حالي دارم كه شرح نتوانم داد
رازي دارم كه باز نتوانم كفت

لا استطيع ان ابوح بسري لكل طيب وخبيث ، انا قاصر الكلام لا استطيع ان اطيله ، لي حال لا استطيع ان اشرحها وسر لا استطيع ان اقوله :

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا ، التي انزلت بزملائهم وانسبائهم في في الرأي من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة . وفطروا على البوح بما تجيش به

صدورهم ، فذاقوا من اجل ذلك عذابا اليما .

والنطع الذي اضجع عليه صالح بن عبدالقدوس ، والسياط التي الهبت جسد الشاعر الشهير بشار بن برد ، والجذع الذي صلب عليـــه الصوفي الشهير ابو منصور الحلاج ، وغيرهم من الاعيـان الافذاذ الى غير ذلك من الفجائع والوقائع الاليمة كانت عبرا ودروسا .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود ، وشاع بين عرب الجاهلية ، فقـد زعموا ان الانسان اذا مات او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته وانتصب هامة ، فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائــــة سنة . وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ، ثم كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الاسلام ، وذلك منذ اواخر القرن الاول وكانت فرق من غلاة الشيعـة تدين به ، كأصحاب عبدالله بن سبا الذي قال لعلي عليه السلام (أنت انت) اي انت الآله ، فنفاه الى المـدائن ، فادعى بتناسخ الجزء الآلهي في الائمـة بعد علي . ومثل هؤلاء اصحاب ابي كامل الذي كان يدعي ان الامامة نور يتناسخ متنقلا من شخص الى شخص : وذلك النور يكون في شخص نبوة ، وفي شخص يكون امامة ، وربما تناسخت الامامـــة فصارت نبوة ، وقال بتناسخ الارواح وقت الموت . والغلاة على اصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل امـة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة . ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر ، وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس في كوة او كاشراقها على البلور ، واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ،

ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ .

وقد اتخذ جماعة من الدعاة هذ المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ، ومن اولئك الشاعر السيد الحميري ، الذي اعماه التعصب فاخرجه عن طريق الصواب ، وليس بين المطلعين على الآداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافاته .

وقد عثر المستشرق زوقوفسكي في التأريخ الالفي على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام ، فقد ذكروا انه كان استاذا في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة مسترمة وشرع في رمها فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة ، وبينا كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حمارا ، وقف عند باب المدرسة حارنا ولم يشأ الدخول اليها فتقرب الخيام من الحمار وقرأ في اذنه هذه الرباعية :

اي رفته وباز آمده بل هم گشته
نامت زميان نامها گم گشته
ناخن همه جمع آمده وسم گشته
ريش ازپس كون درآمده دم گشته

يا ايها الذي ذهب وعاد مرة اخرى وصار كالانعام ، قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت اظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك في عجزك ذيلا

فدخل الحمار المدرسة ، فسأله تلاميذه عن سر ذلك ، فاجابهم : ان الروح التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها ولذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها ، غير انه لما شاهد اصحابه الاقدمين رضي بالدخول

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلا ان يعدها من القصص الملفقة المصطنعة ، وانها من نوع الاحاديث التي يختلقها العوام ، لان الرجل

الذي دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره على رجاحة عقله وسعة علمه ، لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأي المأفون ، هذا من جهة ومن جهة اخرى تكاد رباعياته التي اشتهر بها وأودعها آراءه الفلسفية تسوق الباحث الى عده ملحدا منكرا للبعث والحشر والنشر موقناً بالعدم المحض ولذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة.

وقد كان ابو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزىء به وشنعه في رسالة الغفران ، وفي لزومياته فقال :—

يقولون ان الجسم ينقل روحه ... الى غيره حتى يهذبه النقل

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة ... اذا لم يؤيد ما أتوك بـه العقل

تشاؤمهما

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما في الكون يدلان على انهما كانا « متشائمين » متألمين ، ماقتين الحياة لما فيها من شرور وآثام ، معتقدين ان كل ما فيها محنة وبلاء فالوجود محنة والموت محنة والناس اشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وكل شيء في الكون خبيث رديء وأن جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وأن آلام الحياة وبؤسها وشقاءها أكثر من مسراتها وأفراحها .

والتشاؤم « مرض روحي » ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الامزجة العصبية ، وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين ، وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء ، فكان خاتمة لامهم وبلاء اوجاعهم ، وهذا المرض يتغلغل غالباً في نفس سكان البلاد الحارة الموبوءة ، القاحلة الارزاق الفقيرة التي ما فيها عمل ولا كسب ، وكثيراً ما يحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتي لايلبث أن ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة ، فهو اذا عند عامة الجمهور ضرب

من الشكوى الوقتية المتولدة من « الحاجة » ومتى زالت الحاجة زال التشاؤم سريعاً

اما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم وشأنه كبير ، فانه يتولد في نفوسهم من سلسلة التفكرات العميقة ، والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وأمور مبهمة لم يتوصل العقل البشري الى حل معضلاتها ، كالوجود والواجب الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث او قديم وهل هو محدود أو متناه او غير محدود وغير متناه والازلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الاسرار والالغاز ، التي ما تأملها احد الا رجعت تأملاته على أعقابها وسرى اليه الريب ومال الى الشك قسرا لا اختياراً . والشك الذي هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذي يولد « التشاؤم » ويورث الالم واليأس ، وفي الحقيقة اذا فكر الانسان في علة وجود هذا الكون ، وفي سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه ، يشعر ولا ريب بهزات عنيفة في وجدانه وصدمات قوية في شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مفزعة وأحلام محزنة . والانسان مفطور على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكدر وآفة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث التشاؤم الذي لامندوحة عنه ما دام موقناً بها

وقد اعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً أن له ابتداءاً وانتهاءاً وان خالقاً قديراً اوجده من العدم وسيورده العدم كما اوجده . وأن هنالك حشراً ونشراً وحساباً وعقاباً وان هنالك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين واباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون أعدت للمؤمنين الصالحين وان هنالك ناراً ملتهبة فيها الوان من العذاب اعدت للمجرمين الآثمين ، فهذا الامل العذب يمنح المعتقدين راحة وسلاما واماناً في الحياة

وان ابا العلاء المعري الذي تدل كتاباته واقواله على انه كان متشائماً مجتاً ، مرتاباً

في وجود خالق صانع مدبر ، حائراً في سبب الخليقة والايجاد والفناء ، شاكا في العقائد التي من ضمنها الحشر والمعاد والخلود يجب أن يكون بطبيعة الحال متشائما وهذا هو الواقع ، وانك تجد عند قراءة «لزومياته» «صيحاته الاليمة وصرخاته الحزينة ، وكأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه في شعره من اسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم .

وهذه الآراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التي الت به ، من فقدان بصره وموت ابيه وامه وفقره ووحدته هي التي اشعلت في قلبه جذوة الالم فأخذ يكيل للاديان السب وللانبياء الشتم وللناس القذع ماقتاً الحياة وسكانها مرسلا شواظم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلا عن الناس قابعاً في كسر داره تتقاذفه امواج الشكوك ، حتى دبرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل من برهان اقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره : —

هذا جناه أبي علي وما جنيت على احد

وقوله: اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

وقوله: تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس :—

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب في لؤمه والناس كالنسناس
وتفكرت نفس اللبيب وقد رأت اشخوص جن أم شخوص اناس
عرب وعجم دائلون وكلنا في الظلم أهل تشابه وجناس

وقوله: والشر طبع وقد بثت غريزته مقسومة بين انواع واجناس

* * *

سجايا كلها غدر وخبث توارثها اناس عن اناس

وقد تزاحمت هذه الافكار في رأس عمر الخيام كما تزاحمت في رأس شبيهه المعري وكان التشؤم واليأس ملازمين لروحه ، ومسيطرين على احساسه وشعوره ، حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها أنه تمنى انه لو لم يكن مخلوقا في الدنيا .

كـر آمـدنم بمن بدى نامـدي
ورنيز شـدن بمن بدى كي شد مي
به زآن نبـدي كه اندرين عالم خاك
نه آمدمي نه شـد مي نه بدمي

لو كان مجيئي باختياري ما جئت ولو كانت خلقتي بيدي ما رغبت ان اخلق الافضل انني لم اكن في هذا العالم ولم اجيء ولم ابق فيه

لقد علمنا مما تقدم ذكره ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا في الدواء .

الخمر - المنية

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة وكان المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك فقد وصف الخيام الخمر بما وصف به أبو العلاء الموت وفي طاقتنا ان نقول ان المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد ذهب في المغالاة بمدحها والاسراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها مذهبا جعل فريقا من الباحثين يسيئون به الظنون ويعدون اقواله ضربا من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام في الخمر مذهب أكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون أن فيها راحة النفوس ، وتسكيناً للاوجاع وتخفيفاً للآلام والاكدار ، ومما ينسب الى الحكيم الفارابي في هذا المعنى قوله : —

بزجاجتين قطعت عمري   وعليهما عولت امري

فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر
فبذي ادون حكمتي وبذي ازيل هموم صدري

وتدل رباعياته على أنه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث ، وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه ، وانه كان يرى السلافة الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله :—

مي خوردن من نه از براى طرب است
ني بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه ببيخودي بر آرم نفسي
مي خوردن ومست بودنم زين سبب است

ليس شربي الخمر من اجل الطرب والفساد وترك الدين والادب وانما أريد ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي ، فشربي الخمر وسكري لهذا السبب .

أز آمدن بهار واز رفتن دي
اوراق وجود ما همي كر ددطي
مي خور مخور اندوه كه كفتست حكيم
غمهاي جهان جوز هرو ترياكش مي

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوي أوراق وجودنا . اشرب الخمر ولا تتألم ، فقد قال الحكيم ان آلام الحياة سم ودرياقها الخمر .

وقد ظن جماعة من الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة الحب) أي (خمرة الحقيقة) أو (السكر القدس) وهي الخمرة الخيالية ، التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم ، مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وان هذا الظن في الحقيقة باطل غير صحيح ، فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعشة الحمراء بنت الكروم ، لابادة الالم الرابض في صدره

والرباعيتان اللتان قدمنا ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم .

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة ، تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلا ، فهو في وصفه الرائع أشبه بأبي نواس في وصفه لها ، حتى لقد سن للسكارى سنة في كيفية تعاطيها قال :—

كرباده خوري توبا خرد مندان خور
ياباصنمي لاله رخي خندان خور
بسيار مخور ورد مكن فاش مساز
اندك خور وكه كاه خور وپنهان خور

اذا أردت شرب الخمر فاشربها مع العقلاء أو مع مليح ضحوك ذي محيا منير . ولا تشرب كثيراً ولا تفحش في الكلام ، اشرب قليلاوبين اوان وفي الخفاء .

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى ، واكثر من ذم الخمر وقبحها ونَدد بشاربها ، وزعم انها سالبة العقل ، هاتكة الوقار ، مفرقة الاحباب وقد أجهز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء فهي عدوة   من الصهب مشت في مفاصلك السكرا

* * *

وقوله :

البابلية باب كل بلية	فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره	واذى النديم وفرقة الاحباب
أم الحباب وان اميت لهيبها	بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت	من العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف أنهم	لبسوا على كبر برود شباب

واذا تأملت الحـــوادث الفيت صهب الدنان أعادي الالبـاب

☆ ☆ ☆

وقوله :

دبيب تمال من عقار تخالهـا بجسمك شر من دبيب العقارب

ولو انها كالماء طلق لاوجبت قلاها اصيلات النهى والتجارب

☆ ☆ ☆

تجرع مـوت لا تجرع لذة من الخمر في كاساتهم والاباريق

☆☆☆

قلنا غير مرة ان الخيام والمعرى كانا يريان الحيـاة خطباً وشراً يجب التخلص منه . أما الخيام فقد رأى أن احسن وسيلة تنجيه منهـا هي الخمر وأما المعرى فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافي وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقـد تمناها في كثير من شعره فمن ذلك قوله :

أما حيـاتي فمالى عندها فرج فليت شعري عن موتي اذا قدما

صحبت عيشاً اعانيـه ويغلبني مثل الوليد يقود المصعب السدما

وقـد مللت زماناً شره لهب اذا دنا لخبو عاد فاحتـدما

من باعني بحياتي ميتة سرحا بايعته واهان الله من نـدما

☆☆ ☆

وقوله :

رب متى ارحل عن هـذه الد نيا فاني قـد اطلت المقـام

لم ادر ما نجمي ولكنه في النحس مذ كان جرى واستقام

فلا صـديقي يترجى يـدي ولا عدوي يتخشى انتقـام

والعيش سقم للفـتى منصب والموت يأتي بشفـاء السقـام

والترب مثواي ومثـواهم ... وما رأينا احـداً منه قام

***

وقوله :

مللت عيشي فعوجي يا منية بي ... وذقت فنين من بؤس ومن رغد

غدى سيوجد امسي لا ينازعني ... في ذا الشقاق وامسي لا يصير غدي

مصير الجسم بعد الموت

وقد اختلف الحكيمان أيضا في قضية مصير الجسم بعد موته ، فكان أبو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته ، وتارة لا يرغب في تكريمه ، ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم :

خفف الوطء ما اظن اديم الا ... رض الا من هـذه الاجساد

سر ان استطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالا على رفات العباد

ومن قوله في اهانته :

تكرم اوصال الفتى بعد موته ... وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعري في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود احراق امواتهم :

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم ... وذاك أروح من طول التباريح

ان احرقوه فما يخشون من ضبع ... تسرى اليه ولا خفي وتطريح

والنار اطيب من كافور ميتنا ... غبا واذهب للنكراء والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكان مبالغاً في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين ، قائلا انها اجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى .

اي كوزه كران بكوش اكر هشياري
تاجند كني بركل آدم خـواري
انكشت فريـدون وكف كيخسره
برجرخ نهـادهٔ جـه مي بنـداري؟

ايها الخزافون اسمعوني إن كنتم منتبهين :— حتى م تظلمون طينة ابن آدم؟ انكم قد وضعتم اصبع فريدون وكف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون؟

دي كوزه كرى بديـدم اندر بازار
بربارة كلى لكد همى زد بسيـار
وان كل بزبان حال باوى ميكفت
من همجو تو بـوده ام مرانيكو دار

رأيت أمس خزافاً في السوق وكان يرهص قطعة من الطين ، وكان لسان حالها يقول : لقد كنت يا هذا مثلك نعاملني بالحسنى.

وقد تزوج الخيام وكان له اولاد لم يذكر منهم التاريخ إلا بنتا تزوجها الامام محمد البغدادي الذي نوه به ظهير الدين البيهقي ، أما المعرى فأنه لم يتزوج وعاش عزبا. وكان يكره النسل ويرى الزواج اثما وجرما عظيمين فقال في ذلك :

وارحت اولادي فهم في نعمة الـ   عدم التي فضلت نعيم العـاجل
ولو انهم ظهروا لعـانوا شدة   ترمي بهم في موبقـات الآجل

☆ ☆ ☆

فابث وحيـداً لا وصيـ   فـة في دارك ولا وصيـف

الرباعيات

—١—

یارب خردم در خور اثبات تو نیست
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست
من ذات ترا بواجبی کی دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نیست

* * *

يا الهي : ليس لعقلي من قدرة لاثبـــاتك. وماتفكيري الا منـــاجاتك. كيف اعرف ذاتك كما ينبغي. فلا يعرف ذاتك الا ذاتك .

—٢—

ما لعبتـــكانيم وفلك لعبتبـاز
ازروی حقیقتی نه ازروي مجاز
بازیچه کنان بدیم برنطع وجود
رفتیم بصندوق عدم یك یك باز

* * *

نحن الاعيب اطفـــال واللاعب بنا هو الفلك . وذلك في الحقيقـــة لافي المجاز. لقد لعبنا مدة في رقعة الوجود. ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد .

—٣—

گر آمدنم بمن بدی نامدمی
وزنیز شدن بمن بدی کی شد می
به زآن نبدي که اندراین دیر خراب
نه آمد می ، نه شد می ، نه بد می

☆ ☆ ☆

لو كان المجيء الي ماجئت . ولو كان الي انشائي ما اردته ، ياليتني لم اكن في هذا الدير الخرب ولم آت اليه ، ولم اخلق فيه . ولم ابق فيه .

—٤—

من بندهٔ عاصیم رضای توکجاست
تاریك دلم نور وصفای توکجاست
مارا تو بهشت اگر بطاعت بخشی
آن بیع بود لطف وعطای توکجاست

☆ ☆ ☆

انيّ عبدك العاصي فاين رضاك . وان قلبي مظلم فاين نورك وصفاؤك . ان كنت تعطينا الجنة بالطاعة لك كان ذلك بيعاً فأين لطفك وعطاؤك ؟

— ٥ —

زان بيش كه غمهايت شبيخون آرند
فرماي كه تاباده' كلكون آرند
توزر نه' اي غافل نادان كه ترا
درخاك نهند وباز بيرون آرند

* * *

صاح! قبل ان تهجم عليك الهموم بياتاً . مرهم يأتوك بالخمر الوردية . ايها الجاهل الغر لست ذهبا فاذا واروك في التراب اخرجوك مرة اخرى

— ٦ —

اين قافله' عمر عجب ميكذرد
درياب دمي كه باطرب ميكذرد
ساقي غم فرد اي قيامت جه خوري ؟
بيش آرپياله' كه شب ميكذرد

* * *

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً . فاغتنم وقتاً تطرب فيه . ايها الساقي مالك تهتم لهم يوم القيامة في الغد ؟ هات الزجاجة فان الليل سينقضي .

— ٧ —

كر من زمي مغانه مستم مستم
كر كافر وكبر وبتپرستم هستم
هر طايفهٔ بمن كمانی دارنــد
من زان خودم چنانکه هستم هستم

☆ ☆ ☆

انا ان كنت سكران بخمرة المجوس فانا ذاك . وان كنت كافرا او مجوسياً او وثنياً فانا ذاك . لـكل طائفة ظن في اما انا فمالك نفسي أكون كما اريد .

— ٨ —

در رهگذرم هزار جا دام نهی
كوئي كه بگيرمت اگر گام نهی
يك ذره زحكم توجهان خالي نيست
حكم توكني وعاصيم نام نهی ؟

☆ ☆ ☆

تضع الاشراك يا إلهي في الف مكان من سبيلي وتقول لي ان وطئتها فاني مدريك ، لا تخلو ذرة في العالم من حكمك . انت تحـكم علي وانت تسميني بالعاصي ؟

— ٩ —

يزدان جو كل وجـــود ماي آراست
دانست زفعل ماجه بر خواهــد خواست
بي حكمش نيست هركناهي كه مراست
بس سوختن قيـامت از بهرجه خواست ؟

☆ ☆ ☆

لمــــا كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعال التي ستصدر منا . ليس خارجاً من حكمه كل ذنب نقترفه ، فلماذا يصلينا في السعير يوم القيامة ؟

— ١٠ —

كر بر فلكم دست بـدى چون يزدان
بردا شتمي من اين فلكرا زميان
ازنو فلك دكـر جنـان ساختمي
كازاده بـه كام دل رسيدي آسان

☆ ☆ ☆

لو كنت مهيمناً على الفلك هيمنـــة خالق لنقضته . وخلقت فلكاً غيره يبلغ به الاحرار امانيهم من دون عناء .

— ١١ —

ایکاش که جای آرمیدن بودی
یا این ره دوررا رسیدن بودی
کاش از پی صد هزار سال از دل خاک
چون سبزه امید بردمیدن بودی

☆ ☆ ☆

ليت للراحة محلا. وليتنا بلغنا آخر هذا الطريق الطويل. ويا ليت لنا املا في العودة الى الحياة بعد مئات الوف السنين كما يعود العشب من قلب التراب .

— ١٢ —

آنانکه بکار عقل در میکوشند
هیهات که جمله گاو نر میدوشند
آن به که لباس ابلهی درپوشند
کامروز بعقل تره می نفروشند

☆ ☆ ☆

اولئك الذين يجاهدون بطريق العقل، هيهات فانهم يحلبون ثوراً. هم اجدر بأن يتقمصوا البلاهة اذ لا يشترى اليوم بالعقل باقة من كراث .

— ١٣ —

قومي متفكرند در مذهب ودين
جمعي متحيرند درشك ويقين
نا كاه منادي، در آيد زكمين
كاي بيخبران راه نه آنست ونه اين

☆ ☆ ☆

قوم يتفكرون في المذهب والدين . وآخرون حيارى بين الشك واليقين. واذا هم بهاتف يهتف بهم ايها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك .

— ٦٤ —

اى مفتي شهر از تو پر كار تريم
با اين همه مستى زتو هشيار تريم
ما خون رزان خوريم وتو خون كسان
انصاف بده كدام خو نخوار تريم ؟

☆ ☆ ☆

نحن يا مفتي المدينة اوفر منك عملا . ومع كل هذا السكر اصحى منك . انا نشرب دم العنب وانت تشرب دم الناس فانصف وقل اينا السفاك للدماء ؟

— ١٥ —

شیخی بزن فاحشه گفتــــا مستی
هر لحظــــه بـــدام دیگری پابستی
گفتــا شیخا هر آنچــــه گوئی هستم
اما تو چنـــــا نچــه بــنمائی هســتی ؟

✿ ✿ ✿

قال شيخ لمومس انت سكرى وفي كل لحظة تتعلقين باذيال آخر فقالت ايهــا الشيخ : ان الذي تقله صحيح لكنك ألا انت انت كما تظهر للناس ؟

— ١٦ —

دل سر حيــــات اگر كما هي دانست
در مرگ هم اســـرار آلهي دانســـت
امروز كه باخودي ندانستي هيچ
فردا كه ز خود روی چه خواهی دانست؟

✿ ✿ ✿

لو عرف القلب سر الحياة كما هي لعرف أيضا في الموت الاسرار الآلهية . انت لا تعلم شيئا اليوم وفيك عقلك . فماذا تعرف غداً اذا تجردت منها ؟

— ١٧ —

جون مردن تو مردن يكباركي است
يكبار بمير اين جه بيجاركي است
خوني ونجاستي ومشتي رك وپوست
انكار نبود اين جه غمخواركي است

✿ ✿ ✿

حيث انك تموت مرة واحدة . مت ! فما هذا الذل دم ونجاسة وصم من عظم وجلد .
ليتها لم تكن فما هذه المحنة ؟

— ١٨ —

آورد باضطرارم اول بوجـــود
جز حيرتم از جهان جيزي نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جـــه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

✿ ✿ ✿

جاء بي الى الوجود على الرغم مني . ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة . ذهبنا مكرهين
ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا ؟ .

— ١٩ —

از آب وگلم سرشتهٔ من چه کنم
وین پشم مرا تو رشتهٔ من چه کنم
هر نیك وبدي که از من آید بوجود
تو بر سر من نوشتهٔ من چه کنم

✲ ✲ ✲

ما اصنع يا آلهي وقد جبلتني من ماء وطين وغزلت صوفي ، اذ كتبت علي كل مايصدر مني لمن خير وشر في هذا الوجود ؟ فما حيلتي ؟

— ٢٠ —

عمرت تاکي بخود پرستي گذرد ؟
يا در پي نيستي وهستي گذرد ؟
مي نوش که عمري که اجل در پي اوست
آن به که بخواب يا بمستي گذرد

✲ ✲ ✲

حتى م يمر عمرك في عبادة نفسك ، او التفكير في الوجود والعدم اشرب الخمر فان العمر الذي يعقبه الموت يحسن ان ينقضي في النوم او السكر .

— ٢١ —

تا زهره ومه در آسمان كشت بديد
بهتر زمي ناب كسي هيچ نديد
من در عجبم زمي فروشان كايشان
به ز انجه فروشند جه خواهند خريد

* * *

منذ ظهرت الزهرة والقمر في السماء ما رآى احد احسن من الخمر الصافية ياعجبي من باعة الخمر اي شيء سيشترون احسن مما يبيعون ؟

— ٢٢ —

روزي كه كذشته است ازو يادمكن
فردا كه نيامده است فرياد مكن
برنامده وكذشته فرياد منه
حالي خوش باش وعمر برباد مكن

* * *

لاتذكر اليوم الذي مضى ولا تجزع من غد لم يأت بعد . ولا تفزع مما لم يأت ولا تأسف علي ما مضى . طب نفساً ولاتدع عمرك يمر سدى .

— ٢٣ —

مائیم دراو فتاده جون مرغ بدام
دلخستهٔ روزکار وآشفته مدام
سرکشته درین دائرهٔ بی دروبام
نا آمده برمراد ونارفته به کام

* * *

وقعنا في هذه الحياة وقوع الطير في الشرك . مفترين من الدهر . طائشين على الدوام . تائهين في هذه الدائرة التي لا سطح لها ولا باب . لاجئنا مختارين . ولا ذهبنا مريدين .

—٢٤—

تاهشیارم طرب زمن بنهاست
جون مست شوم درخردم نقصانست
حالیست میان مستي وهشیاري
من شادم از آن که زندکاني آنست

* * *

لا سبيل لي الى الطرب ما دمت صاحيا واذا ما ثملت نقص عقلي ان بين الصحو والسكر حالة هي عندي وحدها صفوة الحياة ...

— ٢٥ —

كويند بمن بهشت باحور خوشست
من ميكويم كه آب انكور خوشست
اين نقد بكير ودست ازآن نسيه بدار
كاوازدهل شنيدن ازدور خوشست

* * *

يقولون لي ان الجنة طيبة بحورها . وانا اقول ان ماء العنب هو الطيب . خذ هذا النقد وذر ذلك النسيء فصوت الطبل من البعيد حسن ..

— ٢٦ —

كرباده بكوه دردهي رقص كند
ناقص بود آنكه بادهرا نقص كند
ازباده مراتوبه چه ميفر مايي ؟
روحيست كه او تربيت شخص كند

* * *

ان سقيت الجبل خمراً رقص الجبل . ناقص من ينتقص قدرها . اتطلب مني ان اتوب من شرب الخمر وهي الروح التي تربي الانسان .

— ٢٧ —

مي نوش كه عمر جاوداني اينست
خود حاصيت دور جهـاني اينست
هنكام كل وملست وياران سرمست
خوش باش دمي كه زندكاني اينست

* * *

اشرب الخمر فانهـا الحياة الدائمة . وهي وحدها مزية الدنيـا . هذا اوان الورد والطرب والاخلاء سكارى فاسعد لحظة هذه هي الحياة

— ٢٨ —

اين چرخ چو طاسيست نكون افتاده
دروى همه زيركان زبون افتاده
بردوستيء شيشه وساغر نكريد
اب برلب ودر ميانه خون افتـاده

* * *

ان هــذه السماء كطاس مقلوب . وفيه الاذكياء جميعهم قانطون . انظروا الى صداقة الابريق والـكأس الشفة فوق الشفة والدم بينهما ...

— ٢٩ —

تاجند اسير رنك وبو خواهي شد
جند ازبي هر زشت ونكو خواهي شد
كر جشمهٔ زمزمي وكر آب حيات
آخر بدل خاك فرو خواهي شد

☆ ☆ ☆

حتى م تبقى اسير اللون والرائحة . وكم تجري وراء كل طيب وخبيث ، ستغور في باطن الارض حتى لو كنت ماء زمزم او ماء الحياة .

— ٣٠ —

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ
بيمانه جو بر شود جه بغداد جه بلخ
مي نوش كه بعد از من وتو ماه بسي
از سلخ بغره آيد از غره بسلخ

☆ ☆ ☆

حيث ان العمر سينقضي سيان عندي حلوه ومره . واذا طفحت الكأس فسواء ان تطفح في بغداد او في بلخ . احس ياصاح كؤوس الحميا ! فان القمر سينتقل من بعدي وبعدك من السلخ الى الغرة ومن الغرة الى السلخ كثيرا ..

-٣١-

دشمن بغلط گفت که من فلسفیم
ایزد داند که آنچه او گفت نیم
لیکن چو درین غم آشیان آمده ام
آخر کم از آنکه من بدانم که کیم ؟

✿ ✿ ✿

غلط العدو بقوله اني فلسفي . والله يعلم اني لست كما قال . ولكنني اذ وجدت نفسي في دار الغم — الدنيا — بلا اقل ان اعرف من انا ؟

-٣٢-

جز راه قلندران میخانه مپوی
جز باده وجز سماع وجز یار مجوی
بر کف قدح باده و بر دوش سبوی
می نوش کن ای انکار و بیهوده مگوی

✿ ✿ ✿

لاتسلك غير سبيل قلندرية الحانة . ولاتطلب غير الخمر والسماع والحبيب . ضع القدح على كفك والدن على منتك . واشرب ايها الجميل ولا تقل لغواً .

—٣٣—

سیم ار چه نه مایهٔ خردمندانست
بی سیمان را باغ جهان زندانست
از دست تهی بنفشه سر بر زانوست
در کیسهٔ زر دهان گل خندانست

✿ ✿ ✿

مع ان الفضة لاتكون ذخيرة العقلاء ، لكن روض الحياة سجن للمفلسين . هاهي البنفسجة نكست رأسها لخلو جوفها وهاهي الوردة باسمة الثغر في كيسها الذهبي .

—٣٤—

در چشم محققان چه زیبا وچه زشت
منزلگه عاشقان چه دوزخ چه بهشت
پوشیدن بیدلان چه اطلس چه پلاس
زیر سر عاشقان چه بالین وچه خشت

✿ ✿ ✿

سواء في نظر المحققين الحسن والقبح . وسواء للعاشقين مثواهم في الجنة ومثواهم في النار . وسواء على البادر الاطلس والبلاس . وسواء عند العاشقين توسد الريش أو الحجـارة .

—٣٥—

دنيـا نه مقـام تست نه جاي نشست
فرزانه در او خراب او ليتر ومست
بر آتش غم زياده آبي ميزن
زآن بيش كه در خاك روي باد بدست

☆ ☆ ☆

ليست الدنيا بدار قرار لك ولا هي دار اقامة . فالاحسن للحكيم ان يكون فيها ثملاً مطولا . اسكب الماء على نار الغم قبل ان يذهب بك الى القبر صفر اليدين .

—٣٦—

دنيا بمراد رانده كير آخر چه ؟
وين نامهٔ عمر خوانده كير آخر چه ؟
كيرم كه بكام دل بماندي صد سال
صد سال دكر بمانده كير آخر چه ؟

☆ ☆ ☆

ما الغاية اذا بلغ المرء من الدنيا المراد ؟ وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله ؟ ولنحسب انك نلت مرامك مائة عام وعشت بعدها مائة عام ؟ فما العاقبة ..؟

—٣٧—

از تن جو برفت جان پاك من وتو
خشتي دو نهند برمغاك من وتو
وآنكه زبراي خشت كور دكران
در كالبدي كشند خاك پاك من وتو

☆ ☆ ☆

حين تخرج من الجسد روحي وروحك الطاهرتان . يضعون لبنتين في لحدي ولحدك ثم لصنع لبنة لقبر آخر يضعون ترابي وترابك الطاهرين في القالب .

—٣٨—

درياب كه از روح جدا خواهي شد
در پردهٔ اسرار فنا خواهي شد
مي نوش نداني زكجا آمدهٔ
خوش باش نداني بكجا خواهي شد

☆ ☆ ☆

انتبه — اعلم — **انك** ستفارق روحك . وستكون وراء ستار **الاسرار** . اشرب الخمر انك لاتدري من **اين** اتيت واسعد انك لاتعلم الى اين تذهب .

—۳۹—

سیر آمدام ای خدای از هستی خویش
از تنك دلي واز تهي دستي خويش
از نيست جو هست ميكني بيرون آر
زين نيستيم بحرمت هستي خويش

☆ ☆ ☆

يا الهي مللت وجودي وضيق صدري وفراغ يدي . يا من يجعل من العدم وجودا اخرجني من عدمي بحرمة وجودك .

—٤٠—

خيام كه خيمه‌هاي حكمت ميدوخت
در كورهٔ غم فتاد وناكاه بسوخت
مقراض اجل طنـــاب عمرش ببريد
دلال امل برايـــكانش بفروخـــت

☆ ☆ ☆

وقع الخيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الغم واحترق فجأة . وقد تقطع مقراض الاجل اطناب عمره وباعه دلال الامل رخيصا .

— ٤١ —

کرباده خوري توبا خرد مندان خور
یا باصنمي لا له رخ وخنـدانـ خور
بسیار مخور فاش مکن ورد مســاز
اندك خور و که کاه خور وبنهان خور

* * *

ان تشرب الخمر فاشربها مع العقلاء او مع باسمة موردة الخدين لا تشرب كثيرا ولا تجاهر بشربها ولا تلهج بها . اشرب قليلا وبين اوان وآخر ـ وفي الخفاء ـ

—٤٢—

کرمي نوشد کدا به میري برسـد
وررو بهکي خورد به شیري برسـد
ور بیر خورد جواني از سر کیرد
ورز آنکه جوان خورد به بیري برسد

* * *

اذا شرب الشحاذ الخمر رأى الامارة في نفسه واذا شربها الثعلب رأى السبعية في نفسه واذا شربها الشيخ جدد لنفسه عهد الشباب واذا شربها الفتى رأى عهد الشيخوخة ـ طال عمره ـ

— ٤٣ —

سر دفتر عالم معاني عشق است
سر بيت قصيدهٔ جواني عشق است
اي آنكه خبر نداري از عالم عشق
اين نكته بدان كه زندگاني عشق است

* * *

العشق عنوان عالم المعاني . ومطلع قصيدة الشباب . فاعلم ايها الغافل عن عالم العشق هذه النكتة ان الحياة هي العشق .

— ٤٤ —

يك نان به دو روز گر شود حاصل مرد
وز كوزهٔ اشكسته دمي آبي سرد
مأمور كس دگر چرا بايد بود ؟
يا خدمت چون خودي چرا بايد كرد ؟

☆ ☆ ☆

ان وجد المرء رغيفاً في يومه او وجد جرعة ماء بارد في كوز مثلوم فلماذا يكون تحت امرة غيره او في خدمة من يضاهيه .

— ٤٥ —

ابريق مي مرا شكستي ربي
برمن در عيش را ببستي ربي
بر خاك فكندي مي كلكون مرا
خاكم بدهن مكر تومستي ربي ؟

✿✿✿

يا الهي حطمت ابريق مدامي. واوصدت باب الانس في وجهي. سكبت على الارض خمرتي الوردية تراب بفمي هل انت سكران يا ربي .

— ٤٦ —

نا كرده كناه در جهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكرد جون زيست بكو
من بد كنم وتو بد مكافات دهي
بس فرق ميان من وتو جيست بكو ؟

✿✿✿

يا الهي من الذي لم يرتكب خطيئته في الدنيا وكيف عاش فيها من لم يخطأ ان قابلتني على سيئتي بسيئة مثلها اذا فما الفرق بيني وبينك ؟

— ٤٧ —

نازم به خرابات كه اهلش اهلست
جون نيك نظر كني بـدش هم سهلست
از مدرسه برنخاست يك اهـل دلي
ويران شود اين خرابه دار الجهلست

✿ ✿ ✿

الزمي بحانات الخمر فان اهلها كفاة، واذا انعمت النظر في طالحهم وجدته رضياً لم تخرج المدرسة احداً من ذوي القلوب النيرة فلتهدم هذه الخرابة فانها دار الجهل.

— ٤٨ —

خيـام تنت بخيمه ماند راست
جان سلطانيكه منزلش دار بقـاست
فراش ازل زبهر ديكر منزل
نه خيمه بيفكند جو سلطان برخاست

✿✿✿

اي خيام ! ان جسدك يماثل الخيمة حقاً، والروح التى منزلها دار البقاء تشبه السلطان، فاذا ارتحل السلطان افلا يقوض الخيمة فراش الازل ..؟

— ٤٩ —

مي خور كه مدام راحت روح تواوست
آسايش جان ودل مجروح تواوست
طوفان غم اردرآيد ازپيش وبست
درباده گريز كشتئ نوح تواوست

✲ ✲ ✲

اشرب الصهباء فانها راحة روحك. وامان لنفسك وقلبك الجريحين. واذا دهمك طوفان الغم من ورائك وامامك فلذ بالخمر فانها سفينة النجاة .

— ٥٠ —

خورشيد كمند صبح بربام افكند
كيخسرو روز باده درجام افكند
مي خور كه منادئ سحر كه خيزان
آوازهٔ (اشربوا) درايام افكند

✲ ✲ ✲

ارسلت الشمس انوارها الى الاعالي وقد صب ملك النهار صهباءه في الجام اشرب المدامة فقد نبذ منادي السحر كلمة « اشربوا » في اجواز الايام .

— ٥١ —

بر مفرش خاك خفتگان مي بينم
در زير زمين نهفتگان مى بينم
چند انكه به صحراى عدم مي نگرم
نا آمدگان ورفتگان مي بينم

☆ ☆ ☆

ارى فوق فراش الارض ناسا غرقى في سباتهم. وارى تحت اطباق الثرى ناسا مختفين. انا كلما نظرت الى بيداء العدم رأيت ناسا يذهبون من غير اياب.

— ٥٢ —

كس خلد وجحيم را نديدست اي دل
گو آن كه از آن جهان رسيدست اي دل؟
اميد وهراس ما بچيزيست كه آن
جز نام ونشاني نه پديدست اي دل

☆ ☆ ☆

ياقلب لم ير احد الخلد والجحيم. يا قلب اين الذي جاء من ذلك العالم؟ ان رجاءنا وخوفنا من شيء لم يظهر اسمه ولا رسمه .

— ٥٣ —

از آمدن ورفتن ما سودي كو ؟
وزتار اميد عمر ما بودي كو ؟
در جنبر چرخ جان چندين پا كان
ميسوزد وخاك ميشود دودي كو ؟

* * *

اي نفع في مجيئنا ونهابنا. لم تجد سدى لحمة الامل من عمرنا ، في دائرة الفلك تشتعل ارواح كثير من الطيبين وتصير رماداً فاين دخانها ؟

— ٥٤ —

كويند بهشت وحور وكوثر باشد
جوي مي وشير وشهد وشكر باشد
پك جام بده بياد آن اي ساقي
نقدي زهزار نسيه بهتر باشد

* * *

يقولون هناك — في الآخرة — جنة وحور وكوثر وفيها خمر ولبن وعسل مصفى ناولني ايها الساقي كأسا على ذكرها فان النقد الواحد افضل من الف نسيئة .

— ٥٥ —

بر كير زخود حساب اكر با خبری
كاول توجه آوردی وآخرجــــه بري
كويي نخورم باده كه ميبــابد مرد
ميبــابد مرد اكر خوري يا نخوري

✿ ✿ ✿

حاسب نفسك ان كنت واعيا لبيبا . ما الذي جئت به وماذا ستـأخذ معك ؟ تقول لا اشرب الخمر لاني سأموت يا هذا سوف تموت شربتها او لم تشربها .

—٥٦—

اين صورت كون جمله نقشست وخيال
عارف نبود هر كه نداند اين حال
بنشـين قدحي باده بنوش وخوش باش
فارغ شو ازين نقش خيــالات محال

✿ ✿ ✿

ان صورة هذا الكون كله نقش وخيال . ليس عارفا من لا يعلم هذا الحال . اجلس واحس قدحا من الخمر واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النقوش والخيالات المستحيله .

- ٥٧ -

ما خرقهٔ زهد بر سر خم كرديم
وز خاك خرابات تيمم كرديم
شـــايد بدر ميكدهها دريابيم
آن عمر كه در مدرسهها كم كرديم

☆ ☆ ☆

نحن خلعنا رداء الزهد على دن الخمر . وتيممنا بتراب الحانات. لعلنا نجد في ابوابها العمر الذي اضعناه في المدارس .

-٥٨-

من بي مي نـــاب زيستن نتوانم
بي باده كشـــيد بارتن نتوانم
من بندهٔ آن دمم كه ساقي كويد
يك جام دكر بكـير ومن نتوانم

☆ ☆ ☆

لا استطيع العيش بلا خمر صافية . ولااقدر ان احمل عبء جسدي بغيرها . انا عبد تلك اللحظة التي يقول فيها الساقي « خذ كاساً اخرى » وانا لااقدر من شدة سكري.

— ٥٩ —

بيري ديـــدم بخانهٔ خمـاري
كفتم نكني زرفتكان اخباري ؟
كفتـا مي خور كه همجو ما بسياري
رفتنـــد وكسي باز نيـامد باري

* * *

رأيت شيخاً في دار خمار فقلت له الا تخبرني عن الذاهبين . قال : اشرب المدامة فان كثيرين من امثالنا ذهبوا وما عاد احد منهم .

— ٦٠ —

بر دار بيـاله وسـبواي دلجو
بر كرد بكرد سبزه زار واب جو
كين جرخ بسي قد بتـان مهرو
صد بار بيـاله كرد وصد بار سبو

* * *

ايها الحبيب خذ كأسا وابريقاً وتنزه حول الروض الاخضر في جانب النهر فان هذا الفلك قد صنع من قدود الفاتنات مائة مرة كؤوساً ومائة مرة اباريق .

—٦١—

از گردش روزگار بهري بر گير
بر تخت طرب نشين بكف ساغر گير
از طاعت ومعصيت خدا مستغنيست
باري تو مراد خود زعالم بر گير

☆ ☆ ☆

خذ نصيبك من تداول الايام واجلس على سرير الطرب وخذ كأساً بيدك . ان الله غني عن الطاعة والمعصية فخذ في الاقل لذتك من الحياة .

—٦٢—

آن قصر كه بر چرخ همي زد پهلو
بر درگه او شهان نهادندي رو
ديديم كه بر كنگره اش فاخته
بنشسته همي گفت كه كو كو كو كو ؟

☆ ☆ ☆

ان القصر الذي كان يسامي الفلك كتفاً الى كتف وكان الملوك يضعون على عتباته الجباه قد رأينا الفاخته على شرفاته تسجع قائلة (كو كو كو كو) اي (اين اين اين اين)

— ٦٣ —

گر از پی شهوت وهوا خواهی رفت
از من خبرت که بی نوا خواهی رفت
بنگر چه کسی واز کجا آمده‌ٔ
میدان که چه میکنی کجا خواهی رفت

✲ ✲ ✲

ان كنت تجري وراء شهواتك وهواك فاني اخبرك انك ستذهب بائسا يائسا انظر من انت ومن اين اتيت ؟ وماذا تعمل والى اين تذهب .

— ٦٤ —

سرمست به میخانه گذر کردم دوش
پیری دیدم مست وسبوئی بر دوش
گفتم ز خدا شرم نداری ای پیر
گفتا کرم از خداست می نوش وخموش

✲ ✲ ✲

مررت البارحة بالحانة ثملا فرأيت شيخا سكران حاملا دن خمر على منكبه قلت له . الا تستحيي من الله ياشيخ فاجابه ان الكريم من الله فاشرب واسكت .

— ٦٥ —

هين صبح دميد ودامن شب شد جاك
برخيز وصبوح كن جرا بي غمناك
مي نوش دلا كه صبح بسيار دمد
او روى بسه ما كرده وما روى بخاك

* * *

سارع فقد طلع الصباح وتمزق جلباب الليل وقم باكر صبوحك . مالك مغموما اشرب الخمر ياحبيبى فان الصبح سيطلع كثيرا علينا مواليا وجهه نحونا ونحن مولون وجوهنا نحو التراب .

—٦٦—

من مي خورم وهر كه جو من اهل بود
مي خوردن او نزد خرد سهل بود
مي خوردن من حق زازل ميدانست
كر مي نخورم علم خدا جهل بود

* * *

انا اشرب الخمر ويشربها كل من هو مثلي اهل لها . فان شربه لها يسير عند العقل ان الله كان يعلم منذ الازل باني سأشربها . فانا ان لم اشربها فعلمه اذا يكون جهلا .

— ٦٧ —

كفتى كه ترا عذاب خواهم فرمود
هر كز من ازين خبر هراسم نفزود
جايي كه توئى عذاب نبود آنجا
وانجا كه تو نيستي كجا خواهد بود؟

☆ ☆ ☆

تفضلت فقلت اني سوف اعذبك وانا لم اخف قط هذا القول . فالمكان الذي انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذي انت لست فيه ؟

— ٦٨ —

جامي ومي وساقي برلب كشت
بهتر ز بهشتي كه خبر بودش رشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از كس
كه رفت بدوزخ وكه آمد زبهشت

☆ ☆ ☆

كأس وخمرة وساق في جنب روضة خير من الجنة التي وعدتها. لا تسمعن من احد حديث الجنة والنار من ذا ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة؟

—٦٩—

يك جام شراب صد دل ودين ارزد
يك جرعهٔ مي مملكت چين ارزد
جز بادهٔ ناب نيست در روي زمين
تلخي كه هزار بار شيرين ارزد

* * *

ان كأسا من الخمر تعدل الف قلب ودين. وان جرعة منها تساوي مملكة الصين. ليس على وجه الارض غير الخمر الصافية وهي المرة التي تفضل الحلو الف مرة

—٧٠—

اي دل تو باسرار معمي نرسي
درنكتهٔ زيركان دانا نرسي
اينجا بمي وجام بهشتي ميساز
كاينجا كه بهشتست رسي يانرسي

* * *

ايها القلب انت لا تصل الى كشف الاسرار المعماة. ولا تفقه نكات الاذكياء. اجعل لنفسك في هذه الدنيا جنة من الخمر والكأس فانك لا تعلم اتنالها في ثلاث ام لا ؟

—٧١—

روزي كه دومهلتست مي خور مي ناب
كاين عمر دوروزه برنگردد دزياب
داني كه جهان رو بخرابي دارد
تونيز شب وروز همي باش خراب

* * *

اشرب الخمر الصافية مرتين كل يوم. واعلم ان هذا العمر القصير لا يعود اليك مرة اخرى انت تدري ان الكون سائر الى الخراب فكن انت ايضاً خراباً ليلا ونهاراً

—٧٢—

اي آنكه نتيجهٔ جهار وهفتي
درهفت وجهار دائم اندر تفتي
من خور كه هزار بار بيشت كفتم
باز آمدنت نيست جورفتي رفتي

* * *

يا من هو نتيجة اربعة عناصر وسبعة سموات . لقد جعلت نفسك في شغل فيها اشرب الخمر فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ما ذهبت فقد ذهبت.

— ٧٣ —

اجرام که ساکنان این ایوانند
اسباب تردد خرد مند انند
هان تاسر رشتهٔ خرد کم نکنی
کانها که مدبرند سر گرد انند

***

ان هذه الاجرام السماوية الماثلة في هذا الايوان قد جعلت العقلاء حيارى مترددين .
فاحذر ان تضيع رشدك فان المدبرين لهذا العالم حيارى مطرقون

—٧٤—

جون حاصل آدمي درين جاي دودر
جز درد دل ودادن جان نيست دكر
خرم دل آنكه يك نفس زنده بود
وآسوده كسيكه خود نزاد ازمادر

* * *

لما لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح
فالمسرور من عاش لحظة والمستريح هو الذي لم تلده امه .

—٧٥—

این کهنه سرا که عالم اورا نامست
وآرامکه ابلق صبح وشام است
بز میست که واماندهٔ صد جمشید است
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است

☆ ☆ ☆

هذا البلاط القديم بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمائه جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام

— ٧٦ —

آن به که زجام باده دل شاد کنی
وزنا مده وکذشته کم یاد کنی
وین عاریتی روان زندانی را
یك لحظه زبند عقل آزاد کنی

☆ ☆ ☆

حسن ان تسر قلبك بكأس المدامة وان لا تذكر كثيراً ما كان وما يكون — الماضي والآتي — وان تطلق ساعة مهجتك المستعارة السجين من قيد العقل .

—٧٧—

تايار شراب جانفزايم ندهـــد
صد بوسه فلك بدست وپايم ندهد
كويند كه توبه كن كه وقتش آمد
چون توبه كنم تا كه خدايم ندهد

✲ ✲ ✲

ان الفلك لا يقبل يدي وقدمي مائة مرة ما لم يسقني الحبيب صهباء مفرحة . يقولون لي تب من شربها فقد حان وقت التوبة وكيف اتوب ولم يشأ الله ان اتوب ؟

— ٧٨ —

تاخاك مرا به قالب آميخته اند
بس فتنه كه زين خاك بر انگيخته اند
من بهتر از اين نمى‌ توانم بودن
كز بوته مرا چنين برون ريخته اند

✲ ✲ ✲

كم من فتنة اثاروا من طينتي لما وضعوها في القالب انا لا استطيع ان اكون خيراً مما انا عليه فانهم هكذا افرغوني من الكور .

— ۷۹ —

در دائرهٔ کامدن ورفــــتن ما است
آنرا نه بدایت نه نهایت پید است
کس می نزند دمی درین عالم راست
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست

✡ ✡ ✡

لا بداية ولا نهاية للدائرة التي جئنا منها وسنذهب اليها . لا يستطيع احد ان يقول من اين هذا المجيء والى اين هذا الذهاب .

— ۸۰ —

تابتوانی رنجــــه مکردان کسرا
برآتش خشم خویش منشان کسرا
کر راحت جاودان طمع میداری
میرنج همیشه ومرنجان کســـــرا

✡ ✡ ✡

لا تؤذ احداً ما استطعت ولا تجلس احداً على نار غضبك واذا كنت تطمع في راحة دائمة فتحمل الاذى ولا تؤذ احداً .

— ٨١ —

نيكي وبدي كه در نهاد بشراست
شادي وغمي كه در قضاء وقدر است
باجرخ مكن حواله كاندر ره عقل
جرخ از تو هزار بار بيجاره تراست

☆☆☆

لا تعزون الى الفلك الخير والشر اللذين هما من غريزة البشر ولا الفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر لان الفلك — بنظر العقل — اعجز منك الف مرة

— ٨٢ —

جون حاصل آدمي در اين شورستان
جز خوردن غصه نيست يا كندن جان
خرم دل آنكه از جهان بيرون شد
آسوده كسيكه خود نيامد بجهان

☆☆☆

اذا لم يكن ما يجتنيه الانسان في هذه الحياة ذات الفتن غير الالم وعذاب النفس فالمسرور القلب من خرج من الحياة والمستريح من لم يرجع اليها

— ٨٣ —

بنگر زصبا دامن گل چاك شـــده
بلبل زجمال گل طربناك شده
در سايهٔ گل نشين كه بسيار اين گل
از خاك بر آمدست ودر خاك شده

٭٭٭

انظر الى الصبا وقد مزقت جلباب الورد ، وقد طرب البلبل بجمال الورد . اجلس في ظل للورد فطالما نبت هذا الورد في التراب وعاد اليه .

— ٨٤ —

امشب مى جام يكمنى خواهم كرد
خودرا به دوجام مى غني خواهم كرد
اول سه طلاق عقل ودين خواهم گفت
بس دختر رزرا به زني خواهم كرد

٭ ٭ ٭

سأشرب هذه الليلة مدامة في جام يستوعب (رطلا) واغني نفسي بجامين من الخمر . وقبل كل شيء اطلق عقلي وديني ثلاثاً ثم اقتض بنت الكرم .

— ٨٥ —

توبه مكن ازمى اكرت مى باشد
صد توبه نادمانه دربى باشد
كل جامه دران وبلبلان نعره زنان
در وقت جنين توبه رواكي باشد ؟

✿ ✿ ✿

اذا كنت تملك خمراً فلا تتب من شربها فان لك سعة لان تتوب مائة مرة توبة الندم . صاح! لقد تفتحت اكمام الورد وغردت البلابل فهل يجوز التوبة في مثل هذا الوقت ؟

— ٨٦ —

اي دل جوزمانه ميكند غمناكت
تاكه برود زتن روان باكت
بر سبزه نشين وخوش بزى روزي جند
زان بيش كه سبزه بردمد از خاكت

✿ ✿ ✿

ايها القلب قد غمك الدهر وسيفارق روحك الطيبة جسدك على غرة فاجلس على العشب الاخضر وعش رغداً بضعة ايام قبل ان ينبت العشب من ترابك .

— ٨٧ —

چون مرده شوم به باده شوييد مرا
تلقين ز شراب وجام گوييد مرا
خواهيد به روز حشر يابيد مرا
از خاك در ميكده جوييد مرا

✡ ✡ ✡

اغسلوني اذا مت بالصهباء ولقنوني بالخمر والجام وان شئتم ان تجدوني يوم الحشر فتحروني في تراب حانة الخمر .

— ٨٨ —

افسوس كه نامهٔ جوانى طى شد
وين تازه بهار شادمانى طى شد
آن مرغ طرب كه نام او بود شباب
فرياد ندانم كه كي آمد كي شد

✡✡✡

يا اسفا ! لقد انطوى سفر الشباب وانطوى الربيع الغض . آه ! لا ادري متى جاء الشباب — وهو ذلك الطائر الطروب — ومتى ذهب ؟؟

— ٨٩ —

ای همدمان مرا به می قوت کنید
وین چهرهٔ کهربا چو یاقوت کنید
چون مرده شوم به می بشوئید مرا
وز چوب رزم تختهٔ تابوت کنید

* * *

يا رفقتي اقيتوني بالخمر واجعلوا وجهي المصفر اصفرار الكهربا احمر كالياقوت . واذا مت فاغسلوني بالمدامة واصنعوا تابوتي من اعواد الكرم :

— ٩٠ —

آنم که پدید گشتم از قدرت تو
پرورده شدم بناز در نعمت تو
صد سال بامتحان گنه خواهم کرد
تاجرم منست بیش یا رحمت تو

* * *

انا ذلك الذي ظهر الى عالم الوجود بقدرتك . وربي بدلال في نعمتك . سوف اكثر من الذنوب مائة عام لاعلم ايما اعظم ذنوبي ام رحمتك ؟

—٩١—

آنها كه زپيش رفته‌اند اي ساقي
در خاك غرور خفته‌اند اي ساقي
روباده خور وحقيقت از من بشنو
باداست هر آنچه كفته اند اي ساقي

* * *

اي ساقي المدام ! اولئك الذين رحلوا قبلنا قد ناموا في تراب الغرور ، اذهب واشرب الخمر واسمع مني الحقيقة فان كل ما قالوه لغو في هواء .

—٩٢—

تاچند كنم عرضهٔ نادانئ خويش
بكرفت دل من از پريشانئ خويش
زنار مغانه برميان خواهم بست
داني زچه ؟ ؟ از ننك مسلماني خويش

* * *

الى متى اعرض جهالة نفسي ضاق قلبي من هذا الشتات اريد ان اشد في وسطي زنار المجوس أتعلم لماذا ! ؟ من خزي اسلامي .

—۹۳—

افسوس که سرمایه ز کف بیرون شد
وز دست اجل بسي جکرها خون شد
کس نامد از آن جهان که برسم ازوي
کاحوال مسافران عالم جون شد

☆ ☆ ☆

يا اسفاه ! فقد ذهب رأس المال من ايدينا وكم من اكباد ادمتها يد المنون ، لم يرجع احد من الآخرة ، لاسأله كيف حال الذين سافروا من الدنيا اليها .

—۹٤—

اي جرخ ز کردش تو خورسند نيم
آزادم کن که لايق بند نيم
کرميل تو بابيخرد ونا اهلست
من نيز جنان اهل وخرد مند نيم

☆ ☆ ☆

ايها الفلك ! انا غير مسرور بدورانك اطلق سراحي فاني غير خليق بان اقيد فان كنت تميل الى الحمقى والذين ليسوا اهلا للفضل فانا ايضاً لست بالعاقل الكافي .

— ٩٥ —

آن قصر که جمشید درا و جام کرفت
آهو بچه کرد وروبه آرام کرفت
بهرام که کور میکرفتي همه عمر
دیدی که جه کونه کور بهرام کرفت؟

☆ ☆ ☆

ان القصر الذي تعاطي فيه جمشيد الاقداح . قد ولدت فيه الغزالة واطمأن فيه الثعاب . و (بهرام) الذي كان يصيد حمار الوحش طول عمره . أرأيت كيف صاد القبر بهرام .

— ٩٦ —

ازحادثهٔ جهان زاينده مترس
وز هرجه رسد جو نيست باينده مترس
اين يكدمه عمررا غنيمت ميدان
ازرفته مينديش وز آينده مترس

☆ ☆ ☆

لا تخش من حادث الدنيا ومن كل ما يصيبك منه لانه لا يدوم . وانتهز هذا العمر القصير . ولا تفكر فيما مضى ولا تخف من الآتي .

— ٩٧ —

هر جند كه رنك وبوى زيبا ستمرا
جون لاله رخ وجو سرو بالاست مرا
معلوم نشد كه در طربخانهٔ خاك
نقاش ازل بهر جه آراست مرا

٭ ٭ ٭

اني وان كان لوني بديعاً . وعرفي ذكياً . ومحياي كالشقيق .وقامتي كالسروة لم يعلم لماذا زانني النقاش الازلي في هذه الارض دار الغرور ؟

— ٩٨ —

كل كفت به ازلقاي من رويى نيست
جند ين ستم كلا بكر بارى جيست
بلبل بزبان حال با او ميكفت
يك روز كه خنديد كه سالي نكريست؟

٭ ٭ ٭

قال الورد لاوجه انضر من وجهي . فيا عجباً لم يجور علي كل هذا الجور عاصر الورد ؟ فأجابه البلبل بلسان الحال قائلا : من ذا الذي ضحك يوما واحداً ولم يبك عاما ؟

— ٩٩ —

رفتیم وزما زمانه آشفته بماند
با آنکه ز صد یکی سفته بماند
افسوس که صد هزار معنیٔ دقیق
از بیخردی خلق نا گفته بماند

☆ ☆ ☆

ذهبنا. وبقي الزمان بعدنا مضطربا ولم يثقب إلا جوهرة واحدة. من مائة وا أسفاه!
فقد بقيت مئات الوف المعاني الدقيقة غير مذكورة حذراً من حمق الناس.

—١٠٠—

مهتاب به نور دامن شب بشکافت
می خور که چنین دمی دگر نتوان یافت
خوش باش و بر اندیش که مهتاب بسی
اندر سر خاك یك بیك خواهد یافت

☆ ☆ ☆

قد فلق القمر بنوره اهداب الليل. فاشرب اذ ليس في الوسع ان تحظى بعدها بمثل
هذه اللحظة، طب نفساً! فان القمر سيسطع كثيراً على حافة قبر كل واحد منا

—١٠١—

باباده نشين كه ملك محمود اينست
وزچنك شنو كه لحن داود اينست
از آمده ورفته دگر ياد مكن
حالى خوش باش زآنكه مقصود اينست

☆ ☆ ☆

اصحب الخمر ، فانها ملك محمود . واستمع الى القيثارة فانها لحن داود . لا تذكر الآتي والماضي وطب نفساً في ساعتك التي انت فيها فذلك هو المقصود .

—١٠٢—

اين جرخ كه با كسى نميكويد راز
كشته بستم هزار محمود واياز
مى خوركه به كس عمر دوباره ندهند
هر كس كه شد از جهان نمي آيد باز

☆ ☆ ☆

ان هذا الفلك الذي لم يطلع احداً على اسراره . قد قتل الف « محمود واياز » عدواناً اشرب الصهباء انك لا تعطى العمر مرتين . والذي يفارق الحياة لا يعود اليها تارة اخرى .

—١٠٣—

کرمي نخوري طعنه مزن مستانرا
کردست‌د هـد توبه کنم یزد انرا
تو فخر بدین کنی که من مي نخورم
صد کار کنی که مي غلامست آنرا

✲ ✲ ✲

ان كنت لا تشرب الخمر فلا تطعن في السكارى. لو كان الي امري لتبت الى الله. انت تفتخر بأنك لا تشرب الحميا وانت تعمل مئات اعمال اشنع منها .

—١٠٤—

در سر مکذار هیچ اندوه ذاي محال
مي خور همه سال ساغر مالا مال
با دختر رز نشین وعیشي میکن
دختر بحرام به زمادر بحلال

✲ ✲ ✲

لا تفكر ابداً في المحال . واشرب الصهباء كل العام باكواب مترعة . عش رغداً مع ابنة العنقود . فأن لقاء البنت بحرام . خير من لقاء الام بحلال .

—١٠٥—

امروز که نوبت جوانیٔ منست
می نوشم از انکه کامرانیٔ منست
عیبش مکنید اگرچه تلخست خوشست
تلخست از انکه زندگانیٔ منست

* * *

في هذا اليوم الذي هو عيد شبابي . اشرب الخمر لان فيها نيل أمنيتي . لا تنتقصوها فهي لذيذة على مرارتها اجل ! هي مرة لانها حياتي.

—١٠٦—

آمد سحري ندا از ميخانهٔ ما
كي رند خراباتئ ديوانهٔ ما
بر خيز كه بر كنيم پيمانه زمي
زان پيش كه بر كنند پيمانهٔ ما

* * *

سمعت نداء في السحر من حانتنا يقول : يا اخا الشرب المستهتر المفتون . قم انملأ الكأس من الخمر قبل ان يملأوا كأسنا — اي — قبل ان تدهمنا المنية.

—١٠٧—

آن جسم پیاله بین بجان آبستن
همچون متمنی بارغوان آبستن
نی نی غلطم که باده از غایت لطف
آبیست باتش روان آبستن

* * *

انظر الى الكأس فانها حبلى بالروح . وانها كياسمين حبل بالارجوان . لا لا ! فقد اخطأت في القول بل هي من شدة لطفها ماء حل في نار ذائبة

—١٠٨—

در میکده جز بمی وضو نتوان کرد
وین نام که زشت شد نکو نتوان کرد
می ده که کزین پردهٔ مستوی ما
بدریده چنان شد که رفو نتوان کرد

* * *

لا يمكن التطهر في الحانة الا بالمدامة وذلك السمعة التي تردت لا يتيسر تحسينها عاطنها فان ستار عفافنا قد تمزق . حتى ليستحيل ترقيعه

—١٠٩—

از آمدنم نبود گردون را سود
وز رفتن من جمال وجاهش نفزود
وز هیچ کسی نیز دو گوشم نشنود
کاین آمدن ورفتنم از بهر چه بود

☆ ☆ ☆

ما كان للسكون نفع من مجيئي . ولم يزدد من ذهابي جماله وجاهه . ولم تسمع اذناي ايضاً من احد ما الغاية من مجيىء وذهابي .

—١١٠—

بر خیز وبیا بتا برای دل ما
حل کن به جمال خویشتن مشکل ما
یك کوزه می بیار تا نوش کنم
ز آن پیش که کوزه‌ها کنند از گل ما

☆ ☆ ☆

قم وتعال ايها الحبيب . رعاية لقلبنا . وحل بجمالك مشكلنا . هات كوزاً من الخمر لنحسوها قبل ان يصنعوا اكوازاً من طينتنا .

—١١١—

بس خون کسان که چرخ بیباك بریخت
بس گل که بر آمد زگل وپاك بریخت
بر حسن وشباب ای جوان غرهٔ مشو
بس غنچهٔ ناشکفته بر خاك بریخت

✿ ✿ ✿

طالما هدر الفلك دماء الناس وطالما نبت الورد وتناثرت اوراقه على الثرى . ايها الفتى لا تغتر بحسنك وشبابك . فقد طالما تساقط الورد على التراب قبل ان تتفتح اكمامه .

—١١٢—

تاباز شناختم من این باي زدست
این چرخ فروما به مرا دست ببست
افسوس که در حساب خواهند نهاد
عمري که مرابی مي ومعشوقه گذشت

✿ ✿ ✿

غل الفلك النذل يدي . منذ صرت افرق بين رجلي ويدي . واغماه !. فسيحسبون من عمري زماناً مر لي بغير مدامة ولا معشوقة .

—١١٣—

ابر آمد وباز برسر سبزه گریست
بی بادهٔ ارغوان نمی‌باید زیست
امروز که این سبزه تماشا که ماست
تاسبزه خاك ما تماشا که کیست

* * *

جاء السحاب وبكى ثانية فوق العشب. فلا يجوز ان نعيش من غير مدامة ارجوانية. ان هذا العشب مسرح لانظارنا اليوم . فلمن يا ترى سيصبح عشب ترابنا مسرحا ؟

—١١٤—

از درس علوم جمله بگریزي بـه
واندر سر زلف يار آويزي بـه
زان پيش کـه روزکار خونت ريزد
توخون صراحي بقدح ريزي به

***

حسن ان تهرب من درس العلوم كلها . وحسن تتعلق بطرة الحبيب ، وقبل ان يسفح الدهر دمك ، فاسفح دم الابريق في القدح

—١١٥—

جون عهده نمي شود کسی فردارا
خوش دار دمی این دل پر سودا را
می نوش به ما هتاب ای ماه که ماه
بسیار بتابد ونیابد ما را

✲ ✲ ✲

لما كان الغد غير مضمون لا حداد خل السرور على قلبك المشغوف واشرب الخمر في ضوء القمر لأن القمر يا ايها القمر سيطلع كثيراً ولا يلقانا.

—١١٦—

پيش از من وتو ليل ونهاري بوداست
گردنده فلك زبهر كاري بوداست
زنهار قدم بخاك آهسته نهی
كآن مردمك چشم نگاري بوداست

✲ ✲ ✲

كان قبلي وقبلك ليل ونهار . وكان الفلك يدور من اجل غاية . ترفق وخفف الوطء على التراب فانه كان حدقة عين لحبيب .

—١١٧—

اي جرخ فلك خرابي از كينهٔ تست
بيداد كري عادت ديرينهٔ تست
اي خاك اكر سينهٔ تو بشكافند
بس كوهر قيمتي كه در سينهٔ تست

* * *

ايها الفلك الدوار . الخراب اثر من آثار حقدك . والظلم عادتك القديمة . ويا ايتها الارض ان فتحوا صدرك وجدوا فيه كثيراً من الجواهر الثمينة .

—١١٨—

من باده خورم وليك مستي نكنم
الا بقـــدح دراز دستي نكنم
داني غرضم زمي برستي جه بود ؟
تاهمجو تو خويشتن برستي نكنم

* * *

انا اشرب المدامة ، ولكني لا اعربد والى غير الكأس لا امد يدي اتعلم ما غرضي من عبادة الخمر ؟ ذلك ان لا اعبد نفسي مثلك .

—١١٩—

حكمي كه ازو محال باشد برهيز
فرموده ازو كناره گير وبگريز
من مانده ميان امر ونهيش عاجز
اين قصد جنان بود كه كج دار ومريز

✡ ✡ ✡

امرني : ان اتجنب وافر من الحكم الذي لا محيص لي فيه وقد بقيت عاجزاً حيران بين امره ونهيه فهو كمن يقول اقلب الكأس ولا تسكب ما فيها .

—١٢٠—

اين كوزه جو من عاشق زاري بوداست
دربند سر زلف نكاري بوداست
اين دسته كه در گردن او ميبيني
دستيست كه در گردن ياري بوداست

✡ ✡ ✡

كان هذا الكوز مثلي صباً كئيباً مفتوناً بفرع مليحة . وهذه العروة التي تراها في جيده كانت يداً على عنق حبيبة .

—١٢١—

بر خیز ونخور غم جهان گذران
خوش باش دمی به شاد مانی گذران
در طبع جهان گر وفایی بودی
نوبت بتو خود نیامدی از دگران

* * *

انهض ولا تحزن على الدنيا الفانية . وطب نفساً واقض وقتك مسروراً لو كان الوفاء من شيمة الدنيا لما انتقلت اليك من الآخرين .

—١٢٢—

دارنده جو ترکیب طبائع آراست
ازبهرجه او فکندش اندرکم وکاست
گرز آنکه بد آمد ، ور عیب کراست
ورنيك آمد خرابى ازبهرجه خواست

* * *

لما ركب الخلاق الطبائع . لماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟ فان جاءت رديئة فالعيب عليه . وان جاءت جيدة فلماذا يخربها ؟

—١٢٣—

آنها كه بفكر در معني سفتند
در ذات خداوند سخنها گفتند
سر رشته اسرار ندانست كسي
اول زنخي زدند وآخر خفتند

* * *

اولئك الذين ثقبوا درر المعاني بافكارهم تكلموا كثيراً في ذات الباري . لم يعرف احد منهم مبدأ الاسرار انما هرفوا اولا وناموا اخيراً .

—١٢٤—

آغاز روان كشتن اين زرين طاس
وانجام خرابي جنين نيك اساس
دانسته نمي شود بمعيار عقول
سنجيده نمي شود بمقياس قياس

* * *

لا يعرف بمعيار العقل ، ولا يقاس بالمقاييس مبدأ دوران هذا الطاس — الفلك — المذهب ومنتهى خراب هذا الاساس الجيد .

—١٢٥—

ما ئيم خريدار مى كهنه ونو
وانكاه فرو شندهٔ جنت بد وجو
كفتي كه بس از مرك كجا خواهم رفت
مى بيش من آر وهر كجا خواهي رو

☆ ☆ ☆

نحن نشتري كلتا المدامتين المعتقة والجديدة . ونحن الذين نبيع الفردوس بشعيرتين
قلت لي : — الى اين اذهب بعد الموت هاتِ لي الصهباء واذهب الى حيث تشاء .

—١٢٦—

اين عقل كه درراه سعادت بويد
روزي صد بار خود ترا ميكويد
درياب تو اين يكدمه فرصت كه نه
ان تره كه بدروند وديكر رويد

☆☆☆

هذا العقل الذي يسير في طريق السعادة يقول لك كل يوم مائة مرة : — انتهز هذه
الفرصة فلست ذلك « الكراث » الذي اذا حصدوه نبت مرة أخرى .

—١٢٧—

ازجرم حضيض خاك تا اوج زحل
كردم همه مشكلات كردون راحل
بيرون جستم زبند هر مكر وحيل
هر بند كشاده شد مكر بند اجل

✲ ✲ ✲

لقد حللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين الارض وزحل . ونجوت من عقدة كل مكر وحيلة . وقد انحلت كل عقدة في الحياة سوى عقدة الاجل .

—١٢٨—

اي كل تو بروي دلربا ميماني
اي مل تو بلعـــل جانفزا ميماني
اي بخت ستيزه كار هردم بامن
بيـــكانه ترى وآشنا ميماني

✲ ✲ ✲

يا ورد انت تحاكي محيا الحسناء . ويا خمر انت كياقوتة تبهج الروح . ويا ايها الحظ العاثر انت في كل وقت خصم لي . وتظهر بمظهر الصديق .

—١٢٩—

بيرانه سرم عشق تو دردام كشيد
ورنه زكجا دست من وجام نبيد
آن توبه كه عقل داد جانان بشكست
وآن جامه كه صبر دوخت ايام دريد

٭٭٭

اوقعني غرامك في شركه ورأسي مشتعل بالشيب والا فما انا وكأس الحميا لقد عبث الحبيب بالتوبة التى وهبها لي العقل ومزقت الايام ذلك القميص الذي خاطه الصبر .

—١٣٠—

صياد ازل كه دانه در دام نهاد
صيدي بكرفت وآدمش نام نهاد
هرنيك وبدي كه ميرود در عالم
او ميكند وبهانه بر عام نهاد

٭ ٭ ٭

وضع صياد الازل حبة في الفخ واصطاد . وسمى صيده آدم . انه هو الذي يفعل كل قبيح وحسن في العالم . ويحمل الناس تبعة ذلك.

—١٣١—

فردا علم نفاق طی خواهم کرد
باموي سفيد قصـد می خواهم کرد
پيمانهء عمر من به هفتاد رسيد
اين دم نکنم نشاط کي خواهم کرد

✲ ✲ ✲

سأطوي غداً راية النفاق . وسأقصد الخمر ورأسي مشتعل بالشيب بلغت من العمر سبعين عاماً فاذا لم انشط الآن للطرب فمتى اعمل ذلك ؟

—١٣٢—

هر ذره که در روی زمینی بودست
خورشيد رخی زهره جبيني بودست
گرد از رخ آستين بآزرم فشان
کان هم رخ وزلف نازنيني بودست

✲✲✲

ان كل ذرة على وجه الثرى هي من وجه حسناء زهراء الجبين . ياهذا انفض الغبار من اردانك برفق وادب فانه كان ايضاً وجه وقذالة حسناء اخرى .

—١٣٣—

برجه برجه زجامه خراب اي ساقي
درده درده شراب ناب اي ساقي
زآن پيش كه ز كاسهٔ سر كوزه كنند
از كوزه به كاسه كن شراب اي ساقي

* * *

يا ايها الساقي قم من فراش النوم وناواني خمراً رائقة وقبل ان يصنعوا من جماجمنا اكوازاً فاسكب الخمر من الكوز في الكأس واسقنا يا ساقي .

—١٣٤—

ناظن نبرى كه از جهان ميترسم
وزمردن وزرفتن جان ميترسم
مردن جو حقيقتيست زان باكم نيست
جون نيك نزيستم از ان ميترسم

* * *

لا تظنن اني أخشى الدنيا او اخاف الموت وفراق الروح . الموت حقيقة فلا اعبأ به . ولكنني اخشى ان لا اكون قد عشت سعيداً .

—١٣٥—

عالم همـــه محنتست وايام غم است
كردون همه آذتست وكيتي ستم است
في الجمـــلة جو دركار جهان مينكرم
آسوده كسي نيست وكرهست كم است

✲ ✲ ✲

العالم كله محنة والايام غم . والفلك كله آفة والدنيا ظلم . اني انظر الى اعمال الحياة . فلا اجد فيها مستريحين سعداء وان وجدوا فهم قليل .

—١٣٦—

خوش باش كه عالم كذران خواهد بود
جان دربي تن نعره زنان خواهد بود
اين كاسهٔ سرها كه تو بيني فردا
زير لكد كوزه كران خواهد بود

✲ ✲ ✲

اسعد فان الدنيا ستنقضي وسوف تنوح الروح بعد الجسد . وهذه الجماجم التي تراها الآن . ستطأها اقدام الكوازين غداً .

—١٣٧—

جندين غم مال وحسرت دنيا جيست
هركز ديدى كسى كه جاويد بزيست
اين يك دو نفس درتن تو عاريتيست
با عاريتى عاريتي بايد زيست

* * *

لم هذا الغم من اجل المال . ولم هذه الحسرات من اجل الدنيا . أرأيت احداً خلدت له الحياة؟ هذه انفاسك في جسمك عارية . فعش مع الحياة العارية كالعارية .

—١٣٨—

ساقي قدحي كه كار عالم نفسيست
كر شادي ازويك نفس آن نيز بسيست
خوش باش بهرجه پيشت آيد كه جهان
هركز نشود جنانكه دلخواه كسيست

* * *

ايها الساقي عاطني كأساً فالعالم « نفس » وحسب الانسان من السرور نفس واحد ايضاً . طب نفساً من كل ما تلاقيه في الحياة لان الحياة لن تكون على وفق رغبة احد .

-١٣٩-

آبادیٔ میخانه ومی خوردن ماست
خون دو هزار توبه در کردن ماست
کرمن نکنم کناه رحمت جه کند
آرایش رحمت ازکنه کردن ماست

✲ ✲ ✲

تعمر الحانة بشربنا الخمر وفي اعناقنا دم الفي توبة . انا ان لم اذنب . فما تصنع الرحمة؟ انما الرحمة تزدان بآثامنا .

-١٤٠-

هر که که طلوع صبح ازرق باشد
باید که بکف جام مروق باشد
کویند بافواه که می تلخ بود
باید به همه حال که می حق باشد

✲ ✲ ✲

كلما انفلق الصباح . وجب ان يكون في الكف كأس خمر مروقة. يقولون ان الخمر مرة في الفم اذا يجب ان تكون الخمرة هي الحق على كل حال .

—١٤١—

آنان که در آمدند ودر جوش شدند
آشفتهٔ ناز وطرب ونوش شدند
خوردند پیالهٔ ومدهوش شدند
در خواب عدم جمله هم آغوش شدند

☆ ☆ ☆

اولئك الذين ظهروا الى الوجود . وجاشوا . قد شغفوا بالشرب والغنج والدلال وقد شربوا كأساً ودهشوا ثم احتضن بعضهم بعضاً في نوم العدم .

—١٤٢—

مي خور که بزیر گل بسي خواهي خفت
بي مونس وبي حريف وبي همدم وجفت
زنهار به کس مگو تواین راز نهفت
هر لاله که بزمرده نخواهد بشکفت

☆ ☆ ☆

اشرب الحميا انك ستترقد طويلا تحت الثرى حيث لا انيس ولا صديق ولا رفيق ولا زوج احذر ان تفشي هذا السر لاحد ــ الزهرة الذابلة لاتتفتح اي ــ لا يعود اليها زهوها ورونقها ــ

—١٤٣—

در دهر هر آنکه نیم نانی دارد
وزبهر نشست آشـــیانی دارد
نه خادم کس بود نه مخدوم کسی
کوشاد بزي که خوش جهاني دارد

☆ ☆ ☆

من يملك من دنياه نصف رغيف وعشاً حقيراً لسكناه لا يكن خادماً ولا مخدوماً فليعش سعيداً فان عيشه رغد .

—١٤٤—

زآن بیش که از زمانه تابي بخوريم
بايكد كر امروز شرابي بخوريم
كاين جرخ فلك به وقت رفتن ما
جندان ندهد امان که آبي بخوريم

☆ ☆ ☆

قبل ان يصيبنا شواظ الزمان تعالوا نشرب الخمر معاً فان هذا الفلك الدوار ساعة ارتحالنا لا يمهلنا ان نشرب جرعة من الماء .

-١٤٥-

ساقي كل وسبزه بس طربناك شدست
درياب كه هفتهٔ دكر خاك شدست
مى نوش وكلي بجين كه تادر نكري
كل خاك شده استوسبزه خاشاكشدست

✡ ✡ ✡

ايها الساقي ان الزهر والعشب في طرب كثير انتبه فسيكونان ترابا بعد اسبوع اشرب الصهباء واقطف الورد ففي طرفة عين يستحيل الورد تراباً والعشب غثاء احوى .

-١٤٦-

جندين غم بيهوده مخور شاد بزي
واندر ره بيداد تو باداد بزي
جون آخر كار اين جهان نيستى است
انكار كه نيستي وآزاد بزي

✡ ✡ ✡

لا تحزن فالحزن عبث وعش فرحاً وفي طريق الظلم سر عادلا لما كانت نهاية الحياة هي العدم . فاحسب انك لم تكن . وعش حراً .

—١٤٧—

این یك دوسه روزه نوبت عمر گذشت
چون آب بجو یبار وچون باد بدشت
هرگز غم دو روزه مرایاد نگشت
روزي كه نیامدست وروزي كه گذشت

* * *

ذهبت ايام العمر القليلة كالماء في الوادي او الريح في البيداء . انا لا اغتم ليومين من الايام اليوم الذي لما يأت واليوم الذي مضى .

—١٤٨—

چون مرده شوم به باده شوييد مرا
تلقين زشراب وجام گوييد مرا
خواهيد به روز حشر جوييد مرا
ازخاك در ميكـــده بوييد مرا

* * *

اذا مت فاغسلوني بالخمر . ولقنوني بالشراب والجـــام . وان اردتم ان تلقوني يوم الحشر ، فشموا تراب الحانة عني .

—١٤٩—

تاجند زمجـــد ونماز وروزه
درميكدهها مست شو ار دريوزه
خيام ! بخور باده كه ابن خاك ترا
كه جام كند، وكه سبو ، كه كوزه.

☆ ☆ ☆

حتىم تشغلُ نفسك في المسجد والصلاة والصوم . اسكر في الحانات ولو بالشحاذة .
يا خيام ! اشرب الخمر فسيجعلون من بدنك هذا مرة جاماً ومرة دناً ومرة كوزاً .

—١٥٠—

من خوردن من نه ازبراي طرب است
ني بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه ببيخودى بر آرم نفسي
مى خوردن ومست بودنم زين سبب است

☆ ☆ ☆

اني لا اشرب الخمر للطرب . ولا للفساد وترك الدين والادب . اني اريد ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسي . فلهذا اشرب الخمر واثمل .

-١٥١-

از آمدن بهار واز رفتن دي
اوراق وجود ماهمی کردد طي
مي خور، مخور اندوه که کفتست حکیم
غمهای جهان جو زهر وتریاقش مي

***

بمجيء الربيع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا طياً . اشرب الخمر ولا تبتئس فقد قال الحكيم غموم الدنيا سموم ودرياقها الخمر .

-١٥٢-

دي کوزه کري بديدم اندر بازار
بر باره کلي لکد همي زد بسيار
وآن کل بزبان حال باوي ميکفت
من همجو تو بوده ام مرا نيکو دار

* * *

رأيت امس خزافا في السوق يركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت يا هذا مثلك فعاملني بالحسنى .

—١٥٣—

مى خوردن وشاد بودن آيين منست
فارغ بودن ز كفر ودين دين منست
كفتم بعروس دهر كابين تو چيست
كفتا دل خرم تو كابين منست

☆ ☆ ☆

عادتي ان اشرب الحميا واسر بها . وديني ان اهجر الكفر والدين . قلت لعروس الدهر ما صداقك ؟ قالت قلبك الجذلان صداقي .

—١٥٤—

خيام زبهر كنه اين ماتم چيست
واز خوردن غم فائده بيش وكم چيست
آنرا نكه كنه نكرد غفران نبود
غفران زبراي كنه آمد غم چيست

☆ ☆ ☆

يا خيام ! ما هذا المأتم من أجل الخطيئة . وما الجدوى من الغم قليلا كان او كثيراً . ليس الغفران لاولئك الذين لم يرتكبوا خطيئة . انمــــا الغفران وجد للخطيئة ، فمـــا هذا الغم ؟

﴿ انتهى ﴾

ثلاث رسائل للحكيم عمر الخيام

كنا قد المعنا في بحثنا الى مصادر فلسفة الخيام وقررنا ان من جملة مصادر فلسفته رسائل اخوان الصفا واشرنا الى ان تقريره العلمي يكاد يشبه تقرير رسائل اخوان الصفا وقد جزمنا بان الخيام قد تأثر اسلوبه الفلسفي وتفكيره المنطقي باسلوب الرسائل المار ذكرها لذلك احببنا نشر رسائله الجمة ليتمكن المطالع من الموازنة بين التقريرين والاسلوبيين وبذلك نرجو ان تتم الفائدة .

— ١ —

رسالة الكون والتكليف

كتب أبو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوي وهو الامام القاضي بنواحي فارس سنة ثلاث وسبعين واربعمائة الى السيد الاجل حجة الحق فيلسوف العالم نصرة الدين سيد حكماء المشرق والمغرب أبي الفتح عمر بن ابراهيم الخيامي قدس الله نفسه رسالة منطوية على المباحثة عن حكمة الله تبارك وتعـــالى في خلق العالم وخصوصاً الانسان وتكليف الناس بالعبادات وضمنها أبياتاً كثيرة لم يحفظ منها إلا هذه الابيات :

ان كنت ترعين يا ريح الصبا ذممي ... فاقري السلام على العلامة الخيمي
بوسي لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدي جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذي تسقي سحائبه ... ماء الحيــــاة رفات الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بما ... تغني براهينه عن أن يقـــــال لم

فاجابه الحكيم عمر الخيام بهذه الرسالة قال : — ان علمت ايها الاخ الرئيس الفاضل الاوحد الكامل أطال الله بقاك ، وأدام عمرك وعلاك ، وحرس عن المكاره

والغير فنائك أوفر من علوم أقراني وفضائك أغزر من فضلهم ونفسك أزكى من نفوسهم فأنت اذاً أعرف منهم بأن مسألتي الكون والتكليف من المسائل المعتاصة المتعذر حلها على أكثر الناظرين فيها والباحثين عنها وان كل واحدة منها منقسمة الى عدة اقسام كل قسم منها مفتقر الى عدة ضروب من المقاييس الوعرة المبنية على اصناف من القضايا المختلف فيها بين أهل النظر وان هاتين المسألتين من أواخر العلم الاعلى والحكمة الاولى وان آراء المتكلمين فيهما متباينة جداً واذا كان الامر كذلك فبالحرى ان يكون الكلام فيهما صعباً جداً إلا انك شرفتني بالمباحثة عنهما والمحاورة فيهما لذا لم أجد بدأ من ان أسلك في تحديد أقسامهما واستيفاء أصنافهما وتبيين جمل براهينهما بحسب ما انتهى اليه بحثي وبحث من تقدمني من معلمي على سبيل الايجاز والاختصار لضيق الوقت وعدم استعمال البسط والتطويل والاطناب والتفصيل ولمعرفتي بأن ذكائك وحدسك حرس الله مجدك يكتفيان من الكثير بالقليل وبالاشارة عن العبارة ويكون كلامي فيهما كلام المستفيد لا المفيد والمتعلم لا المعلم استرواحاً الى ما يصدر عن جنابك الشريف واغترافاً من بحرك الزاخر أدام الله فضلك ولا أعدمنا ظلك واعتصم بفضل التوفيق من الله تعالى انه ولى كل خير ومفيض كل عدل .

﴿المطالب الحقيقية الذاتية المستعملة في صناعة الحكمة ثلاثة وهي امهات المطالب الاخر﴾

(أحدها) مطلب هل هو وهو السؤال عن انية الشيء وثبوته كقولنا هل العقل موجود أم لا فيكون الجواب بنعم أولا (والثاني) مطلب ما هو وهو السؤال عن حقيقة الشيء وماهيته كقولنا ما حقيقة العقل فيكون الجواب عنه اما تحديداً أو ترسيماً واما شرحاً وتبيينا للاسم ولا يكون هذا المطلب حاصراً الجواب المجيب بين طرفي النفي والاثبات بل يكون الجواب الى المجيب يأتي بما يشاء مما يراه حداً لذلك الشيء أو معرفاً له (والثالث) مطلب لم وهو السؤال عن السبب الذي لاجله وجد الشيء ولولاه لما وجد ذلك الشيء كقولنا لم العقل موجود وهذا المطلب أيضاً لا يكون

حاصراً الجواب المجيب بين طرفي النقيض بل يفوض اليه الجواب من غير أن يتعرض لشيء من اجزاء جوابه المسؤول عن لميته اللهم الا في السؤال الثاني وبين مطاب ما ومطالب لم مناسبات قد استوفي الكلام عليها في كتاب البرهان من كتب المنطق وكل واحد من هذه المطالب منقسم الى أقسام شتى لا حاجة بنا الى ذكرها في مطلوبنا هـــذا الا ان مطلب ما ينقسم بحسب القسمة الاولى الى قسمين لا بد من ذكرهما لاختلاف وقع لاصحاب الصناعة فيه (في هذا المطلب) (أحدهما) مطلب ما الحقيقي وهو الباحث عن حقيقة الشيء وهـــذا متأخر عن مطلب هل في الترتيب لانا ما لم نعرف ان الشيء موجود ثابت لم يمكننا أن نتحقق ذاته اذ لا يكون المعدوم ذات حقيقي (والثاني) مطلب ما الرسمي وهو الباحث عن شرح الاسم المطلق على الشيء وهذا متقدم على مطلب هل في الترتيب لانا ما لم نعرف شرح قول القائل هل عنقاء مغرب موجود أم لا لم يمكننا أن نحكم عليه بنفي ولا اثبات فيجب أن يكون هـــذا الجواب الشارح الاسم قبل مطلب هل . ولما لم يتفطن جماعة من المنطقيين لقسمي ما تبلبلوا وتحيروا فذهب بعضهم الى ان مطلب ما متأخر عن مطلب هل وأراد به القسم الحقيقي . وذهب بعضهم الى أنه متقدم وأراد به القسم الشارح . وأما مطلب لم فهو متأخر عن المطلبين الآخرين لانا مالم نعرف حقيقة الشيء وإنيته لم يمكننا أن نعرف السبب الذي لاجله وجد ذلك الشيء . وها هنا مطالب اخرى مثل أي وكيف وكم ومتى وأين وهي عرضية باحثة عن حقيقة الاعراض الطارئة على الشيء واثباتها له فهي اذن بالحقيقة عند التحقيق الشافي داخلة تحت المطالب الذاتية الحقيقية ولا حاجة بنا الى ذكرها وليس يخلو موجود عن هليه ما أي انية وثبوت فان الخالي عن الانية والثبوت يكون معدوماً وقد فرضناه موجوداً وهذا محال ــ وكذلك ليس يخلو عن حقيقة وماهية بها تعين وتميز عن غيره اذ الخالي عن التعين والتميز عن غيره يكون معدوماً وقد فرضناه موجوداً هذا محال وقد يكون من الوجودات ما هو خال عن

اللمية وهو الاشياء الواجبة التي لا يمكن أن لا تكون موجودة وان فرضت غير موجودة لزم منه محال والشيء الذي يكون بالحقيقة على هذه الصفة لا يكون له سبب ولمية فيكون اذن واجب الوجود بذاته وهو الواحد الحي القيوم الذي عنه الوجود لكل موجود وبجوده وحكمته فاض كل خير وعدل جل جلاله وتقدست اسماؤه وهـــذه مسئلة مفروغ عنها في مطلوبنا هذا وانت اذا أمعنت النظر في جميع الموجودات ولمياتها أداك النظر الى أن تتحقق أن لميات جميع الاشياء منتهية الى لميات وعلل واسباب لا لمية لهـا ولا علل ولا أسباب . برهان ذلك اذا قيل لم (أب) قلنا لانه (ج) واذا قيل لم (اج) قلنا لانه (د) واذا قيل لم (ا د) قلنا لانه (ه) وهكذا فلا بد من ان ينتهي بنا البحث عن العلل الى علة لا علة لها والا فيلزم فيها التسلسل او الدور وهما محالان فقد صح ان جميع علل الموجودات تنتهي الى سبب لا سبب له وقد تبين في العلم الالهي ان السبب الذي لا سبب له هو واجب الوجود بذاته وواحد من جميع جهاته وبريء من جميع انحاء النقص واليه تنتهي جميع الاشياء وعنه توجد فتبين ان سؤال اللم لا يعترض على كل موجود بل على موجودات اذا فرضت غير موجودة لم يلزم منه محال واما على الوجود الواجب الواحد فـــلا . واذ قدمنا وتكلمنا فيها على سبيل الاختصار فلنرجع الى الغرض المقصود نحوه وهو الـكلام في الكون والتكليف . فنقول ان لفظة الكون تقع على عدة معان باشتراك الاسم فلنلغ الخارج عن الغرض ونقول ان الكون المقول في هـذا الوضع هو وجود الاشياء الممكنة الوجود التي ان فرضت غير موجودة لم يلزم منه محال . واما مطلب هل فيه مثل قول القائل الموجودات التي هي على الصفة المذكورة حاصلة ام لا فيكون الجواب عنه بنعم فان طالبنا بالبرهان على حصول هذه الموجودات فان ذلك ظاهر جـــدا يغنينا الحس والمشاهدات الضرورية والقضايا العقلية عن الاستدلال عليه بشيء آخر غيرها اذ جميع الموجودات والصفات التي قبلنا هي من هذا القبيل لان ابداننا واحوالنا مسبوقة

بالعدم . واما لميـــة الكون المطلق وهو فيضان هذه الوجودات منتظمة في ترتيب السلسلة النازلة من عند المبدأ الاول الحق عز وجل طولا وعرضاً فهي جوده الحق المحض التام الدي يفيض عنه كل ممكن فجود الباري تعالى سبب هذه الموجودات فان طولبنا بالجواب عن لمية جوده قلنا لا لميـــة له لانه واجب وكما ان ذات واجب الوجود لا لمية له فكذلك جوده وجميع اوصافه لا لمية لها وقد تشعب من هذا القبيل مسألة هي أعظم المسائل واصعبها في هذا الباب وهي في تفاوت هذه الموجودات في الشرف . فاعلم أن هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس حتى لا يكاد يوجد عاقل الا ويعتريه في هذا الباب تحير ولعلي ومعلمي أفضل المتأخرين الشيخ الرئيس أبا الحسين بن عبدالله بن سينا البخاري اعلى الله درجته قد امعنا النظر فيها واداني بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا اما لضعف نفوسنا القانعة بالشيء التركيب الباطل المزخرف الظاهر واما لقوة الكلام في نفسه وكونه بحيث يجب ان يقنع به وسنأتي بطرف من ذلك على سبيل الرمز . فنقول ان البرهان الحقيقي اليقيني قائم على ان هذه الموجودات لم يبدعها الله تعالى معاً بل ابدعها نازلة من عنده في سلسلة الترتيب فالمبدع الاول هو العقل المحض وهو اشرف الموجودات لقربه من المبدأ الاول الحق . ثم هكذا أبدع الاشرف فالاشرف نازلا الى الاخس فالاخس حتى بلغ في الابداع الى أخس الموجودات وهو طينة الكائنات الفاسدات . ثم ابتدأ الايجاد صاعداً منها الى الاشرف فالاشرف حتى انتهى الى الانسان الذي هو اشرف الموجودات المركبة وآخر الموجودات في عالم الكون والفساد فالاقرب منه في المبدعات اشرفها والابعد من الطينة في المركبات اشرفها وقد قدر تعالى بعده تكون هذه المركبات في زمان ما لضرورة عدم اجتماع المتضادات بل المتقابلات في شيء واحد في زمان واحد من جهة واحدة معاً . فان قال قائل لم خلق المتضادات المانعة في الوجود فيكون الجواب عنه ان الامساك عن الخير الكثير من جهة لزوم شر قليل إياه شر كثير والحكمة الكلية

الحقة والجود الكلى الحق اعطيا جميع الموجودات كمالها الذاتي لها من غير ان يبخس حظ واحد منها الا انها بحسب القرب والبعد متفاوتة في الشرف وذلك لا لبخل من جهة الحق عز وجل بل لاقتضاء الحكمة السرمدية ذلك ــ فهذه جمل وان اوردتها على سبيل اقتصاص مذهب قوم من الحكماء فان تحقق اصولها بالبرهان يهديك سبيل تحقيقها باليقين. (واما مسألة التكليف) فلعلها اسهل من مسألة الكون واني اعرض عليك ما اعرفه في ذلك مستفيداً فأقول ان لفظة التكليف لا يبعد ان يكون لها معان مختلفة حسب الاصطلاحات والحكماء يريدون بها ما اذكره . (التكليف) هو الامر الصادر عن الله تعالى السائق للاشخاص الانسانية الى كمالاتهم المسعدة لهم في حياتهم الاولى والاخرى الرادع اياهم عن الظلم والجور وارتكاب القبائح واكتساب النقائض والانهماك في متابعة القوى البدنية المانعة اياهم عن اتباع القوة العقلية . واما هلية التكليف فانها مدرجة فى ضمن لميته لان لمية الاشياء تتضمن هاياتها فنقول في لميته ان الله عز وجل خلق النوع الانسانى بحيث لا يمكن الامكان الاكثري ان تبــق اشخاصه ويحصل لهم كمالاتهم الا بالتعاضد والتعاون والترافد لان غذاءهم ولباسهم وكنهم ما لم تكن مصنوعة وهذا اكثر ما يحتاجون اليــه في التعيش لم يمكنهم الاستكمال وليس يمكن لواحد لونهم ان يتولى بنفسه جميع ما يحتاج اليه من اصناف التعيش فاضطروا الى ان يتولى كل منهم شيئاً ممـا يحتاجون اليه في التعايش فيفرغ صاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحمت على الواحد اشغال كثيرة واذا كان الامر كذلك فبالواجب ان يضطروا الى سنة عادلة يتعادلون بها فيما بينهم وتلك السنة انمـا تكون من عند واحد منهم يكون أقواهم عقلا وازكاهم نفساً لا يهمه من امور الدنيا الا الضروريات وما لا بد منــه في الحياة وليس همه فيما يتوخاه الرئاسة او التمكن من امر شهوانى او غضبي بل يكون همه ابتغاء مرضاة الله تعالى فيما يأمره به من ايراد السنة العادلة لا يلتفت فيها الف عصبية وتفضيل بعض على بعض وعضي حكم

الشرع فيهم على سواء فيكون هـــذا هو الحق الذي يفيض على نفسه من الوحي ومشاهدة الملكوت مما لا يفيض على نفس غيره ممن هو دونه في المرتبة ويكون متميزاً باستحقاق الطاعة وذلك التميز انما يكون بمعجزات وآيات تدل على انها من عند ربه عز وجل . ثم من المعلوم ان اشخاص الناس متفاوتة في قبول الخير والشر والرذائل والفضائل وذلك بحسب امزجة ابدانهم وهيئات نفوسهم معاً والاكثر من الناس يرون ما لهم على غيرهم حقاً واجباً ويبالغون في استيفائهم ذلك ولا يرون ما لغيرهم عليهم ويرى كل واحد منهم نفسه افضل من نفوس كثير من الناس واحق بالخير والرئاسة من غيرها فوجب ان يكون هذا الشارع مؤيداً مظفراً لا يعجز عن امضاء حكم الشريعة في جمهور الناس بعضهم بالوعظ وبعضهم بالبرهان او الدليل وبعضهم بتــأليف القلب والبدن وبعضهم بالتخويفات والانذارات وبعضهم بالزجر العنيف والقتال ولاجل ان وجود مثل هــذا النبي لا يتفق ان يكون في كل زمان وجب ان تبقى السنن المشروعة مدة ما وهي الى الوقت المقــدر فيه انحلالها ولا يمكن استبقاء الشرائع والسنن العادلة الا بمـــا يذكر الناس دائماً صاحب الشرع ففرضت عليهم العبادة المذكوره بصاحب الشرع والحق عز وجل وكررت عليهم تلك حتى يستحكم التذكير بالتكرير المتواتر تحصـــل من تلقي الاوامر والنواهي الالهية والنبوية بالطاعات ثلاث منافع (احداها) ارتياض النفس بتعودها الامساك عن الشهوات وزمها عن القوة الغضبية المكدرة للقوة العقلية (والثانية) تعويدها النظر في الامور الالهية واحوال المعاد في الآخرة لتجرها المواظبة على العبادات عن جانب الغرور الى جناب الحق والتفكر في الملكوت وتحرضها على تحقق وجود الحق الاول الغني الذي عنه وجود كل موجود جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا إله غيره الذي فاضت الموجودات عنه منتظمة في سلسلة الترتيب التي اقتضتها الحكمة الحقة بالبرهان المبني على القياس المجرد عن اصناف التمويهات والمغالطات (والثالثة)

تذكيرهم الشارع الحق وما اتى به من الآيات والانذارات ووعده ووعيده المضي احكام السنة العادلة فيما بينهم فيجري بينهم التعادل والترافد ويبقى نظام العالم الذي اقتضته حكمة الباري جل وعلا على حاله — فهذه هي منافع التكليف ومنافع العبادات . ثم زاد لمستعمليه الاجر والثواب في الآخرة . فانظر الى حكمـة الحي القيوم ثم الى رحمته تلحظ جنابا تبهرك عجائبه . هـــذا هو القدر النزر الذي لاح لي في الحال فعرضته على مجلسك الرفيـع ايها الكامل الاوحد لـكي تسد خلله وتصلح فاسده وتعوضني عنه ما اسكن اليه بلفتاتك الشريف وكلامك اللطيف والله تعـالى اعلم بالصواب. والحمد لله اولا وآخراً وباطناً وظاهراً .

— ٢ —

رسالة في جواب عن ثلاث مسائل اعتقادية

وقد عثرنا في كتاب جامع البدائع المطبوع في مصـــر سنة ١٩١٧ م بمطبعة السعادة على هذه الرسالة المحتوية على اجوبة الحكيم عمر الخيام عن ثلاث مسائل ، الا اننا لم نعثر على اسم السائل ولا على نصوص اسئلته بحروفها . اما المسائل الثلاث فالاولى كيف صدر ملازيم التضاد والشر عن الواجب مع البث بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب و(الثانية) اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق الجبرية القائلين بالجبر ونفى الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبين الى العبد خلق افعاله الاختيارية و (الثالثة) ان قوماً يقولون بأن البقاء من صفات المعاني اي انه صفـة زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم؟ .

اجاب الخيام (وبعد) فان مباحثته اياي عن مسألة ضرورة التضاد رفعت من

ذكرى وعظمت في امري واستوجبت لله تعالى خالص شكري اذ لم يخطر ببالي ان اسأل عن امثالها خصوصاً على ذلك النمط مردفاً بذلك الشك القوي وهو ان ضرورة التضاد ان كانت ممكنة الوجود كان لها علة وتنتهي الى الواجب الوجود بذاته وان كانت واجبة الوجود بذاتها كان في واجب الوجود بذاته كثرة وقد قام البرهان على ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته ثم ان كانت ممكنة كان سببها وموجدها هو الواجب الوجود الواحد وقد قطعتم بان الشرور لا تفيض من عنده . فاقول في الجواب ان الاوصاف للموصوفات على ضربين ضرب يقال له الذاتي وهو الذي لا يمكن ان يتصور الموصوف الا ويتصور له ذلك الوصف اولا ويلزمه ان يكون للموصوف لا لعلة كالحيوانية للانسان ويكون قبل الموصوف بالذات اعني ان يكون علة الموصوف لا لمعلوله كالحيوان للانسان والناطق له . وبالجملة جميع اجزاء الحد للمحدود اوصاف ذاتية وهذه مما مفروغ عنها . وضرب يقال له العرضي وهو الذي يكون بخلاف ما تقدم من انه يمكن ان يتصور الموصوف ولا يتصور حصول ذلك الوصف له ولا يكون ذلك الوصف علة للموصوف ولا قبله في المرتبة والطبع وهذا الضرب ينقسم قسمين فانه اما ان يكون لازماً غير مفارق البتة كـكون الانسان متفكراً او متعجباً او ضاحكاً بالقوة واما ان يكون مفارقاً بالوهم لا بالوجود كـكون الغراب اسود فان السواد يفارق الغراب في الوهم لا في الوجود او مفارقاً بالوهم والوجود جميعاً كـكون الانسان كاتباً او فلاحاً . فهذه هي الاقسام الاولية للاوصاف ثم اللوازم التي تلزم الموجودات لا تخلو من وجهين في القسمة الاولية العقلية فانها اما ان تكون لازمة لها بواسطة وعلة كلزوم الضاحك بالفعل الانسان فانه يلزمه بسبب لزوم التعجب له ثم ان كان لزوم التعجب بسبب آخر ايضاً فذلك السبب الآخر اما ان يكون لازماً واما ان يكون مفارقاً ومحال ان يكون الوصف المفارق سبباً لوصف لازم فبقي ان يكون ذلك السبب الآخر لازماً ايضاً فان كان لزوم ذلك السبب بسبب آخر عاد

الكلام جذعاً فتكون هذه الاسباب اما متسلسلة الى ما لا نهاية له والبرهان قائم على استحالته واما دائرة اي المسبب سبب لسببه وهذا اظهر استحالة واما ان تكون في السببية منتهية الى سبب لا سبب له فيكون ذلك السبب اي الوصف واجب الوجود لذلك الموصوف كالتفكر للانسان مثلا واذ تقدم هذا وبان ان بعض الاوصاف واجب الوجود للموصوفات فلنرجع الى مطلوبنا ونقول ان الوجود امر اعتباري ينطبق على معنيين على سبيل التشكيك لا على سبيل التواطؤ الصرف ولا على سبيل الاشتراك الصرف والفرق بين الاسامي الثلاثة ظاهر في اوائل المنطق وذانك المعنيان همـــا الكون في الاعيان الذي اسم الوجود احق به عنـــد الجمهور ، والثاني الوجود في النفس كالتصورات الحسية والخيالية والوهمية والعقلية وهذا المعنى الثاني بعينه المعنى الاول اذ المعاني المدركة المتصورة من حيث هي مدركة متصورة موجودة في الاعيان اذ المدرك عين من الاعيان والوجود في عين من الاعيان موجود في الاعيان الا ان الشيء الذي هو المدرك المتصور مثاله ورسمه ونقشه ربمـا يكون معدوماً في الاعيان كتعقلنا آدم فان المعنى المعقول من آدم هو معنى موجود في النفس وفي الاعيان اذ النفس عين من الاعيان ولكن آدم الذي هذا المعنى الوجود في النفس مثاله ونقشه معدوم في الاعيان ـ فهذا هو الفرق بين الوجودين وتبين ان الفرق بينهما بالاحق والاولى والتقدم والتأخر الذي يسمى بالتشكيك لا بالمعنى الذي سمي الاشتراك وهذه المسألة وان كانت عميقة جداً وتحتاج الى فضل تنقير فانها لا تخفى على فلان واذا قيل ان صفة الحيوان موجودة للانسان او كل مثلث فان زواياه الثلاث مساوية للقائمين فانمـا نعني بهذا الوجود لا الوجود في الاعيـان بل الوجود في النفس وذلك ان التصور العقلي لا يمكنه ان يتصور الانسان الا ويتصور معه انه حيوان اذ حصول معنى الحيوان لمعنى الانسان امر ضروري وكذلك الفردية للثلاثة لان الثلاثة لا يمكن ان تعقل وتتصور الا فرداً وكل ما لا يمكن ان يتصور ويعقل الا بصفة من الصفات

فان تلك الصفة تكون واجبة له اي تكون له لا بعلة فتكون واجبة الوجود له . فالفردية واجبة الوجود للثلاثة . والحيوانية واجبة الوجود للانسان وكذلك جميع الاوصاف الذاتية الواجبة الوجود للموصوفات . منها ما يكون واجب الوجود الشيء بسبب تقدم وصف آخر واجب الوجود له . ومنها ما يكون واجب الوجود للشيء لا بسبب تقدم وصف آخر له وكذلك جميع اللوازم تكون واجبة الوجود للملزوم . منها ما هو بسبب لازم آخر متقدم . ومنها ما هو بلا سبب شيء الا ذات الملزوم والبرهان ما قدمناه آنفاً ثم الفردية للثلاثة وان كانت صفة لازمة واجبة الوجود لها لا يجب ان تكون في نفسها موجودة في الاعيان فضلا عن ان تكون واجبة الوجود في الاعيان اوممكنة الوجود للشيء فان الحاصل له شيء والموجود الحاصل في الاعيان شيء آخر فان الاوصاف المعدومة في الاعيان ربما تكون موجودة في النفس والعقل لموصوفات معدومة في الاعيان ولا يجوز ان يقال انها موجودة في الاعيان كقول من يقول ان الخلاء بعد مفطور ممتد يسمه الاجسام وتخرقه وتتحرك فيه من موضع الى موضع فان هذه الاوصاف موجودة في العقل للخلاء الموجود المتصور في العقل المعدوم في الاعيان فوجود الاوصاف للموصوفات انما هو بالقصد الاول في النفس والعقل لا الحصول . والكون في الاعيان واذا قيل ان الصفة الفلانية واجبة الوجود لكذا فانما يراد به الوجود في العقل والنفس لافي الاعيان . وكذلك اذا قيل انها ممكنة الوجود فانما يعني به الوجود في النفس والعقل وقد علمت الفرق بينهما على اي صفة يكون فالوجود في الاعيان هو غير وجود شيء لشيء غيرية التشكيك على ما حققناه ثم البرهان قام على ان واجب الوجود في الاعيان واحد في جميع جهاته وجميع صفاته . وهو سبب جميع الموجودات في الاعيان وقد علمت ان الوجود في النفس هو ايضاً وجود في الاعيـــان بوجه ما من وجوه التشكيك فهو جل جلاله سبب لجميع الاشياء الموجودة . ثم الاعدام وعللها ظاهرة عند فلان

(هو السائل) لا اريد ان أطول بها الـكلام فقد بان من هذا انه اذا قيل ان الفردية واجبة الوجود للثلاثة فانمـا نعني به انها للثلاثة لا بسبب مسبب ولا بجعل جاعل . وكذلك جميع الذاتيات واللوازم وقد يمكن ان يكون ذاتي سبباً لذاتي آخر . وان يكون لازم ايضاً سبباً لازم آخر . الا انه يوشك ان ينتهي الى ذاتي او لازم لاسبب لهما فيكون ذلك الذاتي سبباً بوجه من الوجوه وان هذا الحـكم لا يثلم القضية القائلة بان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته اذ الوجود هناك المكون في الاعيان وواجب الوجود في الاعيان واحد كما قد بيناه في مواضع اخر وهذا الوجود هو الحصول للشيء من غير التفات الى وجوده في الاعيان او في النفس . وبالجملة فان جميع الموجودات في الاعيان ممكنة لا غير . سوى وجوب الوجود الواحد وتحليل المسألة على الوجه الـكلي هو ان الموجودات الممكنة فاضت من الوجود المقدس على ترتيب ونظام ثم من الموجودات ما كان متضاداً بالضرورة لا بجعل جاعل واذا وجد ذلك الموجود وجد التضاد بالضرورة واذا وجد التضاد بالضروره وجـــد العدم بالضرورة . واذا وجد العدم وجد الشر بالضرورة . واما من قال ان واجب الوجود اوجد السواد او الحرارة حتى وجد التضاد لان (أ) اذا كانت علة (اب) و(ب) علة (لج) فيكون (أ) علة (لج) فانه قال صواباً حقاً لا مجمجمة فيه لكن الـكلام في هذا الموضع ينساق الى غرض وهو ان واجب الوجود اوجد السواد فوجد التضاد بالضرورة فيكون واجب الوجود قد اوجد التضاد في الاعيان بالعرض لا بالذات هذا لا شك فيه الا انه لم يجعل السواد مضاداً للبياض وانمـا اوجد السواد لا لمضادته للبياض بل لكونه ماهية ممكنة الوجود وكل ماهية ممكنة الوجود فان واجب الوجود يوجبها لان نفس الوجود خـير لكن السواد ماهية لا يمكن الا ان تكون مضادة لشيء آخر فكل من اوجد السواد لاجل كونه ممكن الوجود فهو الذي اوجـــد التضاد بالعرض ولا يكون الشـــر منسوباً الى موجد السواد بوجه من الوجوه ان

القصد الاول (وجل عن القصد) بل العناية السرمدية الحقة توجهت نحو الخير الا ان هذا النوع من الخير لا يمكن ان يكون مبرءاً خالياً عن الشر والعدم فليس الشر منسوباً اليه الا بالعرض . وليس الكلام ههنا فيما بالعرض بل فيما بالذات واني اوصي كل من اعرفه من الحكماء بتقديس ذلك الجناب عن الظلم والشر وههنا من التفصيل والتحصيل مالا تفهمه العبارة ولا يقدر المخبر عن الاخبار به لقصور البيان عنه والحدس المصيب ينال من ذلك الروح ما تقنع به النفس الكاملة وتذوق به اللذة العقلية القصوى وههنا سؤال آخر ركيك جداً عند منعمي النظر في باب الالهيات وهو انه لم اوجد امراً كان يعلم انه يلزمه العدم والشر فيكون الجواب عنه ان السواد مثلا فيه الف خير وشر واحد والامساك عن ايراد الف خير لاجل لزوم شر واحد اياه شر عظيم على ان النسبة بين خير السواد وشره اعظم من نسبة الف الف الى واحد . واذا كان هذا هكذا فقد بان ان الشرور موجودة في مخلوقات الله بالعرض لا بالذات . وبان ان الشر في الحكمة الاولى قليل جداً لا نسبة له في الكمية والكيفية الى الخير . واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في بادىء الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرافاته . فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً هذا واما الكلام الجاري في البقاء والباقي فانه امر قد شغف به جماعة من الاغبياء حيث لم يعقلو ولم يتفطنوا للحق اذ البقاء ليس هو الا اتصاف الموجود بالوجود مدة ما فكأن الوجود غير ملتفت فيه الى المدة . والبقاء وجود يتضمن معنى المدة فالوجود معنى اعم من البقاء فليس الفرق بين الوجود والبقاء الا بالعموم والخصوص . ثم العجب ان قائل هذا القول اعترف بان الوجود والموجود هما معنى واحد في الاعيان وان كانا مفترقين في النفس . ولما بلغ الى البقاء ضل . واما الكلام الجدلي الملجىء اياهم الى ارتكاب المحالات الاولية فهو هذا يسألون هل ههنا شيء موصوف بالبقاء فان اجابوا بلا قيل لهم اذن ليس ههنا

باق فما الذي يوجد الموجودات ويستبقيها على زعمكم بالتعاقب والايجاد في الآنات المتوالية على ان البرهان قام على بطلان الآنات المتوالية ولكن سلمنا قولكم مسامحة فان اجابوا بان هذا الموجد بالتعاقب غير باق يلزمهم أشد المحالات استحالة واقبحها واظنهم يتحاشون عن هذا . وان اجابوا بان ههنا شيئاً باقياً سئلوا وقيل لهم ان ذلك الباقي يكون باقياً ببقاء زائد على ذاته فذلك البقاء لا يخلو اما ان يكون باقياً واما ان لا يكون باقياً فان كان باقياً كان باقياً ببقاء وذلك البقاء ببقاء آخر ويتسلسل وهذا محال وان لم يكن ذلك البقاء باقياً فكيف يكون الباقي باقياً وبقاؤه الذي هو به باق غير باق هذا محال . اللهم لا ان يرتكبوا فيقولوا الباقي باق ببقاءات متصلة متشافعة في آنات متوالية فحينئذ يطالبون شرح هذا الكلام ويقال لهم ما معنى هذه البقاءات المتوالية ان كانت معاني بها يكون الباقي باقياً . فتلك المعاني ينبغي ان تبقى مع الباقي مدة تمكن ان يوصف الباقي فيها بانه باق والا فلا معنى للبقاء والباقي وان كانت وجودات متشافعة فقد بان ان الوجود والبقاء هما معنى واحد . وان البقاء ليس هو الا استمرار الوجود او اتصاف الموجود بالوجود ملتفتاً فيه الى المدة اذ الوجود المطلق يجوز ان يكون في آن من الزمان ولا يجوز ان يكون البقاء الا في مدة فهذا هو سمت الجدال معهم وقمعهم . والحق عندي ان لا يلاج من يكون عقله بحيث يخفى عليه هذا القدر من المعقولات . فهذا هو الذي سنح لي في الحال والله اعلم بكل المقال .

— ٣ —

رسالة الوجود

وهذا نصها قال الحكيم عمر الخيام : —

ان الموجود الذي هو موضوع الفلسفة الاولى اعني العلم الكلي الذي تحته

جميع العلوم ظاهر التصور لا يحتاج في تصوره الى تصور امر آخر يسبقه لانه أعم الاشياء وهو وما اشبهه مبـــدأ لتصورات جميع الاشياء والشيء ايضاً ظاهر التصور ويلزمه الوجود في النفس فان المعدوم في الاعيان اذا حـــكم عليه بامر ما وجودي لا يمكن الا ان يكون موجوداً على ما علمت تفصيله ووجوده ليس في الاعيان فباضطرار يلزم ان يكون موجوداً في النفس فالشيء يلزمه الوجود فلا موجود احد الوجودين الا ويلزمه ان يكون شيئاً ولا شيء الا ويلزمه احد الوجودين فالشيئية من لوازم حقائق الاشياء واياك ان تحاول تصوير الشيء او الموجود فانك ان فعلته وقعت في الدور لا محالة والموجود والشيء وان كانا عامين فان الموجود اولى بان يكون موضوع العلم الكلي لانه اظهر تصوراً وموجودية الشيء ووجوده شيء واحد كالمضاف والاضافة لان الوجود لو كان شيئاً زائداً على ذات الموجود لكان يلزمه الوجود اما في الاعيان واما في النفس ولو كان وجود الموجود موجوداً في الاعيان لكان موجوداً بوجود « اذ حكم ان كل موجود يحتاج الى وجود » وتسلسل وكذلك لو كان الوجود شيئاً زائداً على ذات الموجود (ولا شـــك ان الوجود عرض كيفما كان سواء فرضته موجوداً في الاعيان او في النفس) لكان سبباً لموجودية الجوهر لان الجوهر انمـا يصير موجوداً بوجوده وما لم يوجد وجوده لم يمكن ان يوجد هو فيلزم ان يكون العرض سبباً لوجود الجوهر لكن من الثابت ان كل عرض فسبب وجوده الجوهر لان حقيقة العرض تدل على ذلك ويصير البيان دورياً وكذلك لو كان الوجود شيئاً زائداً على ذات الموجود به يصير الموجود موجوداً لكان وجود الباري ايضاً شيئاً زائداً على ذاته اعني هـــذا الوجود الذي يقابل العدم الذي فيه كلامنا هبنا فلم تكن ذات الباري تعالى واحدة بل كانت متكثرة وهذا محال . واما ان يكون شيئاً اعتبارياً موجوداً في النفس فيجب ان تحقق ان لكل شيء حقيقة ما بها يتخصص ويتميز عن غيره وهـــذا الحكم اولى لا يخالف فيه عقل فاذا عقل تلك

الحقيقة عقل أعني حصل أثر من تلك الحقيقة في عقل ما ثم نسب ذلك العقل تلك الحقيقة والماهية الى الصورة الحاصلة الموجودة في الاعيان فيكون الكون في الاعيان أمراً زائداً على ذات تلك الماهية والحقيقة ولا يكون شيئاً زائداً على ذات الموجود اذ الموجود في الاعيان ليس تلك الماهية فان تلك الماهية لا يمكن ان توجد بعينها في الاعيان اذ العقل ليس له ان يحكم على شيء الا اذا عقله مجرداً عن العوارض الشخصية ولا يمكن ان يوجد هذا المجرد من حيث هو كذلك في الخارج ثم اذ كان الامر على هذه الصفة وكان يظن بعض ضعفاء الظن ان الماهية المعقولة بعينها صارت موجودة في الاعيان رسخ في قلبه ان الوجود والموجود هما شيئان كائنان في الاعيان ولم يتفطن لهذه المحالات ومن المحالات اللازمة لهذا الحكم وهو ان الوجود شيء زائد على ذات الموجود انه يلزم ان يكون الوجود في النفس موجوداً بوجود وذلك الوجود يكون موجوداً في النفس بوجود آخر ويتسلسل الى ما لا نهاية له ومن الحجج الجدلية في هذا المبحث للمذهب الحق ان يقال للخصم ان هذا الوجود الزائد على ذات الموجود هل هو موجود في الاعيان او ليس بموجود في الاعيان فان قال انه ليس بموجود في الاعيان فقد حقق الخبر بعض المذهب ثم يسأل فيقال له هذا الوجود الزائد على ذات الموجود الذي سلمت انه ليس بموجود في الاعيان هل هو موجود في النفس او ليس بموجود في النفس فان قال انه موجود في النفس فقد حقق الخبر كله وان قال انه ليس بموجود في النفس وكان من قبل ان يقول انه ليس بموجود في الاعيان فيكون حينئذ هو المعدوم المطلق والمعدوم المطلق لا يكون عنه خبر ولا يكون عليه حكم والضرورة تشهد ببطلان هذا الحكم فقد صح وتبين ان الوجود هو صفة زائدة على ذات الماهية المعقولة موجودة في النفس غير موجودة في الاعيان اعني ان وجود الموجود في الاعيان هو بعينه ذاته ولا معنى لوجوده الزائد عليه الا بعد ان عقل وانما اعتبر العقل فيه هذه الصفة بعد ان عقله وصيره ماهية معقولة ومن

الشكوك القوية على هذا الرأي الحق وهو موضع بحث عظيم للجدلي هو انه اذا سئلنا هل الوجود المطلق ماهية معقولة ام ليس بماهية معقولة فان قلنا ليس بماهية معقولة كان القول محالا لانه او لم يكن ماهية معقولة موجودة في النفس لكان محالا قولنا ان الوجود في الاعيان شيء زائد على ذات الماهية وان قلنا انه ماهية معقولة وقد حكمنا بان الماهية المعقولة تحتاج الى وجود زائد عليها فتكون ماهية الوجود محتاجة الى وجود آخر معقول حتى يكون موجوداً في النفس . والجواب عنه ان الماهية المعقولة تحتاج الى وجود معقول حتى يكون امراً موجوداً في الاعيان لا في النفس لانك اذا قلت ان الماهية الموجودة في النفس محتاجة الى وجود حتى تكون موجودة في النفس فقد صادرت على المطلوب الاول حيث قلت ان الموجود يحتاج الى وجود واما كلام من يقول اذا كان وجود زيد غير موجود في الاعيان فكيف يكون زيد موجوداً فكلام مموه مزخرف سوفسطائي ويتفطن لاستحالته من وجهين (احدهما) قوله اذا كان وجود زيد غـــير موجود فكيف يكون زيد موجوداً هذا يلزم اذا قيل ان الموجود موجود بوجود وهو مصادرة من المغالط على المطلوب الاول (والثاني) من الوجهين ان وجود زيد المعقول هو امر معقول موجود في النفس فكان المغالط لا يفرق بين الوجودين الوجود في الاعيان والوجود في النفس . فان قال انا نعتبر زيداً الجزئي المحســـوس المعقول حتى يكون وجوده شيئاً زائداً على ماهيته في النفس أجبنا بان نقول ان حمل المحمول الكلي على الموضوعات لا يمكن الا بعد ان تكون معقولة والوجود حكم كلي لا يمكن حمله على موضوع الا بعد ان يعقل سواء فرضه العقل عند تعقله اياه واحداً لا تكثر فيه كالباري او لم يفرضه كذلك وانما ظن من ظن هذا جهله بان المعقول الصرف لا يكون لنا ولا يمكن بل انه تكون معقولاتنا مشوبة بالتخيل والتخيل لايدرك الا الجزئي فربما تخيلنا شيئاً وعمل العقل فيه عمله اعني تجريده عن العوارض المشخصة ولا

تفطن النفس لذلك بل تظن انه جزئي لاختلاط ذلك المعقول بالتخيل او تصاقب بعضها من بعض واكثر ما تعرض هذه الحالة عند فرض العقل المعقول شيئاً واحداً فمن اضافة الوحدة الى ذلك المعقول ومخالطته للتخيل يظن انه جزئي . فقد تبين وصح ان الموجود في الاعيان ووجوده شيء واحد . وانما يحصل هذا التكثر عند كونه معقولا وصيرورته ماهية معقولة مضافا اليها ذلك المعنى المعقول المسمى وجوداً . ونعم ما قال فاضل المتأخرين روح رمسه دقدس نفسه في بعض مباحثاته . لعل الوجود الذي هو ماهية الحق الاول هو الواجبية . وانما قال ذلك لان الواجبية المطلقة لا شركة فيها بوجه من الوجوه . ثم قال ان الوجود الذي هو مقابل العدم المقول على جميع الاشياء هو من لوازم تلك الماهية . فلو كان ذلك المعني امراً على حدة لتكثر به ذات الباري جل جلاله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيراً . وعند هذا الموقف عديد مباحثات عميقة وتحصيلات كثيرة وتحاقيق جمة . ومن اخذت الفطانة بيده وصحبه توفيق من الله تعالى صادف في التوحيد ههنا ما يسكن اليه العقل نسال الله التوفيق للوصول الى الكمال والحمد لله على كل حال .

شرح وتعليق

الصفحة (٥) — اول من دون وقعة نهاوند البلاذري وعقبـه الطبري ويروي البلاذري ان نهاوند قد فتحت في سنة ١٩ هـ ويقــال في سنة ٢٠ هـ راجع معجم البلدان للحموي (مادة : نهاوند)

والحكيم أبو حفص السغدي يعتبر من اوائل من قال الشعر في ايران وكان نحوياً لغوياً وفي كتاب المعجم في معايير العجم انه كان عالماً بالموسيقى واما عباس المروزي او — المروي — فانه مات في اواخر القرن الثاني للهجرة وقد مدح امير المؤمنين عبدالله المأمون عام ١٩٣ هـ في مرو ومرو مدينــة في ايران وصفها اكثر الجغرافيين وتسمى مرو الشاهجان — وهي غير مرو الروذ — ومعنى الشاهجان — نفس السلطان — والنسبة الى مرو مروزي وهو على غير قياس . . . ويذكر الاستاذ شفق صاحب كتاب تأريخ الادب الفارسي انه توفي سنة ٢٠٠ هـ . . . والرودكي هو عبدالله ابو عبـدالله جعفر بن محمد الرودكي ولد في ناحية رودك من اعمـال سمرقند ويسمى في ايران « أبا الشعراء » وتشير بعض القصص الى انه كان اعمى وانه كان عالماً في فن الموسيقى وتوفي الرودكي سنة ٣٢٩ هـ وقد ترجمــه غير واحد من اصحاب كتب الطبقات وترجمه من العرب السمعاني صاحب الانساب . . . والفردوسي هو ابو القاسم الشاعر الايراني الشهير صاحب الملحمة التأريخية الشهيرة « شاهنامه » ولد بين سنة ٣٢٠ هـ و ٣٣٠ هـ في قرية باز من نواحي طبران حوالي طوس كما ذكر الاستاذ رضا زاده شفق في كتابه تأريخ الادب الفارسي .

ص (٦) — سعــدي الشيرازي هو الشيخ مصلح الدين السعــدي ، ولد في شيراز وعاش ١٢٠ عاماً تقريباً وشد الرحال الى فلسطين وحارب الصليبيين

وقد حصل بعض علومه في المدرســـة النظامية في بغــداد ورثى بغداد بالعربية والايرانية على ما اصابها على يد الطاغية هلاكو ودل هــذا الرثاء على سريرة طيبة . ولد سنة ٦٠٦ ه وتوفي بين سنة ٦٩٠ ه و ٦٩٤ ه في شيراز . . . والرومي ، هو مولانا جلال الدين محمد بن محمد بن حسين الخطيبي البكري ولد ببلخ سنة ٦٠٤ ه . واليه تنسب الطريقة المولوية (راجع : سر آمد ان سخن لحسين دانش وتأريخ الادب الفارسي لشفق) والشيرازي حافــظ ، هوشمس الدين محمد الحافظ ويلقب بلسان الغيب ويسميه الايرانيون « شكر لب » اي ذا الشفة الكريمة لحلاوة شعره ولد في اوائل القرن الثامن للهجرة في شيراز ومدح السلاطين الجلائرية وفي رواية انه قابل تيمورلنك في شيراز (راجع سر آمدان سخن وتأريخ الادب الفارسي) . . .

ص (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) — « زن اغا » مربيتنــا الايرانية وقــد تولت تعليمي الفارسية ودرستني رباعيات الخيام وكنا نسميها « بي بي جان » تحبيبــاً والاسطورتان اللتان دونتهما في الكتاب رواية عنها واكاد اقطع انه لا يوجد ايراني الا يعرف اسطورة سواد وجه الخيام وعودته الى حاله بعد استغفاره .

ص (١١) — لم يظفر احد من الباحثين عن ترجمته بتأريخ مولد الخيام مطلقاً حتى ولا تلميذه احمــــد بن عمر بن علي النظامي السمرقندي مؤلف كتاب « جها رمقالة » الا انه زار قبره في سنة ٥٣٠ ه وهذا نص كلامه بالايرانية « چون درسنه ثلاثين بنيسابور رسيدم چهار سال بود تا آن بزرك روى در نقاب خاك كشيده بود . . . » اي : فلما بلغت نيسابور سنة ثلاثين وخمسمائة وقد خلت اربع سنوات على ايداع هذا الرجل العظيم التراب . لم اجد احدا من الذين عنوا بترجمة الخيام ذكر له لقباً وقد انفرد واحد من الادباء فزعم ان لقبه « غياث الدين » وهو الاستاذ حسين دانش في كتابه الخيام ص ٣١٤ طبعة استانبول .

ص (١٦) — لم نعثر على ترجمة للقاضي « ابي نصر محمـــد بن عبدالرحيم

النسوي » الا ان الاديب حسين دانش يزعم في مؤلفه انه من تلامذة ابن سينا . . .

ص (١٩) — الزمخشري هو ابو القاسم محمود بن عمر الملقب بجار الله نسب الى قرية زمخشر من قرى خوارزم — راجع معجم البلدان — وهو اديب لغوي نحوي مفسر مشهور . . .

اما الرساله الموسومة « بالزاجر للصغار عن معارضة الكبار » فقد عثر عليها الاديب الايراني المعروف الاستاذ بديع الزمان — راجع نشريه دانشكده ادبيات تبريز — العدد ٨ — ٩ . . . وقد افادتنا الرسالة ان الخيام كان قد اطلع على شعر المعري واستظهر منه وتأثر به .

ص (٢٠) — والعروضي السمرقندي هو تلميذ الخيام كما صرح في مؤلفه « جهارمقالة » ولم نعثر له على ترجمة مفصلة وقد ذكر اسمه في كتاب لباب الالباب للصوفي وكان تأليفه سنة ٦١٧ ﻫ وذكره حمـــد الله المستوفي القزويني في مؤلفه تأريخ كزيده وقال انه كان معاصراً للنظامي الكنجوي وله من المصنفات « مجمع النوادر » اما « امير بو سعد جره » فلم نعثر على ذكر له ولعل اسمه قـــد عراه التصحيف . . . واما حكاية العروضي عن موضع قبر الخيام فنحن وان لم يكن لدينا دليل يكذبهـــا فلا نشك ابداً في انهـــا مفتعلة ومن بنـــات خيال التلميذ الخبير وقد جرت الحكاية في سنة ٥٠٨ لا ٥٩٨ كما جاء في الكتاب من غلط الطبع .

ص (٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) — والبيهقي هو الامام ابو الحسن ابن الامام ابي القاسم البيهقي المتوفى في حدود ٥٦٥ ﻫ وقد ولد في قصبة سبزوار من نواحي بيهق من اعمال نيسابور في سنة ٤٩٩ ﻫ وقد ذكر البيهقي في مؤلفه « تأريخ الحكماء » انه زار عمر الخيام بصحبة والده سنة ٥٠٧ ﻫ وقد سأله الخيام سؤالين في اللغة وفي الفلك وعمر البيهقي بحسب ما ورد في المطبوع ثماني سنوات وذلك مما نستبعده . والحيره المذكورة بين قرى نيسابور ذكرها ياقوت في معجمه وقد دفن الخيام فيها وفي الفقرة الثانية

من حكاية العروضي ورد اسم صدر الدين محمد بن مظفر وهو ابو جعفر بن فخر الملك ابي الفتح المظفر ابن نظام الملك الطوسي استوزرة السلطان سنجر. وامام القراء هو ابو الحسن علي ابن احمد بن محمد المعروف بابن الغزال كان عارفاً بفنون القراءات مبرزاً في العربية شيخ القراء بخراسان مات سنة ٥١٦ وقد ترجمه ياقوت في معجم الادباء وابن الجزري في طبقات القرآء . . . والغزالي هو حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المشهور . . . وسنجر هو ابو الحارث سنجر بن محمد بن ملكشاه السلجوقي . . . واما الخاقان الذي ذكره البيهقي وسماه « شمس الملوك » فهو شمس الملك بن طفغاج خان ابراهيم بن نصر بن ارسلان فما جاء في البيهقي خطأ راجع كامل ابن الاثير (ج ٩ ص ٢١٢ الى ٢١٣) و (ج ١٠ ص ٢١٥) طبعة اوروبا وراجع (لباب الالباب ج ١ ص٩١) وختن الحكيم عمر الخيام هو الامام محمد البغدادي ممن ادرك اواسط القرن السادس وجرت بينه وبين رشيد الدين الوطواط مراسلات اخوانية وفي ديوان رسائل الوطواط رسالة بعث بها الى الامام محمد البغدادي المذكور (ج ١ ص ٦٧) . . وكنا نظن كغيرنا ان الخيام عاش عزباً ولم يتزوج وان ختنه هذا شخص موهوم لا حقيقة له وقد ظهر لنا مما قدمنا ان ختنه معروف مشهور وان الخيام لم يكن عزباً بل تزوج وانجب.. واما حكاية ختنه عن وفاته فامر وان كان مستحيل الوقوع فاننا نستبعد وقوعه وكأني وانا ادون هذه الرواية اسمع صدى قهقهة الخيام تدوي في الفضاء من حكاية ختنه .

(ص ٢٤) — الرازي : هو الشيخ نجم الدين ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن شاهادر الاسدي الرازي المعروف بداية ، توفي سنة ٦٥٤ هـ وقد الف كتابه المسمى مرصاد العباد من المبدأ الى المعاد الذي جاء فيه ذكر الخيام في اول رجب من سنة ٦٢٠ ببلدة سيواس وجعل الكتاب على خمسة ابواب في اربعين فصلا كلها في السلوك والوصول وتربية النفس

(ص ٢٥ ، ٢٦) والشهرزوري : هو شمس الدين محمد بن محمود كما ورد في الاصل واسم كتابه الذي جاء فيه ذكر الخيام نزهة الارواح وروضة الافراح وقد ذكر الاستاذ محمد عبد الوهاب القزويني في تعاليقه على جهار مقالة انه الفه بين سنة ٥٨٦ و ٦١١ هـ وقد نقل الشهرزوري ترجمة الخيـام من تاريخ البيهقي بالنص والفص الا انه ذكر له اربع قطع من الشعر وذلك مما يدل على انه اطلع على مرجـع آخر .

(ص ٢٧) ـ ابن لاثير : هو عزالدين ابو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري المؤرخ المحدث صاحب المؤلفات المعروفة واشهرها تاريخ « الكامل » توفي في الموصل سنة ٦٣٠هـ ودفن بها وقد ذكر في حوادث ٤٦٧ هـ اجتماع اعيان المنجمين لعمل الرصد لملكشاه السلجوقي وذكر منهم عمر بن ابراهيم الخيامي واباالمظفر الاسفزاري وميمون بن النقيب الواسطي ... وقد ذكرت رأيي في صفحة ٧٩ ـ ٨٠ من الكتاب باني لا اشك في ان الفيلسوف محمد بن احمد المعموري البيهقي كان ممن ساهم في بناء الرصد.

ويرى الدكتور مصطفى جواد : ان بهرام منجم ملكشاه كان من بناة الرصد ايضاً وقد ذكره ابن الاثير في حوادث ٤٨٤ هـ وفي ذكره ما يدل على ذلك قال : وفي هذه المدة امر « ملكشاه » بعمارة جامع السلطان (ببغداد) فابتدئ بعمارته سنة ٤٨٥ هـ وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من اصحاب الرصد .

(ص ٢٨) ـ والقفطي : هو الوزير جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفي سنة ٦٤٦ هـ . وسيرته مشهورة مذكورة في معجم الادباء مع الاحياء وفي الكتاب المنسوب الى ابن الفوطي المسمى بالحوادث الجامعة .... وقد وجدت الترجمة التي دونها القفطي في كتابه اخبار الحكماء فريدة في اسلوبهـا ويختلف طرز انشائها كل الاختلاف عن النحو الذي نحاه في تراجم كتابه فانهـا مسجعة والقفطي اتبـــع في تدوين التراجم اسلوب النثر المرسل ولم يألف

الصحيح وذلك مما يدل على ان القفطي نقل ترجمة الخيام من مؤلف آخر بالنص والفص ويرى الدكتور مصطفى جواد : ان القفطي نقل هذه الترجمة من كتاب « خريدة القصر » للعماد الاصفهاني فقد جاء ذكره في فهرست كتب ليدن العربية مثبتاً مع اسماء فضلاء خراسان وما جاورها من البلدان تحت رقم ١٨٥ ، ٢٣٨ .

وتوجد نسخـــة خطيـــة لجزء من خريدة القصر لدى صديقنا الاستاذ المحامي عباس العزاوي (القسم الايراني) مع خلاصة مهمة لديوان الابيوردي .

(ص ٢٩ ، ٣٠) — القزويني هو عماد الدين زكريا بن محمود القزويني الشافعي صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد واخبار العبـاد الذي الفه سنة ٦٧٤ هـ توفي سنة ٦٨٢ هـ وكان قد ولي القضاء بالحلة ثم بواسط وكان مرضى السيرة — راجع معجم الالقاب لابن الفوطي والحوادث الجامعة — . ونقل القزويني الحادثة التي جرت للخيام مع الفقيه كانها من الحوادث المسلمة ونحن نرى ان عليهـا مسحة من الغرابة ونقف بازائها مترددين بين قبولها واستبعادها ....

رشيد الدين : هو فضل الله ابن ابي الخير بن عالي الهمذاني الملقب رشيد الدين نشأ طبيباً كابيه ودرس الحـكمة وداخل رجال الدولة فاستوزره السلطان قازان وكان يهودياً ثم اسلم والف تفسيراً للقرآن خلطه بالحـكمة والآراء الفلسفية فاستثار بذلك على نفسه جماعة من العلماء اخذوا في التشنيع عليه بل كفروه واجتمع حوله حزب من اعوانه والف ايضاً كتاب جامع التواريخ باللغة الفارسية ونشر منه نسخاً بالعربية وهذا التأريخ مخزون في عـدة خزائن شرقية وغربية بالفارسية والعربية، واسس معاهد علمية بايران والعراق وآل امره ان اتهم بانه اساء معالجة السلطان اولجايتو محمد خدابنده فقتل به سنة ٧١٨ هـ — راجع الدرر الكامنة لابن حجر — وقد تفرد رشيد الدين بذكر اجتماع عمر الخيـــام ونظام الملك الوزير والحسن بن الصباح صاحب الباطنية ، وتتلمذهم في مدرسة واحـدة واتفاقهم المشهور . ولكن

اكثر المحققين استبعدوا اجتماع الثلاثة في مدرسة واحدة على ثبوت تعاصرهم لان نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ هـ وتوفي الحسن بن الصباح ٥١٧ هـ وتوفي الخيام بين سنة ٥١٧ هـ و ٥٣٠ هـ وعلى هذا يمكننا ان نقول ان النظام كان اكبر منهما سناً لاستبعاد ان يكون من المعمرين الى نيف ومائة سنة .

وحمد الله القزويني : هو حمد الله بن ابي بكر بن محمد المستوفي القزويني المتوفي في حدود سنة ٧٥٠ هـ . الف تاريخ كزيدة ومفاخر التواريخ في علم التأريخ ، ونزهة القلوب في الجغرافيا ووصف البلدان والاول والثالث مطبوعان وكان من كبار المؤرخين والجغرافيين وتنقله في البلاد ساعده على ان يجمع بين صفتيها القديمة وصفتها في عصره وقد دخل العراق وزار بغداد — كشف الظنون وغيره —

ص (٣١) — ميرخند : هو ميرخواند محمد بن خاوندشاه بن محمود المتوفى سنة ٩٠٣ هـ وكان من بين اصحاب الوزير مير علي شير وسكن مدة من عمره بالخانقاه الاخلاصية التي انشأها الامير المذكور بهراة على نهر الجبل واسم كتابه الكامل « روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفاء » الف بالفارسية وقد طبع وترجم الى غير لغة وميرخند اعاد ما ذكره رشيد الدين في تأريخه وزاد عليه تتلمذ العظماء الثلاثة المذكورين على الشيخ موفق الدين النيسابوري وكنا قد بينا رأينا في التعليق على نقل رشيد الدين واستبعدنا تتلمذ الثلاثة في مدرسة واحدة وفي زمان واحد . . . وظهور اسم موفق الدين فى الحكاية يوحي الينا ان رفيق الخيام والحسن بن الصباح في الدراسة يمكن ان يكون وزيراً من وزراء ذلك العصر ولكنه غير النظام ، والظاهر ان هذه التلمذة كانت لعميد الملك الوزير الكندري مع الباخرزي على الامام موفق الدين النيسابوري فنسبت الى النظام ونحلها — راجع معجم الادباء لياقوت الحموي —

ص (٣٣) — والتأريخ الالفي : الفه احمد بن نصر الله التتوي بالفارسية وهو

الكتاب الذي الفه باسم اكبرشاه الهندي وقد ضمنه الوقائع المهمة في الالف سنة الاولى من تأريخ الاسلام وقد نقل هذا حكاية الحمار مع المدرسة المسترمة . . . ونحن نقطع بان الخيام قد اراد بها التماجن ان صح وقوعها والا فهي من الحكايات المفتعلة .

الخاقاني : هو فضل الدين بديل بن علي الخاقاني الشاعر الايراني الشهير ولد اوائل القرن السادس الهجري وكانت شروان مسقط رأسه واسم ابيه علي وكان نجاراً وكانت امه مسيحية نسطورية ثم اسلمت وكان يتخلص اولا بحقائقي ثم اتصل بخاقان الكبير منوجهر بن فريدون شروانشاه فتخلص بخاقاني وكان منوجهر معاصراً للخليفة العباسي الحادي والثلاثين وهو المقتفي بامر الله ٥٣٠ هـ ـ ٥٥٥ هـ ـ راجع تأريخ الادب الفارسي ـ للاستاذ رضا زاده شفق . . . ولم اعثر على ترجمة لخسرو الابرقوهي مؤلف فردوس التواريخ سنة ٨٠٨ هـ وقد نقل هذا ماذكره حمد الله المستوفي مؤلف تأريخ كزيدة عيناً ونصاً . . . ويسميه كاتب جلبي مولانا خسرو الابرقوهي .

لطفعلي آذر : وهو صاحب «اتشكدة» وهذا الكتاب يتضمن تراجم الشعراء الايرانيين وكثيراً من مقطوعاتهم الشعرية .

كاتب جلبي : المفهرس التركي الشهير صاحب الكتاب الذائع الصيت «كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون» ويعرف كاتب جلبي ايضاً بالحاج خليفة ولد في سنة ١٠٠٤ وتوفي سنة ١٠٦٧ هـ

الخونساري : وهو السيد محمد باقر الموسوي الخونساري ولد سنة ١٢٨٦ هـ واشتهر بكتابه «روضات الجنات في احوال العلماء والسادات» الذي فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٦ هـ .

ص (٥١ ـ ٥٤) ـ وقد تعرض اكثر المؤرخين للبحث عن تأريخ السلاجقة، وقد الفت كتب كثيرة فيهم ولعل اهمها كتاب «اخبار الدولة السلجوقية لابي

الفوارس ناصر بن علي الحسيني طبع في جامعـــة فنجاب في لاهور ١٩٣٣ وكتاب تواريخ آل سلجوق لعماد الدين الاصفهاني باختصار البنداري الاصفهاني طبع بريل سنة ١٨٨٩ ولابن بيبي بالفارسية . اما البويهيون فقد بحث عنهم اكثر المؤرخين ومن اهم مايذكر من ذلك كتاب النبراس الذي تولى نشره الاستاذ العزاوي وفيه بيان انهم دخلهم الابطان راجع النبراس ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ والمشهور عن بني بويه انهم زيدية معتزلة لا يمتون بصلة الى الباطنية وللصديق الاستاذ عبدالحميد الدجيلي مقالات ضافية في الزيدية و كبار رجالهم نشرت في مجلة الغري النجفية .

والخليفة الناصر لدين الله العباسي : هو ابو العباس احمد بن المستضيء بامر الله ٥٨٥ — ٦٢٢ هـ وهو اعظم خليفة عباسي وقد ترجمه غير واحد من المؤرخين واثنوا عليه واحسن من ترجمه فيما طبع ايبك الصفدي صاحب نكت الهميان في نكت العميان ، وقد اختص بمعرفة عصره ودراسة شؤون دولته صديقنا الدكتور مصطفى جواد وقد الف كتاباً فيه وهي اطروحته في باريس ولم تطبع بعد .

الرصد : ومن بناة الرصد الحكيم عمر الخيام وجماعة آخرون ذكرهم ابن الاثير واحسن من كتب في الفلك والارصاد عند العرب البروفسور نالينو .

ويوسف بن تاشفين : من ملوك البربر ترجمه ابن خلكان في وفيات الاعيان وله ذكر في التواريخ الاخرى مثل الكامل لابن الاثير ومن ابرز اعماله في التاريخ انه اعاد الخطبة للعباسيين بالمغرب والاندلس .

ص (٥٥ — ٦٦) — راجع في هذا الموضوع المنتظم لابن الجوزي وتلبيس ابليس الكامل لابن الاثـــير . وفيات الاعيان لابن خلـكان ، الملل والنحل للشهرستاني . الفرق بين الفرق للبغدادي الفصل لابن حزم . الخطط للمقريزي . دائرة المعارف لبطرس البستاني .

ص (٦٧ — ٦٨) — المدارس النظامية : اسسها الوزير الخطير نظام الملك في

بغداد وفيه ابود واصفهان وطوس وغيرها من المدن كما قدمنا الاشارة اليه . و يهمنا ان نذكر ان اول من عثر على موضع المدرسة النظامية في بغداد هو صديقنا الدكتور مصطفى جواد فقد اثبت انها كانت واقعة في ارض سوق الخفافين الحالي راجع : مجلة العلم الجديد مجلد ٨ ص ١١٢ — ١١٩ كما انه نشر تأريخ اول مدرسة عراقية وهي مدرسة الامام ابي حنيفة باوسع ما يمكن من التفصيل : العلم الجديد مجلد ٦ ص ٣٣ — ٤٤ وما يليه من الاعداد .

خزانة المدرسة النظامية : وقد اعتنى بالبحث صديقنا الاستاذ كوركيس عواد فألف كتاباً نفيساً في خزائن الكتب العراقية ذكر فيه خزانة المدرسة النظامية ص ١٤٥ — ١٥١ كما كتب في تأريخ المدرسة المستنصرية ودار كتبها راجع سومر مجلد ١ الجزء الاول ص ٧٦ — ١٣٩ وراجع خزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد ص ١٦٠ — ١٧١ .

ص (٦٩ — ٧٤) — عبدالله : هو الامام ابو اسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الانصاري الهروي ولد في ذي الحجة ٣٩٥ هـ وتوفي سنة ٤٨١ هـ راجع ترجمته في المنتظم لابن الجوزي جزء ٩ ص ٤٤ — ٤٥ .

ابو الحسن الاشعري : هو احد ائمة المسلمين وصاحب مذهب الاشعرية المنسوب اليه ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٣١ هـ راجع ترجمته في المنتظم لابن الجوزي جزء ٦ ص ٣٣٢ — ٣٣٣ وطبقات الشافعية للسبكي ووفيات الاعيان لابن خلكان

ونظام الملك : اشهر من ان يذكر واخباره مستفيضة في كتب التراجم والتأريخ ولا سيما طبقات الشافعية للسبكي ووفيات الاعيان والكامل لابن الاثير .

ص (٧٥ — ٨٢) — راجع عن هذه التراجم كتاب ذيل صوان الحكمة في تأريخ الحكماء ظهير الدين ابي الحسن علي بن زيد البيهقي في طبعته الاوربية والشامية — المجمع العلمي العربي في دمشق — وما زالت هذه التراجم يحيط بها

الغموض فقد اهمل البيهقي ذكر اكثر التواريخ لولادات من ترجمهم ووفياتهم وهو عاب في علم التراجم . ومن الذين احسنوا فن التراجم قديماً ابو سعد السمعاني وابن الجوزي وياقوت الحموي وابن خلكان ومن المعاصرين الدكتور مصطفى جواد والاستاذ عباس العزاوي والاستاذ كوركيس عواد وشقيقه الاستاذ ميخائيل عواد .راجع معجم الادباء لياقوت عن ترجمة محمد بن احمد المعموري البيهقي المقتول سنة ٤٨٥ هـ .

ص (٨٣ ـ ٨٦) ـ اجمعت الوثائق المار ذكرها على ان الخيام كان ضليعاً من الرياضيات وعلم الفلك . قال بروكلمن : كانت دراساته في علم الجبر اول محاولة ناجحة لحل المعادلات التكعيبية وقد ميز منها ثلاث عشرة معادلة ولم يحلها حلا جبرياً حسب بل حلا هندسياً ايضاً والواقع ان شهرته البعيدة في الرياضيات حملت السلطان جلال الدولة ملكشاه على ان يعهد اليه باصلاح التقويم فوضع الخيام التقويم الجلالي « الزيج » الذي لم يكتب له النجاح ولم يعم استعماله على الرغم من انه بلا شك ادق من التقديم الغريغوري المألوف » راجع تأريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمن ج ٢ ص ١٣٠ ـ ١٣١ من الترجمة العربية ، وقد نال الدكتور الصديق داود القصير درجة الدكتوراه العلمية من اميركا في جبر الخيام والف رسالة بذلك .

مجير الدولة : هو المجير ابو الفتح الطغرائي وزير السلطان سنجر السلجوقي تولى الوزاره قبل سنة ٤٩٧ هـ التي عزل فيها راجع كامل ابن الاثير في حوادث هذه السنة .

شباب الاسلام : هو الوزير عبدالرزاق ابن الفقية ابي القاسم عبدالله بن علي بن اخي نظام الملك الوزير الشهير راجع ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي . وقدالف صديقنا الاستاذ ميخائيل عواد كتاباً استدرك فيه على مؤلفي تواريخ الوزراء ما فاتهم من التراجم .

ص (٨٧ — ٨٨) — رسالة الوجود : جاء ذكرها في فهرست دار الكتب الالمانية ببرلين تحت الرقم ٢٣٨٩ وهذا ما كتب في اولها : رسالة الوجود لعمر بن ابراهيم الخيامي :

سبحان الذي جل جلاله وتقدست اسماؤه . . . الاوصاف للموصوفات على ضربين ضرب يقال له الذاتي وضرب يقال له العرضي ! . . الخ

ثم يقول : يحصل من ضرورة التضاد على ما قد عرفت تفصيله تعالى عما يقول الظالمون الملحدون علواً كبيراً ولا حول ولا قوة الا بالله . . . الخ

رسالة في الجبر : ورد ذكر هذه الرسالة في فهرست دار الكتب الوطنية في باريس تحت الرقم ٢٤٦١ والرسالة مكتوبة سنة ٦٢٦ . وفي دار الكتب الوطنية نسخة اخرى لها كتبت سنة ٥٣٩ وهي في مضمون الرقم ٢٤٥٨ وجاء ذكرها في فهرست مخطوطات الفاتيكان في مضمون الرقم ٣٦ تحت عنوان رساله الجبر والمقابلة لغياث الدين ابي الفتح عمر بن ابراهيم الخيام .

الرباعيات : وفي فهرست فينا مكتبة البلاط الملكي القيصري نسخة من رباعيات الخيام بحث عنها البروفسور فلوكل ذكر وفاة الخيام في سنة ٥١٧ ه وهو يجزم انه توفي في ١ مارت ١١٢٣ وهو ادعاء تعوزه البينة .

وتوجد نسخة في جامعة برنستن في اميركا كتبت في بغداد سنة ٨٦٨ كتبها فرج الله الحافظ .

ص « ٨٩ — ٩٢ » — بحث الافرنج عن رباعيات عمر الخيام بحثاً مستفيضاً وقد رغبنا ان نذكر انموذجاً من ذلك البحث وهو ما ورد في دائرة المعارف الاسلامية بالنسخة الفرنسية فترجمه انا صديقنا الاستاذ الشاعر الاديب مير بصري الضليع من هذه اللغة وكاتب المقال المستشرق الشهير البروفسور مينورسكي ، ودونك نصه :

عقد الاستاذ ميورسكي فصلاً طويلاً في « المعلمة الاسلامية » باللغة الفرنسية لعمر الخيام فاورد ترجمته وتكلم عنه عالماً وشاعراً ثم ذكر ما تأتي خلاصته : ان عماد الدين الاصفهاني قد ذكر الخيام في « خريدة القصر » بين شعراء خراسان ونقل اربعة ابيات عربية من نظمه . ونقل نجـــم الدين الرازي رباعيتين له باللغة الفارسية . واورد الشهرزوري ثلاث مقطوعات عربية ، لكن الترجمة الفارسية لكتاب الشهرزوري التي كان الفراغ من وضعها في سنة ١٠١١ هـ « ١٦٠٢ م » قد ذكرت في خلالها رباعيتين فارسيتين . وقد وضع الجويني احدى الرباعيات الفارسية على لسان السيد عز الدين في معرض عــده لضحايا الاحتلال المغولي في خوارزم . وجاء ذكر رباعية واحدة في « تأريخ كزيده » و١٣ رباعية في «مؤنس الاحرار» وقد تضمن المخطوط الذي نشره ف . روزن ٣٢٩ رباعية لكن تأريخه سنة ٧٢١ هـ « ١٣٢١ » لا شك في بعده عن الصواب . وهناك مخطوطات اخرى اقدمهـــا في الاستانة « ١٣١ رباعية » وتأريخها ٨٦١ هـ . واخرى في الاستانة مؤرخة ٨٦٥ هـ « ٣١٥ رباعية » وثالثة في اكسفورد ٨٦٥ هـ ايضاً « ١٥٨ رباعية .

ثم يلاحظ بعد ذلك زيادة عدد الرباعيات زيادة مطردة في المخطوطات التالية : فمخطوط وينة ٩٥٧ هـ يتضمن ٤٨٢ رباعية ، ومخطوط بانكيبور ٩٦١ هـ يتضمن ٦٠٤ رباعيات . واخيراً تحتوي المجموعة المطبوعة في لكنو سنه ١٨٩٤ مالا يقل عن ٧٧٠ رباعية ، ويقال ان الآنسة جي كاديل قـــد جمعت من المصادر المتيسرة ١٢٠٠ رباعية !

ان اول ذكر لرباعيات الخيام في الكتب الاوربية جاء في كتاب ث . هايد « طبع ١٧٠٠ م » حيث نشر ترجمة لاتينية لرباعية واحدة . ونشرت رباعيات في كتاب قواعد اللغة الفارسية لدونباي المطبوع في وينة سنة ١٨٠٤ . غير ان شهرة الخيام في اوربة لبثت عهداً طويلا تقوم على اعماله العلمية ، فترجمت رسالته في الجبر

سنة ١٨٥١ . ثم ظهرت الطبعة الاولى للرباعيات — وهي الترجمة الشهيرة التي وضعها فتز جرالد — سنة ١٨٥٩ ، وعقبتها ترجمة نقولا الفرنسية سنة ١٨٦٧ . ولم تبدأ موجة الاعجاب بشعر الخيام التي غمرت اوربة الا في سنة ١٨٦٨ وهي سنة ظهور الطبعة الثانية لترجمة فتز جرالد .

ان دراسة النصوص على ضوء النقد الحديث قد بدأت في سنة ١٨٩٧ حين كتب زوكوفسكي مقالته عن الخيام . وفضل هذا المستشرق قد افضى الى التعريف بنصوص قديمة مجهولة في ترجمة الشاعر الفارسي ونزع الثقة عن صحة المجموعات المنسوبة خطأً اليه ، فلقد برهن زوكوفسكي على ان ٨٢ من ٤٦٤ رباعية وردت في طبعة نيقولا قد تكررت في دواوين شعراء آخرين ، ومنها ما تكرر في غير ديوان واحد لعدة شعراء . . .

وقد ذهب كرستنسن في « مباحث في رباعيات عمر الخيام » « طبع هيدلبرغ ١٩٠٤ » الى ابعد من ذلك فاوضح الزيادة الطارئة على الرباعيات المنسوبة الى الخيام في المخطوطات المعروفة وأبدى شكوكه حتى في الشعر الذي تضمنته أقدم المخطوطات لبعدها عن عهد الشاعر نفسه ! وقد عزا اتساق الفكرة في مختلف الرباعيات الى ان الخيام كان ينظم على نسق الروح الوطني الايراني فجاءت الرباعيّات المدسوسة عليه تحمل الفكرة نفسها .

ثم يجمل المقال بابحاث المتأخرين أمثال الاستاذ رينر ويذكر ترجمة فتزجرالد الانكليزية التي كتبت لها الشهرة والصيت الطائر وهي على جمالها بعيدة كل البعد عن الاصل الفارسي .

ص « ١٥٧ — ٢٢٣ » — وقد نشرنا في مؤلفنا نص ١٥٤ رباعية مع ترجمتها الى العربية وقد بذلنا قصارى جهدنا للاطلاع على النسخ المطبوعة في الايرانية فعثرنا على اكثرها وقد اعتمدنا على نسخة الدكتور فوردريخ روزن ونسخة المرحوم

المأسوف عليه الاستاذ فروغي ونسخة المرحوم الاديب حسين دانش وهذه النسخ الثلاث هي من اصح النسخ . وفي النسخ المطبوعة في الهند وفي ايران وفي اوروبا عشرات من الرباعيات قد نسبت الى الخيام وهو ليس بصاحبها بل هو براء منها . ان رباعيات الخيام من المشاكل والمعضلات التي لم تحل بعد وان اختلاف النسخ وتفشي الانتحال ووجود شاعر اشتهر « بالخيام » سبب اختـــلاط الحابل بالنابل كما سبب انواعاً من التهم والواناً من التبجيل والتكريم للخيام .

ص « ٢٣٤ » — وهذه الرسائل الثلاث التي نشرناها في مؤلفنا قد عثرنا عليها في كتاب جامع البدائع وبحثنا عنها في الكتب والمؤلفات فوجـــدنا لها ذكرا في فهرست دار الكتب الالمانية في برلين ... ان اعجب ماورد في هـــذه الرسائل — راجع صفحة ٢٣٨ سطر ٨ — هـــذا النص الذي انقله بعينه قال الخيـام : — ولعلي ومعلمي افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابا الحسين بن عبدالله بن سينا البخاري اعلى الله درجته قد امعنا النظر فيها وانتهى بنـا البحث الى ماقنعت به نفوسنا .. الخ ومن انعم النظر مليا في هذه العبارة يعتقد ان الخيام ادرك ابن سينا وتتلمذ له مع ان ابن سينا قد ولد في ٣٧٠ ﻫ وتوفى في ٤٢٨ ﻫ وقد اتفق جميع الباحثين على ان الخيام قد توفي في حدود سنة ٥١٧ — ٥٣٠ ﻫ فعلى هذا يجب ان يكون قد عمر الخيام نيفاً ومائة عاماً فهل هذه الرسالة هي رسالة الكون والتكليف التي ذكرهـــا اكثر المترجمين وهل عمر الخيام هو المتكلم في هذه الرسالة ..؟ لاشك انه غير صحيح الا اذا فرضنا ان الخيام كان يقصد بهذه العبارة الافتخار والاشارة الى انه شارك ابن سينا في البحث عن هذه المعضلة الفلسفية ، وقد القينا عام ١٩٤٧ محاضرة في ادب ابن سينـــا الايراني في المجمع العلمي العربي في دمشق فتعرضنا لهذا الموضوع .

ولدى الاستاذ المحامي عباس العزاوي من المخطوطات في ابن سينا وما يتعلق بآثاره نحو اربعين رسالة وكتاب في خزانة كتبه ومن بينها الكنايات في القانون وهي نسخة قديمة جداً ترجع الى عهده ويظن انها بخط المؤلف . وللاستاذ رسالة قدمها الى لجنة الاحتفال بابن سينا لمرور الف عام على ولادته كما قدم المؤلف رسالة خاصة في ذلك

استدراك

كتاب اهازيج الخيام

كنا قد ذكرنا لصديقنا الاستاذ الدكتور مصطفى جواد اننا آنسنا فيه كفاية تامة لنظم ترجمتنا لرباعيات الخيام ، وعرضنا عليه القيام باعباء هذه المهمة ، وقد لبى الصديق دعوتنا فنظم الترجمة المنثورة للرباعيات فجاءت الترجمة من اجمل وارق الترجمات ، حافظ فيها على المعنى وراعى فيها موسيقى الروى والالفاظ ، فاتفقنا على اخراج كتاب بعنوان « اهازيج الخيام » ، وقد تولى الدكتور نظم ما ترجمناه واحببنا ان ننشر ثلاث قطع منها في كتابنا هذا ، وقد فضلنا ان تكون الترجمة الشعرية للرباعيات على شكل مقاطيع سباعية يحلو في الفم هزيجها والتغني بها لحلاوة موسيقاها قال حفظه الله :

مفتي الناس خل عنك الدعاوى ... هل تظن اننا نتساوى ؟ !
نحن أهدى وان حذقت الفتاوى ... نحن اصحى ولو نكون نشاوى
قد شربنا دم العناقيد سكرا ... وشربت الدماء ظلماً وجورا
اينا سفكه أشد دمارا ؟ (١)

* * *

قال شيخ لمومس أنت سكرى ... في حضون الاخدان صبحاً وظهرا
فاجابت إني كما قلت بهرا ... فحياتي استوت خفاءً وجهرا
لم احاول اخفاء حالي فقل لي ... أنت في السر مثلما في التجلي
أيها الشيخ كم تدلي الستارا ؟ (٢)

---

(١) راجع صفحة ١٦٣ من الكتاب الرباعية عدد ١٤

(٢) راجع صفحة ١٦٤ من الكتاب الرباعية عدد ١٥

منهم فـــئة تمشي حيـارا   في دجى الشك واليقين حيارى
وأرى معشرا يجـارى   في الضلال والمـــذاهب دارا
واذا هاتف من الغيب نادى   ما عرفتم يا غافلون الرشادا
فالطريقـان بالضـلال استدارا (١)

وهذا نموذج من نظمه على شكل الرباعي :-

كان ربي يدري بما آتيه   يوم سوى طيني وقدر حيني
ليس ذنبي بلا ارادة ربي   فلمـــاذا في ناره يلقيـــني

* * *

عادتي للسرور ان اشرب الرا . . . ح وديني نبذ اليقين وكفر
قد سألت عروس دهري كم مهر   ك قالت سرور قلبك مهري

* * *

قـــد رهنت رداء زهدي بدن   وتيممت من تراب الحانـ
فلعلي ارى الذي ضـــاع مني   في الدراسات من ثمين الزمان

انتهى

---

(١) راجع صفحة ١٦٣ من الكتاب الرباعية عدد ١٣

فهارس الكتاب

١ ــ فهرست اعلام الناس

فهرست اعلام الناس

﴿فهرست اعلام الناس﴾

﴿فهرست اعلام الناس﴾

﴿فهرست اعلام الناس﴾

﴿ فهرست اعلام الناس ﴾

ر

ز

س

ش

﴿ فهرست اعلام الناس ﴾

﴿ فهرست اعلام الناس ﴾

﴿فهرست اعلام الناس﴾

﴿فهرست اعلام الناس﴾

ن

ه

﴿فهرست اعلام الناس﴾

٢- فهرست الاقوام والجماعات والملل والنحل

فهرست الاقوام والجماعات والملل والنحل

﴿ فهرست الاقوام والجماعات والملل والنحل ﴾

٣ — فهرست الامكنة والبقاع

﴿ فهرست الامكنة والبقاع ﴾

﴿فهرست الامكنة والبقاع﴾

فهرست الامكنة والبقاع

٤ — فهرست اسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات

﴿ فهرست اسماء الكتب ﴾

ج

ح

خ

﴿ فهرست اسماء الكتب ﴾

﴿ فهرست اسماء الكتب ﴾

﴿ فهرست اسماء الكتب ﴾

﴿ فهرست اسماء الكتب ﴾

﴿ فهرست اسماء الكتب ﴾

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٦	المجاف	المحافل
١٠	٢	الرعية	الرباعية
١٣	٢و١٢	نيسابو	نيسابور
١٣	١٠	فارسل	فارسل
		بن عبدالله	عبد الله
١٧	٥	بسرء	بسوء
١٧	١٣	ففوبل	فقوبل
١٩	١٤	عينيه	عينية
١٩	١٥	المصرى	المصر
٢٠	١٥	مظفر	ابوالمظفر
		الاسفزازي	الاسفزاري
٢٠	١٨	الموقوع	الوقوع
٢٢	٦	الموجود	الوجود
٢٢	١٣	طننت	ظننت
٢٢	١٩	وظن	وضن
٢٢	٢٠	الظهريرة	الظهيرة
٢٣	٣	الام	الامام
٢٣	٤	منزله	منزلة
٢٦	١	ابن جدتها	ابن بجدتها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٨	٧	مجالسهم	مجالساتهم
٢٨	السطر الاخير	عن	في
٢٨	〃 〃	ذراها	ذراه
٣١	١٥	المر	العمر
٣٣	١٢	المحكمة	الحكمة
٣٤	٢	اضافيرك	اظافيرك
٣٤	١١	الابرفوهي	الابرقوهي
٣٥	٦	معتذر	متعذر
٣٥	١٣	البهيقي	البيهقي
٣٦	٥	فاقتنوا	فافتتنوا
٤٠	١٩	ويك	ويلك
٥٢	١٢	باريس	باديس
٥٢	١٨	غائم	غانم
٥٣	١٣	بالدنيور	بالدينور
٥٣	١٥	ظغرل	طغرل
٥٣	١٩	عنة	سنة
٥٤	١٠	تمر	نمر
٥٦	١٥	يكلواذي	بكلواذى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٦	١٦	تم ظهور	ثم ظهر
٥٦	١٧	مستجيبه	مستجيبيه
٥٧	٢	ابى	بأبي
٥٨	٢٠	بنست	بنت
٦١	٦	شاداً	شاذا
٦١	١٣	الباظنية	الباطنية
٦٢	٤	الى	إلا
٦٤	١٣	وعلى العامة في	وعلى العامة
٧٤	١٤	البيقية	البيهقية
		للبيهقي	للبيهقي
٧٠	١٤	ورا	وراء
٧١	٤	يطون	بطون
٧٢	١	يعده	بعده
٧٢	٨	ذاللك	ذلك
٧٢	١٩	المترلة	المنزلة
٧٦	١	والامراء	الامراء
٧٦	٣	البيقي	البيهقي
٧٩	١٩	الاسفزازي	الاسفزاري
٨٠	٥	محمد بن	محمد بن
		المعموري	احمد المعموري

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٠	١٤	زواية	زاوية
٨٩	٧	لمدواه	لعداوة
٩١	٩	ووساس	ووساوس
٩٧	١٥	بالرندقة	بالزندقة
٩٩	٤	منشئها	منشئيها
١٠١	١٢	لتالك	لتلك
١٠٩	١٤	المعملول	المعلول
١١٤	١	والدي	والذي
		بخاطب	يخاطب
١٢٢	٥	مزة	مرة
١٣٢	٦	النماثيل	التماثيل
١٣٦	٢٠	الآزاء	الآراء
١٠٧	٥	منصرو	منصور
١٣٧	٨	بايي	بأبي
١٣٧	١٢	الدينا	الدنيا
١٣٧	٢٠	أفيفوا	أفيقوا
١٤٤	١٤	اسراراً	سراراً
١٤٦	٢	هذ	هذا
١٥٤	١٤	الهتود	الهنود
١٥٥	السطر الاخير	ذارك	دارك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٢	١٥	هيهاث	هيهات
١٦٦	٧	صوفني	صوفتي
١٦٨	٨	مختازين	مختارين
١٧١	٧	وخبث	وخبيث
١٩٤	٧	لمائه	لمائة
٢٠٤	١٦	لا تخشى	لا تخش
٢٠٥	السطر الاخير	ولم بيك	ولم يبك
٢٣٤	٦	والاسلوبيين	والاسلوبين
٢٣٥	١٥	الحمكة	الحكمة
٢٣٩	٤	من الحكاء	من الحكماء
٢٥٤	١٥	الخيبر	الخبير
٢٥٥	٢	استوزرة	استوزره
٢٥٥	٩	ابن الاثر	ابن الاثير
٢٥٥	٢١	بيلدة	ببلدة
٢٥٦	١١	النقيب	النجيب
٢٥٩	١	الاف	الالف
٢٥٩	١٦	كاتب جلي	كاتب جلبي
٢٦١	٩	المهرسة	المدرسة
٢٦٢	١٣	التقديم	التقويم
٢٦٣	٢	ببرلمين	ببرلين

فهرست محتويات الكتاب

انتهى

طبع في مطبعة الشعب في بغداد لصاحبها الاستاذ جبران ملكون
تحت اشراف المرتب السيد احمد قاسم السامرائي في شهر ايلول ١٩٤٩